رائد الجهاد في بلاد الشام

الشهيد مروان حديد

رحمه الله



بقلم
حمدو محمد حشمو

أفـق

رائد الجهاد

في بلاد الشام

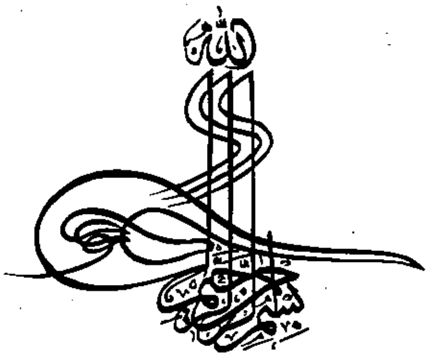
الشهيد مروان حديد

رحمه الله

بقلم

حمدو محمد حمشو

أفـــق



الإهداء

إلى أرواح الشهداء

وإلى الأبطال السجناء

وإلى بقايا السيوف في غمرات البلاء

إلـى روح الشهيد المقدام الشيخ مروان حديد وإخوانه الأبطال الذين بذلوا أرواحهم رخيصة في سبيل الله، أُقدم هذا العمل راجيًا من الله القبول.

حمدو

تقديم الأستاذ الشيخ الداعية المجاهد
نافع العلواني
رحمه الله تعالى

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد:

فيقول أهل العلم: إن الذين يحبون أن يكتبوا عن العظماء، أو الذين يؤلفون في المشاهير أنواع يمكن حصرهم في أربعة:

ـ نوع يكون دافعه لهذا الغرض الثروة والمال، وكم سيكون مردود ما يباع وكم عدده، وهذا شأنه شأن صاحب مكتبة همه بيع بضاعته فقط.

ـ ونوع يدفعه مركب نقص في شخصيته للتأليف في هؤلاء تمسحًا بهم وتزلفًا إليهم كما يشاهدون ذلك في المعجبين بالفنانين، وأهل المكانة والمناصب همُّ أحدهم أن يلتقط معهم الصور أو يحصل على حديث يشافههم فيه، ثم يفتخر بهذه الصور، وقد يعلقها في بيته، هؤلاء تلمس في طيات حديث أحدهم أو كتاباته أنه يحاول إبراز شخصيته، بل قد يطغى هذا الجانب على صفات من يترجم له.

ـ وهناك نوع من المؤلفين والكتاب، تدفعه الغيرة أو الحسد للآخرين فيكتب ويؤلف في ذم هؤلاء العظماء لا لسبب غير الحسد.

كتلك المرأة الغربية التي كان زوجها محبوبًا ومشهورًا فأخذت منها الغيرة كل مأخذ وألفت كتابًا في ذمه وإبراز عيوبه، لأنه كان محبوبًا من الناس وكانت هي مكروهة لسلاطة لسانها وبذاءتها.

ـ أما النوع الأخير فهو الذي يكون دافعه للكتابة والتأليف الإعجاب بمن يترجم له لما يتجسد فيه من قيم ومثل تجمع الإخلاص والتضحية والبذل والتواضع

والرجولة، وهذا النوع من المؤلفين لا بد أن يكون عالمًا بشخصية ذلك العظيم كي يحيط بنواحي هذه العظمة.

ومؤلف هذا الكتاب حفظه الله تعالى أخونا الشيخ حمدو، والذي أعرفه من عقود طويلة، فإني لا أعلم شخصًا كان محبًّا للشيخ مروان لصيقًا به في كل أحواله سفرًا وحضرًا، شدة ورخاءً وولوجًا ودخولًا في أغلب مناحي الحياة مثل المترجِم حمدو سدده الله، وإني لأذكر أننا ما جلسنا مجلسًا وذكرنا فيه مروان رحمه الله تعالى إلا وأخذته غصة، أو فاضت عيناه حنينًا إلى رفيق دربه وجهاده رحمه الله، وإن هذه الملازمة من المؤلف جعلته أعرف الناس بمن يؤلف عنه؛ فإذا تحدث أو كتب عنه تحدث بلهجة محب، وإذا أخبر أخبر بصدق، فلا تورية ولا مواربة ولا مبالغة ولا كتمان لما يعلمه عنه، كما كان المؤلف يعشق الحديث عن مروان وكثيرًا ما كان يسألني عن بعض الأمور التي تتعلق بمروان رحمه الله وكان يستزيدني من الحديث عنه فأتذكر قول القائل:

وحدثتني يا سعد عنهم فزدتني ... شجونًا فزدني من حديثك يا سعد

وهذا في الحقيقة شأن كل من عرف مروان عن قرب وخالطه.

أخي الكريم يا من تحب أن تعلم عن مروان أو أن تقرأ عنه، احرص على قراءة ما كتبه المؤلف، ففي طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل، ومن قصد البحر استقل السواقي.

هذا ما أعرفه عن الأخوين مروان وحمدو، والله حسيبهما، وما شهدت إلا بما علمت منهما والله ولينا جميعًا، فنعم المولى ونعم النصير.

نافع العلواني

الأردن ـ عمان

التمهيد

قال تعالى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴾ [النساء: ٨٤].

وقال أيضًا: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴾ [٢٣].

وقال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»(١).

معرفتي بالشهيد مروان حديد:

كانت بداية معرفتي بالشيخ مروان في جامع السلطان بمدينة حماة ليلة ثورة ١٩٦٤ حيث كان الشيخ معتكفًا، وقد زرت المسجد يوم الثلاثاء بعد العصر، وكنت وقتها في الصف السادس الابتدائي، فرأيت رجلًا وقد تجمع الناس حوله، وهو يكلمهم عما حدث معه ليلة أمس، حيث سمع صوت رجل مخمور ـ وأظنه قال: من الحرس القومي البعثي ـ يعربد حول المسجد... وسرد قصته معه، فسألت: مَن هذا؟ قالوا: مروان حديد. وكان عمره حينها لم يتجاوز الثلاثين عامًا. فشدتني مهابته ووقاره، وكأني ألفته وعرفته منذ دهر.

لماذا الكتابة عن الشيخ مروان رحمه الله:

١ ـ إن كثيرًا من إخواني طلبوا مني ذلك مرارًا، لأنهم يعلمون أني كنت من محبي الشيخ وملازميه، وبعد إلحاح شرح الله صدري لذلك ووجدت دافعًا من نفسي، وكنت أتوجس من الكتابة عن شيخنا وأنا لست أهلًا لذلك.

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٢٠)، من حديث ثوبان.

لازمت الشيخ سنوات عدة، صحبته في الحل والترحال، سافرنا مرات عديدة إلى دمشق وإلى الساحل، وإلى الأردن، فكان رحمه الله خير رفيق في السفر والحضر.

ما أجمل السفر مع أبي خالد، في «حماة» لا يكاد يمر يوم إلا ونلتقي به، كان لقائي مع الشيخ يجدد الأمل في نفسي، ويحدوني للعمل، ويطرد الكسل والإحباط عني، وكنت إذا يئست أتيت أبا خالد، فبدد اليأس من نفسي، وأبدلني شحنة إيمانية أعلو بها فوق السحاب، هكذا كان للشيخ مروان رحمه الله من التأثير الروحي في من حوله ما لا يشعر به إلا هم.

٢ ـ والسبب الثاني الذي جعلني أتكلم عن الشيخ في هذه الرسالة، العمل على تصحيح ما وقع فيه بعض الإخوة ممن كتبوا عنه من خلط ووهم، حتى أضع الأمور في نصابها.

٣ ـ ما أكنه للشيخ في نفسي من حب وتقدير، وقد وجدت كثيرًا من أبناء الدعوة، لا يريدون لهذا الجبل الشامخ أن يأخذ مكانًا في قلوب أبناء الدعوة الذين لم يعاصروه، ولا أدري هل ذلك غيرة منه، أم تآمرًا عليه وعلى منهجه الذي انتهجه في الجهاد في سبيل الله، علمًا أن من أبرز الشعارات التي يصدحون بها ـ الإخوان المسلمين ـ (الجهاد سبيلنا).

إن الشيخ مروان رحمه الله أكبر من هؤلاء جميعًا، ونحن الذين عاصرناه وعشنا معه، إذا أردنا أن نكتب عنه وجدنا أنفسنا في بحر من الذكريات، ووقفنا في حيرة واضطراب من أي ناحية نتناول سيرته، وقد كان عظيمًا، والكتابة عن العظماء صعبة جدًّا.

وأنا لست كاتبًا ولا مؤلفًا، وإنما أكتب هذه الكلمات في حق أخينا الشهيد مروان رحمه الله، من مخزون الفكر، وطيف الذكريات، وهذا من الواجب الذي أراه دينًا في ذمتي وأمانة في عنقي؛ لما للشهيد من فضل عليّ وعلى أبناء جيلي ممن تأثروا به وسلكوا طريقه، بفضل الله ثم بفضل صدقه وإخلاصه وتضحيته، فكان نعم القدوة والرمز.

أقف اليوم بعد عقود من رحيل الحبيب، ورغم طول المدة وتتابع الأحداث الجسام، إلا أن ذكراه في الضمير حية متجددة، أتذكرك أيها الحبيب، وأتذكر تلك الأيام التي عشناها معًا، أيام لا ننساها ما بقينا على قيد الحياة، أتذكرك أيها الحبيب الكريم، وكأنك تتمثل قول أبي فراس الحمداني:

سَيذكرني قومي إذا جدّ جدهم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

نعم لقد افتقدناك يا بدر الدعوة، ونبراس الطريق.

أخي الحبيب، أستميحك العذر فإن كلماتي عاجزة عن وصفك، وكيف لمثلي أن يصفك أو يكتب عنك، وأنت القمة السامقة التي لا تطاولها القمم، والمنارة الشامخة التي دونها جُل المنارات، والنفس الزكية التي تسمو نحو المجد والعلى.

لقد كنت أيها الحبيب الصيحة الملهمة تصك وجه الجاهلية فتدميه.

كنت الصرخة الصادقة التي تحيي موات القلوب بالإيمان والعمل.

كنت المقاومة العتيدة في أمة مهزومة، كنت الأنموذج السليم في مجتمع سقيم، كنت المشعل الوضّاء الذي يضيء الطريق للحيارى، كنت مُزنةً يستظل بظلها الظامئون من السائرين في الطريق الشائك الطويل من هجير الجاهلية والانحراف، كنت كذلك أيها الحبيب كما أحسبك وأراك الأمة في رجل، والرجل بأمة.

هذا مروان حديد رحمه الله، لن أستطيع أن أحيط بجوانب حياته، فكل جوانب حياته تستحق الكتابة.

أنتحدث عن المربي، أم نتحدث عن المعلم، أم نتحدث عن الأخ الحنون على إخوانه، أم نتحدث عن الثبات عندما يصل الناس إلى اليأس، فتراه بثباته يشحذ الهمم، ويقوي العزائم، عزيمة تتضاءل دونها عزائم الرجال، وهمة لا تبلغها العصبة أولو القوة إلا بِرَوح من الله ورضوان.

من أجل كل هذا ولكي يعرف أبناء سورية عامة، وأبناء حماة خاصة، من هو مروان حديد الذي قل نظيره في عصرنا، هذا الذي ليس مثله أحد في جيل الشباب، كان رحمه الله يعمل للدعوة وكأنه المكلف بها وحده، كان يعلم رحمه الله أن هذا الجهاد قد يكلفه روحه وحياته، ومع ذلك كان يوقن أنه يشتري من وراء التضحية بروحه رضا الله عز وجل في الدنيا ودارًا عرضها السماوات والأرض في الآخرة.

كان يعلم الجيل كيف يكون مؤمنًا ولو سيق إلى السجن أو المشنقة، ولا يكون منافقًا ولو نال أعلى المناصب وقُلِّد أكبر النياشين، فإن لها ثمنًا باهضًا: الدين والعقيدة.

أبى شيخنا رحمه الله أن يكون من الذين يبيعون دينهم بعرض من الدنيا قليل، كان الكثير من أبناء الدعوة يبررون خروجهم وهروبهم من الميدان، ويقدمون بين يدي ذلك الأعذار والأسباب الكثيرة، إلا أن شيخنا رحمه الله رفض ذلك، ولم يجد لنفسه عذرًا.

قلت له مرة ـ وكان متواريًا عن الأنظار في حي الميدان بدمشق ـ: يا أبا خالد لو خرجت إلى الأردن حتى تهدأ الأمور. فكان جوابه:

حتى أنت يا حمدو تقول هذا الكلام! كلا لن أخرج من بلدي حتى يحكم الله بيني وبين عدوي.

هكذا كنت يا أبا خالد، لقد خيبت يأسي، وهزمت ريبتي، وأقررت يقيني، وأسعدت أملي، كنت رأسًا شامخًا تشرق عليه ابتسامة الحياة في أحلك الظروف والمواقف، فما أنت إلا علامة على الطريق، تحترق العلامة فتضيء ويظل الطريق في امتداده الأبدي ذراعين مفتوحتين، ترحبان بالمخلِصين المخلَصين، وتلفظان الأدعياء والكذبة.

كان لـه رحمـه الله عطـف الصِّدِّيـق وعزمة الفـاروق، كان من الصلابـة والثبات والقـوة مـا يجعلـه يتحـدى الطغـاة المجرميـن، كان لا يخشـى أحـدًا إلا الله ولسـان حالـه يقول:

مسـلم يـا صعـاب لـن تقهريني   صارمـي قاطـع وعزمـي حديد

لقد كان رحمه الله الرمز الذي يحق له أن يكون القدوة والمثل الأعلى لنا جميعًا.

وكنت مرة مع الشيخ عبد الله عزام رحمه الله فقال لي: أنا أعتبر الشيخ مروان مثلي الأعلى.

وبعد استشهاد الأخ مروان كنت في عمان فأخذني الشيخ عبد الله بسيارته كي يواسيني وكان معه الأخ المصري عبد العزيز علي (أبو أسامة) وذهبنا الى بيت الشيخ عبد الله، وفي الطريق قال: يا أبا أسامة أنا أشعر بالعزة والفخر بوجود تلميذ من تلاميذ مروان حديد معنا.

هكذا كان ينظر إليه الدعاة الصادقون.

لا يضيرك أيها الحبيب إن تكلم عنك المرجفون، أو أراد أعداؤك من العلمانيين أو النصيريين، أن ينالوا منك، فإنهم لن يستطيعوا أن يضعوا الغبار على نعليك، فأنت بالله ومع الله أكبر وأقوى من هؤلاء جميعًا، لقد كنت يا أخي أكبر من سجن السجانين، وأقوى من قيد الأوغاد المجرمين، بل إنّ عظماء الرجال في عصرنا يتضاءلون أمام ثباتك وقوتك، فأنت صاحب المواقف ورجل الصدق مع الله تأبى أن تكون كما يريدون، وأنت كما عرفناك ورأيناك قمة فوق القمم.

عليك رحمات الله أيها الشهيد الحبيب، عليك رحمات الله يا من زرعت في شباب الدعوة في «حماة» وغيرها روح التضحية والفداء، وأصبحت مثلًا أعلى لشباب الإسلام في كل مكان.

لقد تركتنا يا أبا خالد وذهبت إلى ربك شهيدًا كما تحب ولا نزكي على الله أحدًا.

سلامٌ عليك أيها الحبيب حيًّا وميتًا، سلام عليك في الخالدين، وإلى لقاء في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وأنت كما قال الشاعر:

أنتَ الذي سلكتنا سبلَ الهدى ... ومشَيْت فينا قائدًا لا يزدجرْ
ورفعْت راياتِ الهدى في أرضنا ... وأمامَك الطاغوتُ ولَّى واندحرْ
السجن للسجّان لا لسجينه ... فالشيخ بالله المهيمن ألف حرْ

مخطط الكتاب

هذا وقد جعلت الكتاب من ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الشهيد مروان حديد رحمه الله (سيرة ومسيرة).

الفصل الثاني: ما قيل وما كتب عن الشيخ نثرًا وشعرًا.

الفصل الثالث: شهداء على الطريق.

الفصل الأول

الشهيد مروان حديد رحمه الله

(سيرة ومسيرة)

مولده:

ولد الشيخ مروان عام ١٩٣٤م في حماة، في حي البارودية، وترعرع فيها.

والده الحاج خالد حديد رحمه الله، كان يعمل في الزراعة، وله عدد من الإخوة والأخوات.

وكل إخوانه ينتسبون إلى الحزب الاشتراكي الذي يترأسه أكرم الحوراني.

بيئته:

أما البيئة التي عاش فيها الشيخ فهي بيئة محافظة بشكل عام، مع وجود صراع بين الإسلاميين والاشتراكيين، ففي خمسينيات القرن الماضي كانت مدينة حماة يتنازعها تياران هما الحزب الاشتراكي بزعامة أكرم الحوراني، والإخوان المسلمون، إضافة إلى التجمع الإقطاعي بزعامة آل العظم وآل برازي.

نشأته:

في هذا الجو من الصراع نشأ الشيخ مروان رحمه الله، وكان في البداية من جماعة الحوراني ثم تحول بفضل الله إلى طريق (الاتجاه الإسلامي)، وانتسب إلى الإخوان المسلمين.

يقول الشيخ رحمه الله: كنت في المرحلة الثانوية مع الاشتراكيين، وحصلت مشاجرة بيني وبين شاب من آل الراعي وهو اشتراكي، فشتم هذا الأخير الدين فضربته، وعلى إثرها اتجهت إلى الاتجاه الإسلامي، وكان الشيخ قد تأثر بوفاة الإمام الشهيد حسن البنا عندما وجد أخاه الكبير فرحًا باستشهاده.

وفي هذه المرحلة تعرف شيخنا على رفيق العمر الشيخ نافع العلواني، وكان ذلك في نادي اليقظة الرياضي الثقافي، وكان الشيخ نافع قد سبقه إلى جماعة الإخوان المسلمين فتأثر به وأصبحا في أسرة واحدة عند الأستاذ عدنان سعد الدين رحمة الله عليه كما سمعت من الشيخين نافع ومروان.

دراسته:

أكمل الشيخ مروان دراسته الثانوية في حماة، وانتسب إلى كلية الشريعة في دمشق ثم ما لبث أن تركها وانتسب إلى كلية الهندسة الزراعية في جامعة عين شمس في القاهرة.

كان رحمه الله من أنشط الشباب السوري في الدعوة، وكان إذا عاد إلى «حماة» باشر نشاطه مع الشيخ نافع. وكانا محبوبين من الشباب فتأثر بهما الكثير منهم.

تكوينه الثقافي ومنهاجه في التربية:

تأسس الشيخ فكريًا في حماة، وبعد مغادرته إلى مصر لدراسة الهندسة الزراعية تعرف هناك على كثير من قيادات ومفكري جماعة الإخوان المسلمين كان منهم سمير الهضيبي، وأحمد رائف، وسعد الدسوقي رحمهم الله. كما سمعت من الشيخ مروان رحمه الله، والتقيت الأستاذ سعد الدسوقي رحمه الله في مدينة العين بدولة الإمارات العربية المتحدة فحدثني ببعض ذلك.

وفي مصر التقى الشيخ مروان بالأستاذ محمد قطب رحمه الله كما سمعت منه.

وهنا لابد أن نذكر أن الشيخ مروان كان قد تأثر بفكر الإمام حسن البنا، فدرس ما كتب البنا من مذكرات ورسائل.

وكثيرًا ما قرأ علينا بعضًا منها، وكان يشرحها لنا كأنه قد استظهرها غيبًا.

وكذلك تأثر بمؤلفات سيد قطب رحمه الله وخصوصًا في العقيدة، حيث كان يشرح لنا كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، من كتابات سيد قطب في مؤلفاته، كل ذلك كان تأثيره واضحًا في تكوينه الفكري.

هكذا كان الشيخ رحمه الله، كانت الدعوة إلى الإسلام التي تربى عليها مسيطرة عليه تمامًا، فلا يتحرك حركة إلا وفيها خدمة لدعوته، وما رأيت أخًا فاهمًا لدعوته كما الشيخ مروان رحمه الله.

وكان رحمه الله على درايةٍ واسعةٍ بما يجري في حاضر العالم، بالإضافة إلى ثقافته المتنوعة، ومعرفته بالجماعات الإسلامية والتي يفصّل حال كل واحدةٍ منها ما يغنيك عن سؤال من هو من أبنائها عنها.

وكان الشيخ لا يترك فرصة تمر بدون أن يُعَلّم إخوانه أمور الدعوة، ففي الكثير من الأحيان وخصوصًا عندما يأتينا ضيوف، كان الشيخ رحمه الله يستغلها فرصة للتعريف بالدعوة ويبدأ بلعبة اسمها لعبة المحامي، وهذه اللعبة كالآتي:

مجموعة من الأخوة كل واحد منهم يأخذ اسم الأخ الآخر، ثم يبدأ الشيخ بالأسئلة فيقول: يا محمد ما أركان الإسلام مثلًا، فيرد الذي أخذ اسم محمد، فإذا رد محمد صاحب الاسم الأصلي ضرب على يده ضربة خفيفة، ويبقى النقاش والأسئلة، وربما يطول الأمر حتى يصل الشيخ الى مبادئ الإخوان وأهدافهم، وغير ذلك.

وإذا وجد مجموعة من الشباب في المسجد، يعظهم أو يعلمهم القرآن، وبعد الفجر أو المغرب كنا نقرأ أدعية المأثورات للشيخ حسن البنا رحمه الله تعالى.

وعندما كنا نخيّم على أطراف مدينة حماة في منطقة اسمها الدوَّار تقع على نهر

العاصي، كان في معظم الأيام يعقد لنا حوارات، أو يبدأ بشرح رسائل الإمام البنا، إلى جانب تدريب الشباب على السباحة.

وهكذا كان يعيش مروان معنا، وهذا غيض من فيض.

وكان ربما أثر فينا بحاله دون مقاله، فكان نِعم القدوة، كان لا يؤثر نفسه علينا ولا يتعالى، يعلمنا كيف يكون المسلم إيجابيًّا، فيبادر بالعمل، ويكره السلبية، وكان يعلمنا تحمل المسؤولية مهما كانت النتائج، وذلك بفعله لا بقوله، فكان إذا كلفنا بأمر ما يقول: إذا قال لكم أحد: من أمركم بهذا فقولوا: مروان، كي لا يخافوا، ذكرت ذلك عند الكلام عن حديقة أم الحسن، ووصاياه لنا أيضًا أن نحرص على الدعوة في كل مكان وأن نكون القدوة الحسنة لغيرنا.

أما عن حاله فقل ما شئت عن تواضعه ولين جانبه مع إخوانه، فلا تحس بأن هناك فارقًا بينك وبينه بالرغم من فارق السن بيننا، أما مع أعدائه فهو العزيز القوي. كما قال تعالى:

﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

صفاته الخَلقية:

منح الله مروان بسطة في الجسم والعلم؛ فكان فارع الطول أبيض الوجه، ذا لحية حمراء، يلبس العمامة وأحيانًا يلبس الكوفية الباكستانية، أما البسطة في العلم فقد أعطاه الله عقلًا راجحًا لأن العلم يأتي بمعنى العقل عند أهل العلم.

كان رحمه الله إذا سار في الطريق شد أعين الناس إليه، حيث كانت روحانيته تفيض على الناس روحًا جديدة، تدفعهم لمحبته وتوقيره، وتبعث فيهم روح الثقة بالإسلام، ذا طلعة بهية ووقار رباني، ترى على وجوه الناس ابتسامة، وبشرى عند رؤيته.

ونحسب أن هذا علامة قبوله عند الله، فإن العبد إذا قُبل عند الله جعل الله له القبول في الأرض، وإذا أحبّ الله عبدًا حببه إلى الناس، كما جاء في الخبر الصحيح عنه ﷺ.

شجاعته:

وهي من الصفات البارزة في شخصية مروان رحمه الله، كانت أفعاله منطلقة من اعتقاده أن كل شيء بيد الله، وأن لا أحد من البشر يستطيع أن يتدخل بحياة الإنسان ورزقه إلا بإذن الله، وهذا تراه جليًا في محاكمته عندما قال له مصطفى طلاس وزير الدفاع في حكومة حافظ الأسد: سوف أحكم عليك بالإعدام، فقال له مروان ساخرًا: لو أن الأجل بيدك لعبدتك من دون الله. لذا تراه دائمًا يردد: آجالكم بيد الإله لا دخل فيها للحكومة.

ومن هذا المنطلق ترى مروان رحمه الله يتصرف في الملمات بشجاعة في حين كان غيره يسكت اتقاء شرّ العدو، وشجاعة المرء تتجلّى أحيانًا بالمواقف، وأحيانًا تكون بالمواجهة مع العدو، وغير ذلك، ولكنّ الشهيد مروان رحمه الله كان قمة في الشجاعة في كل ذلك، والمواقف كثيرة، سوف أذكر بعضها وأقواها يوم محاكمته سنة ١٩٦٤. لقد كان مثالًا للمسلم المُستعلي بإيمانه، المتمسك بحبل الله، (سيأتي الكلام على محاكمته عند الحديث عن أحداث حماة ١٩٦٤م من العام نفسه).

ومن مواقفه التي تدل على شجاعته الفائقة، تحمله لنتائج ما يقوم به أو يدعو إليه من دون خوف أو تردد، مثال ذلك:

١ ـ ما حصل بحديقة أم الحسن في حماة سنة ١٩٧٠م، حيث تقع هذه الحديقة على نهر العاصي وكانت هذه الحديقة على قسمين، قسم للرجال، وقسم للنساء، فجاء البعثيون وجعلوها مختلطة، فما كان من الشيخ إلا أن دعا الشباب ـ وكنت

واحدًا منهم، ومنهم الأخ عمر جوّاد والأخ محمد الشوّاف وغيرهما ـ وقال: اذهبوا إلى الحديقة قبل المغرب وخذوا معكم المصاحف وهناك اقرأوا القرآن، فإذا أذّن المغرب صلوا جماعة ثم عودوا، وإن سألكم أحد لماذا تفعلون هذا قولوا له: مروان قال لنا.

وبدأنا فعل ذلك، وكنا أقل من عشرة أشخاص في اليوم الأول، وكان العدد يزداد كل يوم، وما مضى أسبوع إلا وكنا قرابة الثمانين شابًا.

عندها بدأت السلطة بمضايقتنا فصار أفراد المخابرات يأتون يوميًا ويغرقون العشب بالماء كي لا نصلي فصرنا نصلي على الإسفلت.

وفي الأسبوع الثاني أرسلوا إلى الشيخ خالد الشقفة رحمه الله كي يقوم بالوساطة، وكان جواب الشيخ مروان، افصلوا الحديقة ترجع الأمور كما كانت، وبالفعل فعلوا ما يريد الشيخ، وانتهت المشكلة.

هذا موقف واحد من المواقف التي كنت فيها.

٢ ـ وموقف آخر كنا عائدين من احتفال المولد من مسجد الروضة في حماة، وكان الشيخ قد تكلم في هذا الاحتفال عن أسباب أحداث ١٩٦٤، وفي الطريق لحقت بنا سيارة مخابرات، وحينما وصلنا ساحة العاصي مقابل الحزب، قلت: أبا خالد وراءنا سيارة مخابرات. فقال للسائق وكان حج بدر ذكرى رحمه الله: ارجع إليهم. فلما توقفت سيارتنا وأراد حج بدر الرجوع إليهم، هربت سيارة المخابرات. هذا موقف آخر من مواقفه الكثيرة رحمه الله.

كان رحمه الله أكبر من الطغيان، وأصلب من الرواسي، وأثبت من الشامخات. شجاعًا لم تعد الشجاعة تُعرف إلا به.

٣ـ وموقف آخر من مواقف الشجاعة التي ظهرت في سجن حرستا العسكري حيث يرقد الشهيد للعلاج بعد تدهور حالته الصحية، إثر التعذيب الذي تعرض له على مدار عام كامل، يدخل العقيد علي المدني وهو اشتراكي من حماة، فيقول أحمد حديد وهو شقيق الشهيد مروان: نشكرك يا علي أن سمحت لنا برؤية مروان. وكانت صحة الشهيد بدأت بالتحسن، فقال مروان: لا تشكره إنه جبان خائن لا يزال عبدًا للنصيريين... وتكلم بكلام غير هذا.

أخلاقه:

ـ كان رحمه الله مثالًا للمسلم الملتزم بتعاليم الإسلام، فإذا نَطَقَ نطق بالحق، وإذا تكلم تكلم بالصدق، ولا تكاد تسمع منه كلمة نابية.

ـ كان حريصًا على التمسك بالسنة النبوية، بل ويحث عليها ويكره مخالفتها، ومرة كان في حماة شابٌّ له لحية ويتحرش بالبنات، ولحيته ليست من السنة إنما (موضة) فقال لي بعض الشباب: إنه يشوّه سمعتنا. فذهبت إليه وكان معي الأخ عمر جوّاد رحمه الله، وكلمته إما أن تستقيم وتكون أخًا لنا أو تحلق لحيتك كي لا تشوّه سمعتنا. فقصصت القصة على الشيخ، فنهرني، وقال لي: كيف تأمره أن يحلق لحيته وهي من الفطرة والسنة. هكذا كان رحمه الله يعظم شعائر الإسلام.

ـ كان رحمه الله متواضعًا من غير ذل، وكان عزيزًا من غير كبر، إذا جلست معه أحببته لبساطته، ودماثة خُلُقه، وإذا رأيته من بعيد احترمته لهيبته وبهاء طلعته.

ـ كان رحمه الله يحب الإيثار ويكره الأثرة، ويحب الكرم ويكره البخل، ويحب الصدق ويكره الكذب، كان رحمه الله صافيًا صفاء عقيدته التي يحملها، وهي عقيدة أهل السنة والجماعة، وكان يكره التطرف والغلو، وينهج النهج الوسطي، يريد أن

يكون المسلم إيجابيًّا متوازنًا في كل أحواله، وأن يعطي الصورة الصحيحة عن الإسلام، ويقول بأن المسلم مهمته أن يدعو الناس إلى الإسلام ويبين لهم الطريق الصحيح، فلا يكفر أحدًا، ولا يبيح سفك دم أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

عبادته:

كان رحمه الله صوّامًا قوّامًا، يأخذ نفسه بالعزائم ولا يترخص إلا قليلًا، كان يحافظ على صلاة الجماعة، وكنا أحيانًا نقيم الليل في زاويته، وكان أكثر ما يحافظ على قراءة القرآن.

روى لي الشيخ أنه كان في دمشق وفي صلاة التراويح كان الإمام الشيخ سعيد الطنطاوي حفظه الله فأطال القراءة، وبقي إلى ما قبل صلاة الفجر وأطال الوقوف، وقال الشيخ: كنا قرابة الثمانين، وفي النهاية جلسوا جميعًا إلا ستة بقوا قائمين خلف الإمام، وكان مروان واحدًا منهم. وسألت الشيخ سعيد فقال لي: صحيح، وهل كان مروان من القائمين؟ فقلت له: نعم.

صدقه:

كان رحمه الله صادق اللهجة، صادق الحال والمقال، كان يكره الكذب والكذابين، وكنت مرَّة مع أخ كريم فشكا لمروان أحد الأخوة وقال له إنه يكذب في حديثه. وفي هذه الأثناء دخل هذا الرجل فقال له الشيخ: لماذا تكذب يا فلان؟ ألم تعلم أن الكذب ليس من أخلاق المسلم! فانزعج الأخ، وعندما علم من أخبر الشيخ بذلك حصلت مشادة بين الاثنين انتهت بتدخل الشيخ وأصلح بينهما.

كرمه وسخاؤه:

كان رحمه الله كريمًا سخيًّا، كأن الذي معه ليس له، فإذا طلب أحدٌ منه شيئًا قدم له ما معه، هذه معرفتي به، وأذكر قصة تؤكد هذا المعنى، فقد جئت مرة إلى المسجد ووجدت الشيخ منزعجًا، قلت له: ما بك يا أبا خالد، قال لي: جاء أخ ولم يسمه يطلب مني خمسين ليرة، فقلت له: تعال بعد العشاء، وكان ذلك بعد المغرب، فقلت له: وما الغرابة في الأمر؟ قال: الخمسين ليرة موجودة في جيبي، كان من الواجب عليَّ أن أعطيه إياها مباشرة.

هذه واحدة، وهناك قصص أخرى.

أضف إلى ذلك كرمه في بيته، وكثرة ضيوفه، وكثيرًا ما كان يمسك بنا وقت الغداء ويأتي بالطعام من البيت، وكان إذا وجد أخًا حريصًا يحاول بأسلوبه أن يحبب إليه الكرم، ومرة قال لأحد الأخوة: يا فلان متى نفطر عندك وكان ذلك في رمضان، فذهب هذا الأخ إلى والده وقال له: أبو خالد يريد أن يفطر عندنا. فأحرج والده بذلك، وفي اليوم الثاني دعانا لبيته وكنا ثلاثة الشيخ، وصَفي عدي، وأنا، وبالفعل ذهبنا أفطرنا عنده، ومما قاله الشيخ مروان: نحن نمزح معك يا فلان. وقلت للشيخ: لماذا طلبت منه؟ قال لي: حتى يتعود الكرم.

شيوخه:

كان في حماة الشيخ محمد الحامد الذي يعتبر الأب الروحي لجماعة الإخوان حيث تعرّف على الشيخ حسن البنا في مصر، وكان بينهما ودٌّ ومحبة مما جعل الشيخ الحامد يدافع وينافح عن جماعة الإخوان وشبابها، ومعظم تلاميذ الشيخ الحامد من الإخوان ابتداءً من الأستاذ نافع، والشيخ سعيد حوى رحمه الله، والشيخ مروان، وغيرهم كثير.

وكان الشيخ مروان يواظب على دروس الشيخ محمد الحامد، كما كانت تربطه علاقات جيدة مع معظم علماء حماة، كالشيخ سعيد النعسان، والشيخ خالد الشقفة، والشيخ توفيق الصباغ، والشيخ محمد أديب كلكل، عليهم رحمات الله جميعًا، وكذلك ببعض علماء سورية كالشيخ حسن حبنّكة رحمه الله، والشيخ عبد الفتاح أبو غدة.

تلاميذه:

لم يكن للشيخ تلاميذ بالمعنى المَشيَخي، وإنما كان له إخوانٌ مقربون منه يعتبرونه بمثابة المرشد لهم والأخ الكبير الذي يستفيدون منه ومن تجاربه، هذا شعورنا مع الشيخ، وكان من أقرب الناس إليه الأخ صفي عدي رحمه الله مع أنه لا يشاطر الشيخ مشروعه الجهادي، ولكن يحبه والحب متبادل، وكان الشيخ يثني عليه كثيرًا. ومن الأخوة: ابن أخته أكرم الريّس، والأخ بسام أرناؤوط، والأخ مصطفى عادلة، والأخ غالب حداد، والأخ عبد الستار الزعيم، والأخ محمد عجوج، والأخ شهم برازي، والأخ عمر جوّاد، والأخ محمد الشوّاف، والأخ محمد صادق عون.. وكان بعضهم ملازمًا للشيخ أكثر من بعض.

مروان المعلم

أما عظمة الشيخ مروان المعلم، فيشهد بها ويزكيها المئات من الأتباع والأنصار الذين ساروا على نهجه، تعرفهم بسيماهم، فهم رمز الطهر والفضيلة، هم أنصار الحق وحملة مشاعل الحرية، لينيروا للأمة طريقها الى المجد والعزة، ولقد أثبتت الحوادث في ثمانينيات القرن الماضي، عظمة الشيخ مروان في تربيته، لقد تعرض أتباعه جميعًا لأشد فتنة، وأعظم بلاء في عهد حافظ الأسد، وانصبَّ عليهم من العنت والاضطهاد والعذاب ما لو سلط على جبل لاندك وانهار، فتعرضوا للسجن والاعتقال والقتل والسحل داخل السجون، وسجن تدمر شاهد على ذلك.

ومع ذلك ما ضعفوا وما استكانوا وما تفرقوا ولا تقهقروا، بل خرجوا من محنتهم وهم على العهد ثابتون، خرجوا من السجون كما تخرج السيوف من أغمادها، والأُسد من عرانينها، متمسكين بعقيدتهم وفي سبيلها يجاهدون.

وهنالك دليل آخر على عظمة الشيخ رحمه الله، سيظل مضيئًا في تاريخه بحروف من نور، ذلك أنه استطاع أن يربي من بين شباب هذا العصر المادي، شبابًا آمنوا بأن الجهاد هو طريق العزة والخلاص لهذه الأمة فتراهم في مقدمة المجاهدين في فلسطين، ثم تراهم على ربى سورية يجاهدون وقد أعدوا العدة والسلاح وهرعوا إلى الميدان واستعذبوا الحتوف تحت ظلال السيوف، من الذي عَلم هؤلاء حب التضحية والموت في سبيل الله، إنه القدوة في الجهاد حتى قضى شهيدًا فما كذبهم ولا كذبوه، وكانوا يودعون بعضهم بعضًا على أمل اللقاء في جنة الخلد.

قال تعالى:

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

تعلّمنا منه الكثير:

ـ أن الديمقراطية أكذوبة، ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾.

ـ أن لا مهادنة مع الباطل وأعوانه، ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

ـ ألَّا يتذلل المسلم إلا للمؤمنين، ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

ـ أن نتمسك بالحق ونعمل له ولو كنا قلة، وألا نرضى بغير الإسلام حكمًا، ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾، [المائدة ٥٠].

ـ أن لا اعتبار للأكثرية والأقلية؛ فلا يجوز للمسلم أن يرضى بغير الإسلام ولو كان فردًا.

ـ أن لا نسعى للمناصب والمكاسب، وإنما علمنا الزهد فيها كما هو حاله.

ـ أن يكون المسلم إيجابيًا ويتحمل المسؤولية ولا يتنصل من مسؤولياته.

ـ أن نكون مع إخواننا، إذا عصيتَني أطعتك.

ـ أن الأخذ بالعزائم من شِيَم الدعاة، وهذا ما كان يفعله.

ـ أن الأخوة لا تكون كاملةً إلا إذا شعرت بحاجة أخيك دون أن يطلبها منك، فتقدم له ما يريد بنفس طيبة، كما فعل المهاجرون والأنصار.

ـ أن ليس هناك موقف وسط بين الكفر والإيمان.

ـ وكان الشيخ حريصًا على إخوانه وما أكثر كلمة الأخوّة على لسانه.

استشرافه للمستقبل:

كان الشيخ رحمه الله أول من حذّر من خطر النصيريين، وأنهم كالأخطبوط إنْ تمكنوا من سورية يصعب اقتلاعهم منها، لذا على المسلمين مقاومتهم بكل الوسائل، هذا ما كان يراه الشيخ رحمه الله، في حين غفل معظم الدعاة والمنظرين عن خطر هؤلاء، كما أن علماء الأمة قصروا في ذلك أيما تقصير، إما خوفًا من بطشهم أو حرصًا على الدنيا.

من أجل هذا أخذ الشيخ يجند الشباب لاقتلاع هذا السرطان من أرض الشام الطهور، فأشعل جذوة الجهاد، وحبب إلى الشباب حب الاستشهاد في سبيل الله، فكانت ثورات بعضها وراء بعض، ابتداءً من ثورة جامع السلطان ١٩٦٤م، ثم تلتها ثورة أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات بعد استشهاد الشيخ رحمه الله، ثم هدأت بعد مجزرة حماة ١٩٨٢م حيث قضى فيها أكثر من أربعين ألفًا! واليوم بعد أكثر من أربعين سنة على استشهاد الشيخ تنطلق الثورة من جديد، ثورة تعم كل سورية وكل الشعب السوري وما ذلك إلا ببركة جهاد مشعلها الأول وإخلاصه، والله أعلم.

ثورة ١٩٦٤ في جامع السلطان

أسبابها:

بعد عودة الشيخ مروان من مصر في أوائل ١٩٦٤، وكان البعثيون قد سيطروا على الحكم بانقلاب ٨ آذار، بدأ البعثيون يسفرون عن وجههم القميء، وحقدهم الدفين، وعدائهم للدين، وخاصة أن جلّهم من أبناء الطائفة النصيرية والدروز والإسماعيليين، فبدأوا ينتهكون الحرمات ويتحدون الشعب بهتافاتهم الطائفية.

فمثلًا: (يلعن يومك يا حطين والخاين صلاح الدين).

آمنت بالبعث ربًّا لاشريك له   وبالعروبة دِينًا ما له ثانِ

(لا تسل عني ولا عن مذهبي أنا بعثي اشتراكي عربي).

(حط المشمش عالتفاح، دين محمد ولَّىَ وراح)!!

ويرددونها في العاصمة دمشق وحماة وحلب وحمص في المدارس والمنتديات.

وهكذا كانت هتافاتهم في احتفالاتهم أو في أثناء مرورهم بالسيارات في المدن مما أثار حفيظة الشيخ وإخوانه، وكان الشيخ معتكفًا في جامع السلطان فأخذ يذيع في مكبرات الصوت ويستنكر هذه الأفعال.

في مدرسة عثمان الحوراني، وفي هذا الظرف المتوتر، كتب الطالب نزار عروانة على السبورة الآية الكريمة:

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

فاعتقلته السلطات وهو في الصف الثامن (الثاني الإعدادي)، فخرجت مظاهرة

من ثانوية عثمان الحوراني تنادي بالإفراج عن الطالب وتندد بحزب البعث وتصرفاته، ويقولون: لا دراسة ولا تدريس حتى يخرج التلميذ، فنزل الجيش إلى الشوارع وأطلقوا النار على الناس فقتل شاب من آل جوّاد، وبدأت الأمور تتطور، فأغلقت المدينة أسواقها وازداد زخم المحتشدين في جامع السلطان، وفي صبيحة يوم الأربعاء ١٤ ـ ٤ ـ ١٩٦٤ نزل الجيش إلى شوارع المدينة وطوّق جامع السلطان وأخذ يقصفه بالمدفعية والشباب في الداخل يكبرون، وبدأت المعركة وكان عند الشباب القليل من الأسلحة، وكان سلاحهم المسدسات والسكاكين، واستمرت المعركة إلى ما بعد الظهر، استشهد على أثرها أربعة من شباب الإخوان هم: منقذ صيّادي، ومحمود نعيم، وتوفيق المدني، وعبد الله المصري، عليهم رحمات الله.

وجرح آخرون منهم الأخ أبو نجيب المشرف على المسلحين داخل المسجد، وكان ضابطًا في الأمن العام، واعتقل البقية الباقية وعلى رأسهم الشيخ مروان رحمه الله.

وهنا تتجلى صورة من صور شجاعة مروان، فعندما خرج من المسجد لقيه الضابط النصيري عزت جديد فضربه، وما كان من مروان إلا أن ضربه بكلتا يديه المكبلتين فطرحه أرضًا، ثم أُخذ إلى السرايا وهناك وهو على درج السرايا ضربه أحد الجنود فما كان من مروان إلا أن ضربه ضربة أطاحت به من أعلى الدرج إلى أسفله فانهالوا عليه بالضرب، وعندما رآه أمين الحافظ وكان موجودًا في السرايا وهو رئيس سوريا آنذاك، شتمه وكلمه كلامًا فاحشًا، فقال له مروان: «أمين خلي خصومتك شريفة» فلم يرد عليه.

ولقد شَهِد أمين الحافظ لما كان بالعراق شهادة في حق الشيخ مروان، حيث تكلم أمام الأخ عيّاش الآوى رحمه الله وكان قد رأى أمين الحافظ فسأله أمين:

هل تعرف مروان حديد؟ فقال: أسمع به وهو من الإخوان. وكان طالبًا في العراق، وعندما جاء في الصيف قال للشيخ ما قاله أمين الحافظ وكنت شاهدًا على ذلك، قال أمين الحافظ أمام جمع من الناس في العراق: «والله إن مروان حديد أشجع من عنتر، ثم قال: عنتر تفوا عليه» أي ابصقوا عليه.

وهذا يدل على شجاعة مروان رحمه الله.

وقال لي مروان: عندما كنت في السرايا أخذ بعض الجنود يمسكون بي من يدي ورجلي ثم يرمون بي على الجدار فأسقط على الأرض وأنا مكبل فنظرت إليهم وقلت لهم: ﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾. فنظر إليّ أحد الجنود وعيناه تذرف بالدموع.

ثم أُخذ إلى حمص وهناك عقدت له محكمة عسكرية سوف أذكر وقائعها لنرى من خلالها شجاعة مروان رحمه الله.

فقد نشرت جريدة «العروبة» الحمصية التابعة للسلطة الحاكمة في عددها ٢٨٥ أقوال الشيخ البطل أثناء استجوابه أمام المجلس العرفي في المنطقة الوسطى، ورغم الحذف والتحريف للكثير من الأقوال بغية طمس الحقائق وإخفائها، فإن في الجزء اليسير المنشور في الجريدة دروسًا خالدة، تعلم الظالمين أن عقيدة المؤمن أعز عليه من روحه وما يملك.

كتبت الجريدة: بدأت الجلسة باستجواب المتهم مروان حديد، المتزعم للحركة، وهو من خريجي جامعة عين شمس كلية الزراعة في القاهرة، وله دراسات استفادها من كلية الشريعة أيضًا، وكان قد درس في كلية الشريعة ثم غادر الى مصر للدراسة.

ولقد سئل لماذا اعتصمت في جامع السلطان؟ فأجاب: كنت أخطب في الناس وأشرح لهم معنى لا إله إلا الله؛ حيث إن أكثر الناس يقولونها ولا يفهمون معناها، وعندما سمعت من إذاعة دمشق قول المذيع:

آمَنت بالبعث ربًّا لا شريك له وبالعُروبة دِينًا ما له ثانِ

تألمت أشد الألم، وتكلمت عن ذلك في الجامع.

الحاكم: اخرس هل أنت من الإخوان المسلمين؟

مروان: إنني أعتبر نفسي من الإخوان المسلمين، وإنه لشرف لي أن أنتسب إليهم.

الحاكم: ما هي المطاليب التي كنت تطالب بها في خطبتك؟

مروان: عدم اضطهاد أساتذة الدين، وإطلاق سراح الطالب نزار عروانة.

الحاكم: كان من الواجب أن تعلم المحافظ بالأمر.

مروان: لقد أعلمته بذلك، ووعد بالإفراج عنه، ولكن لم يصدق بوعده.

الحاكم: لماذا كنت توزع الأسلحة الحربية على الناس في الجامع؟

مروان: كل واحد من أبناء الشعب كان يدافع عن دينه.

الحاكم: هل لك من أقوال تحب أن تقولها؟

مروان: يجب أن يكون الحكم بشريعة الإسلام.

هذا ما نشرته جريدة «العروبة»، أما ما تجاهلته من حقائق وأقوال كما سمعه الحاضرون، وشاهدوه بأعينهم، فقد أصبح بعد ذلك حديث المنتديات

والمجالس في حمص، وهو الآتي كما نشرته «مجلة المجتمع» بعد استشهاد الشيخ في عددها ٣١١:

الحاكم: سنريكم أنت وعصام العطار نهايتكم. وكان يومئذ عصام العطار المراقب العام للإخوان المسلمين.

مروان: الآجال بيد الله، ولا يستطيع أحد تقديم أجل أو تأخيره، فالآية تقول:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

وإنني أتحدى أن يستطيع أحد تقديم أجلي.

الحاكم: أنت قابض، وعصام العطار قابض، أنتم عملاء.

مروان: إنني أتحدى من يقول هذا أو يثبت شيئًا منه. ثم قال:

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤].

نحن لا نقبض ولكن رئيسك ميشيل عفلق قبض سبعين ألف جنيه، فأنتم عملاء... وأنتم القابضون، هل تستطيع أن تنكر هذا؟

الحاكم: اخرس... اخرج، ويهجم عليه شرطي ليضربه بأخمص بندقيته، وينهره مروان ويقول له: لا يحق لك بصفتك حاكمًا أن تقول اخرس، وإذا بدا لك أن ترفع صوتك فأنا أرفع صوتي أكثر. ثم قال: هذا الذي بجانبك، وأشار الى أحد أعضاء المجلس العرفي، هذا عذبني وضربني على يدي حتى صارت على هذه الحال، وأشار إلى يده، وخاطب الحاضرين قائلًا: انظروا إلى خصال هؤلاء المجرمين.

الحاكم: أنتم تكّفرون حزب البعث، وحزب البعث مسلم أكثر منكم، يريد أن يحقق الإسلام.

فأجابه مروان: نحن نقول كما قال الله تعالى:

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

وكل من يدعو لنظام غير نظام الإسلام فهو مرتد وكافر وخائن.

الحاكم: أنتم تثيرون الفتنة.

مروان: بل أنتم تثيرون الفتنة... ألم تقل إذاعتكم: (آمنت بالبعث ربًا لا شريك له)؟ ألم تقولوا: البعث ديني والعروبة مذهبي؟ ألم يقل قائدكم: يجب تجميد القرآن لأنه يولد الكبت؟

من الذي مزق القرآن في حمص؟ من الذي امتهن القرآن في السويداء وألقاه على الأرض؟

إن رؤوس حكومتكم هم الذين يجب أن يحاكموا لأنهم يثيرون الفتن، وأولهم محافظ حماة الذي لم يحل مشكلات الشعب ولم يلب مطالبهم. وكان المحافظ في وقتها عبد الحليم خدام.

الحاكم: لماذا اعتصمت في المسجد وصرت تذيع أمورًا وأمورًا؟

مروان: إنني كنت مطاردًا فلجأت إلى بيت الله من ظلم الظالمين، وما كنت أظن أن أحدًا سيجرؤ على ضرب المسجد مهما بلغ به الكفر والضلال، فالفرنسيون لم يضربوا المساجد.

هكذا كان موقف الشهيد مروان في محاكمته في حمص قمة في الشجاعة والرجولة والتحدي.

كان موقفه راسخًا بأن أمتنا آمنت بعقيدة الإسلام، وجعلت منه نظامًا لحياتها،

ولن ترضى عن شرعة السماء بديلًا، وأن العقيدة التي تستمد قوتها من الله لا ترهبها قوة الظلم والطغيان، ولا تهاب أن تقول للظالم يا ظالم، وأن رجل العقيدة الربانية ليستخف بكل وعيد ويستعلي فوق كل تهديد حين يعلن كلمة الحق، ويطلق صيحة الإيمان، ويقف في وجه الظلم والطغيان غير عابئ بما يتعرض له من سجن وتعذيب واستشهاد في سبيل الله.

بعد هذه المحكمة صدر الحكم بالإعدام على الشيخ وثلة من إخوانه منهم: الشيخ عبد الحميد طهماز، والأخ عبد الرحيم شومل، إضافة الى بعض مشايخ ووجهاء المدينة الذين لجأوا الى العراق منهم: الشيخ سعيد حوا، والشهيد عثمان الأمين، والشهيد حج أحمد الأمين، والعقيد فؤاد الأسود، وغيرهم.

وكان الإخوة السجناء قد تعاهدوا أن من يحكم عليه بالإعدام يكبِّر، وعندما صدرت الأحكام تعالت الأصوات بالتكبير.

ثم تحرك الشيخ محمد الحامد رحمه الله مع وجهاء من مدينة حماة، وقابلوا أمين الحافظ ودار نقاش كبير، وفي النهاية أصر الشيخ الحامد على العفو عن مروان وإخوانه، لكن أمين الحافظ رفض في البداية وقال للشيخ: إن مجلس قيادة الثورة ليس فيه رجل سنيّ إلا أنا والباقي من العلويين والدروز والإسماعيليين والنصارى. ولكن إصرار الشيخ محمد جعل أمين الحافظ يستجيب ويصدر العفو عن الجميع.

وذهب الشيخ محمد الحامد مع الوفد للإفراج عن مروان وإخوانه، وكانوا وقتها جاؤوا بهم إلى حمص، وعندما رأى الشيخُ مروان الشيخَ محمدًا قال له: سامحك الله يا شيخنا لقد حرمتنا الشهادة في سبيل الله. فقال له الشيخ: والله لو رآك البنا لقرت عينه.

وجاء مروان إلى حماة فاستقبلته وإخوانَه المدينةُ، وعمت الفرحة، وكانت فرحة عظيمة، خرج مروان من سجنه كما يخرج الأسد من عرينه.

ولم يؤثر السجن على الشيخ فلم يعتزل ويبرر ذلك، وإنما بقي على العهد مع الله ومع دعوته، وعاد نشاطه من جديد، وسوف نتكلم عن ذلك فيما بعد.

وقد سجل الشيخ بعد ذلك في جامعة دمشق فرع الفلسفة حتى حصل على الشهادة الجامعية.

سجنه عام ١٩٦٦ والإفراج عنه ١٩٦٧:

بعد الإفراج عن الشيخ في ١٩٦٤ أخذ يعطي الدروس في رمضان بعد صلاة الفجر، فصرت أحضر هذه الدروس أحيانًا، ثم تطورت معرفتي به حيث كان أحيانًا يزور الشيخ محمد أديب كلكل رحمه الله، وكنت وقتها ملتزمًا بحضور دروس الشيخ محمد أديب، ومرة أتى لزيارة الشيخ ففتحت الباب ودخل وعند الخروج رافقته إلى الباب، وعندما هم بالذهاب قال لي: لو زرتنا في المسجد. فقلت له: إن شاء الله، وبالفعل صرت أتردد على مسجد الشيخ مروان. وفي شهر تموز من عام ١٩٦٦ داهمت قوات الأمن مسجد الشيخ واعتقلته، وفي الوقت نفسه هاجمت بيت الشهيد عثمان الأمين وقتلته، وكان ذلك في ١٦ ـ ٧ ـ ١٩٦٦م، وبقي الشيخ في السجن إلى هزيمة حزيران، وكان النظام قد اعتقل العديد من علماء سورية، منهم الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله، وبعد هزيمة حزيران أفرج عن الشيخ وعن جميع المعتقلين في سورية، وكانت الدولة توزع السلاح على الناس، فما كان من الشيخ إلا التوجه إلى مركز توزيع السلاح في مدرسة «صقر قريش» واستلام السلاح، والناس متجمعون حوله يسلمون عليه، وخلفه شابان يحملان البنادق وهما عمي مصطفى حمشو رحمه الله، وآخر لا يزال على قيد الحياة، فلا داعي لذكر اسمه.

وبـدأت معرفتي بالشـيخ تـزداد عن طريق عمـي مصطفى، فصـرت أزوره في المسـجد حتـى تطورت الأمور فـي عـام ١٩٦٩ وأصبحت ملازمًا لـه تقريبًا وكنت بالصـف الثاني ثانوي، في هذه المدة كان الشـيخ مسـجلًا في جامعة دمشـق بقسـم الفلسـفة وأحيانًـا كنا نقـرأ معًا، وكانت قراءة الشـيخ قليلـة ولكنه كان ذكيًّـا لماحًا، ومـن طريـف مـا حصل معـه (كما حدثنـي) جاء سـؤال مهـم بالامتحـان ولكنه لم يتمكـن مـن الإجابـة عليـه، فكتب فـي ورقـة الإجابـة مبـادئ الإخوان المسـلمين وأهدافهـم، ودعـا الدكتور (أسـتاذ المـادة) إلـى الانتظام فـي الجماعـة، وبعد مدة خرجـت النتيجة وكان مـن الناجحين.

استنفار الشباب للجهاد في فلسطين واعتقال الشيخ في ١٩٧٠:

في عام ١٩٦٩ أخذ الشيخ رحمه الله يعبئ الشباب للالتحاق بالعمل الفدائي في الأردن، حيث كان للإخوان قواعد مع منظمة فتح، تعرف بقواعد الشيوخ.

وكان رحمه الله يخرج إلى الأسواق في حماة ـ وأكون أحيانًا معه ـ ويطلب من بعض الناس إن كان عندهم عدد من الأبناء أن يرسلوا بعضهم إلى التدريب في الأردن، فاستجاب بعض الناس، ولكن كانت الاستجابة الأقوى من أفراد الجماعة، مع أن الجماعة كانت غير موافقة على ذلك ولكن مكانة الشيخ مروان رحمه الله لدى الشباب أدت إلى تجنيد الكثير منهم، وجاء عام ١٩٧٠ وكنا في المرحلة الثانوية وبعد الانتهاء من الامتحان توجهنا إلى الأردن للالتحاق بالعمل الفدائي، وكنا مجموعة ـ أكثر من عشرة أشخاص ـ وكان معنا الشيخ، وصلنا ليلًا إلى القواعد، وفي الطريق كنا ننشد نشيد الكتائب: (هو الحق يحشد أجناده)، وكان هذا النشيد من أحب الأناشيد إلى الشيخ مروان، وكان الهدف من الالتحاق بالقواعد هو التدريب من ناحية والمشاركة في العمل داخل فلسطين، ومن الذين كانوا معنا في هذه الرحلة الأخ نصر العيسى

رحمه الله (قتل أثناء التدريب بالخطأ)، والإخوة: نصر كيلاني، وتميم الشققي، وعمر جواد، وخلدون مرقة، وكلهم استشهدوا في سوريا في الثمانينيات من القرن الماضي، رحمهم الله جميعًا.

تركنا الشيخ وغادر إلى سورية، وبعد أيام عاد إلينا ومعه الأخ أحمد نوفل، وهو مسؤول القواعد يومها، وكان الوقت ظهرًا، وأمامنا طعام الغداء، وقف الأخ أحمد نوفل وقال لنا اجمع، تركنا الطعام ووقفنا في الطابور، والأخ مروان معه يراقب تدريبنا، وكان يومًا مشهودًا من التدريب العنيف، صعودٌ إلى الجبل، زحفٌ على الشوك، وركض خلف السيارة وهي تسير بسرعة ثم نرمي بأنفسنا، والشيخ ينظر ويبتسم، وهكذا إلى ما بعد العصر، وكنا قد تجاوزنا المنطقة إلى منطقة أخرى فيها قاعدة للشيوخ، وهناك استقبلنا الأخ مصعب بإطلاق ثلاث طلقات (دوشكا) تحية لنا، ثم وقف الأخ أحمد نوفل وأخذ يصب الماء على أيدينا واحدً واحدًا وكنا قرابة العشرين، وشربنا الشاي فلم أتذوق أطيب منه في حياتي، ثم قال الأخ أحمد: من يعرف منكم طريق العودة؟ قلت له: أنا. قال: أعطوه بندقية. وقال لي: خذ المجموعة إلى قاعدة الشهيد محمد سعيد باعباد. وهي مركز التدريب. وبالفعل سرنا ووصلنا قبل المغرب بقليل، وكان الأخ الشهيد مهدي الإدلبي يحرس القاعدة أثناء غيابنا، وعند وصولنا حيانا الأخ مهدي بوابل من الرصاص. هكذا عشنا هذا اليوم وتمتعنا به مع شيخنا رحمه الله. وبعدها بأيام استشهد معنا الأخ نصر العيسى خطأً، ثم أخذ إلى حماة حيث دفن هناك، وعندما وصل إلى حماة ضج أهالي الشباب الذين كانوا معنا، فأرسل الشيخ إلى الإخوة في القواعد أن أرسلوا الشباب إلى حماة، فذهبوا جميعًا، وبقيت أنا وأحد الإخوة.

وفي نهاية حزيران رجعت من الأردن، وكان الشيخ مروان في دمشق عند الأخ صفي عدي رحمهما الله، وفي اليوم الثاني وكان يوم الجمعة نزلنا إلى حماة بصحبة الشيخ، واتفقنا على اللقاء بعد صلاة الجمعة في جامع السلطان، لكن الشيخ اعتقل وهو في طريقه إلى المسجد، وبقي في السجن قرابة الشهرين.

وفي عام ١٩٧١ تسلم أسرتَنا الشيخُ مروان، وكنا أربعة، ثم ما لبث أن تركنا وغادر إلى حلب حيث تسلم الإشراف على طلاب الجامعة هناك، وتسلم أسرتنا من بعده الأستاذ عبد الغني سعد الدين رحمه الله حتى خروجنا من سورية عام ١٩٧٣، حيث ذهبت إلى المدينة المنورة للدراسة في الجامعة الإسلامية.

بعض مواقف الشيخ التي سمعتها منه أو كنت فيها

في محطة القطار:

قال: كنت عائدًا من الجزيرة (حيث كانت هناك مشروعات زراعية لوالده، وكان قد خرج من السجن لتوّه عام ١٩٧٠)، وكنت عائدًا في القطار، وعند توقف القطار في محطة الأمن طلبوا مني هويتي الشخصية وكان لا يحمل الهوية، وأرادوا توقيفه، فقال للمسؤول: اتصل بحافظ الأسد وقل له: مروان حديد موجود عندنا وليس معه هوية. فاعتذر منه المسؤول وقال له: تفضل!

قصة أخرى كنت معه فيها:

كنا عائدين من الساحل السوري من بانياس، وكنت أجلس بين السائق والشيخ مروان في المقعد الأمامي، فأوقفتنا دورية الجمارك في الطريق وطلبوا من السائق أن يفتح حقيبة السيارة الخلفية للتفتيش، وكنت قد وضعت مسدسي في حقيبة الملابس، فقلت له: يا أبا خالد المسدس في الحقيبة. فالتفت إليهم وسلم عليهم وعندما رآه أحد أفراد الدورية قال: مع السلامة.

قصة أخرى:

قال: كنت في حمص وأردت السفر إلى دمشق، وكان معي أحد الأخوة، وبعد ما ركبنا في السيارة، جاءت امرأة سافرة، فأراد السائق أن ينزلنا من السيارة من أجلها، فرفضت وأصر السائق، فقلت لمرافقي: اذهب إلى أبي إبراهيم النكدلي الملقب (باللغم) وقل له يريدك مروان. فلما سمع السائق اسم اللغم اعتذر مني، وكان اللغم رحمه الله له سمعته في حمص، وهو من الشباب الشجعان، ويحسب له حسابه.

هذه بعض مواقف أبي خالد رحمه الله، وأرى فيها توفيق الله له وقبوله عند الناس.

موقف مع مروان

في عام ١٩٧١ كانت هناك مناسبة، وأظنها انتخاب حافظ الأسد، دخلت مسجد السلطان يوم الجمعة لأداء الصلاة، فوجدت بعض الشباب واقفين أمام حرم المسجد ومنهم الشهيد عمر علواني ومحسن حوى، رحمهما الله، وأكرم الريس، فسألتهم: ما لكم؟ فقال لي عمر: ألا ترى أنهم - أي المخابرات - وضعوا صور حافظ على جدران المسجد أمام غرفة جمعية العلماء! وكنت أحمل مسجلًا بيدي فأعطيته لأحد الإخوة، ثم ذهبت إلى تلك الصور ومزقتها ورميت بها على الأرض، وتكلمت بكلام جارح لمن يقف أمام الصور من المخابرات، ثم دخلت المسجد لأستمع إلى خطبة الشيخ محمود الحامد ولم يكلمني أحد، وبعد الصلاة ذهبت إلى مسجد الشيخ مروان وكان موجودًا. فحكيت له ما حدث في مسجد السلطان، فالتفت إلي وقال: ماذا فعلت؟ قلت له: مزقت الصور. فربت على كتفي وأثنى علي. وهكذا كان مروان يزرع في نفوسنا الشجاعة وحب التضحية.

الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ورأي الشيخ بذلك:

كان رحمه الله يرى أن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف مناسبة نستغلها لنبين للناس حقيقة الإسلام، فنحن لا نستطيع أن نتصل بكثير من الناس إلا في هذه المناسبات، وكان رحمه الله لا يقر النشيد الذي فيه انحراف، وكذلك المغالاة، كما يفعل بعض الصوفية.

وبهذه المناسبة أتكلم عن احتفالات المولد التي عمت حماة عام ١٩٧١ وكيف حصلت هذه الاحتفالات، وسأتكلم عنها لأنني كنت طرفًا فيها.

ـ في يوم من الأيام كنت قادمًا من حي الشريعة، وفي الطريق عند دار الحكومة وجدت احتفالًا ضخمًا وإطلاقًا للرصاص، فسألت أحد المارة عن ذلك، فقال لي يحتفلون بمرور ٢٥ سنة على تأسيس حزب البعث، فكان هذا الفعل قد أثر في نفسي كثيرًا، وأنا في الطريق عرجت على أبي خالد، وكان في المسجد بعد المغرب، فسألني: ما بك؟ قلت له: الآن رأيت عند السرايا البعثيين يحتفلون بمرور ٢٥ سنة على تأسيس الحزب. فقال لي رحمه الله: لا تحزن، مولد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قريب جدًّا فلنهيئ الناس للاحتفال بهذا اليوم، وليكن أكبر بإذن الله.

والشيخ مروان إذا أراد أن يفعل شيئًا كرس كل وقته وطاقته لذلك، وبالفعل أخذ الشيخ يخبر كل من يرى عن نيته بالاحتفال بالمولد النبوي الشريف، وأحيانًا كنت أذهب معه إلى بعض التجار في الحاضر، فيقول: من يتبرع بالقماش؟ ومن يتبرع بأجرة التخييط؟ وغير ذلك، وبالفعل هبت حماة عن بكرة أبيها تزين البلد باللافتات والأنوار وعمت الفرحة جميع الناس. وفي يوم المولد تقاطر الناس إلى بوابة حي البارودية حيث أقمنا خيمة كبيرة وجاء فوج الكشافة وهم ينشدون: طلع البدر علينا، وكان للخيالة دور في هذا المهرجان حيث حملوا الرايات وهم يجوبون الطرقات، وبعد المغرب وقف الشيخ مروان خطيبًا في هذه الجموع وكنت أنا والأخ غالب حداد رحمه الله نقف إلى جانب الشيخ نحرسه.

ومما قاله الشيخ:

أيها الناس اسجدوا شكرًا لله أنه يوم من أيام الله، أيها الناس لا تطلقوا الرصاص بل ادَّخروه ليوم المعركة. ويقصد مع اليهود.

فبهذا الخطاب خاطب الشيخ الجموع وكان يهدئ الناس ولا يريد الصدام مع الدولة، وفي هذا الجو الاحتفالي أخذ الشيخ يستغل ذلك بالدعوة إلى الله

والالتزام بالإسـلام سـلوكًا، وكان كل يوم يتكلم في مسـجد من مسـاجد حماة على مـدة شـهر تقريبًـا، رحمك الله يـا أبا خالـد، لقد كنـت حريصًا علـى أن يلتـزم الناس بالإسـلام قولًا وعملًا.

أحداث الدستور:

في شهر آذار من عام ١٩٧٣، أصدر النظام في دمشق دستورًا جديدًا للبلاد، كان هذا الدستور لا يتناسب وأهل سورية المسلمين حيث ألغوا المادة التي تنص على أن دين الدولة الإسلام، فتصدى لهذا الدستور علماء سورية وعلى رأسهم الشيخ سعيد حوى رحمه الله، وأصدروا بيانًا يستنكرون فيه ما فعله حافظ بالدستور، ووزع في جميع المدن السورية، وعلى إثرها بدأت الاعتقالات، غير أن الشيخ مروان رحمه الله توارى عن الأنظار فلم يعتقل، وكان أخوه قد أقنعه بالذهاب إلى دمشق كما قال لي الشيخ، وكنت في دمشق حيث كنت ملاحقًا منذ عدة شهور قبل أحداث الدستور، وعندما وصل الشيخ إلى دمشق كان معه الأخ بسام أرناؤوط رحمه الله، وهنا بدأت مرحلة جديدة في حياة الشيخ، حيث بدأ الإعداد لعمل عسكري ضد النظام، بدأ اتصالاته ببعض الشباب، وخصوصًا أبناء مدينة حماة، وربما اتصل ببعض الإخوة في دمشق، منهم الأخ محمد جوهر، والأخ عربي جوهر عليهم رحمات الله، فاستجاب بعضهم وأعرض بعض آخر، ولكن الشيخ لم تؤثر به هذه المواقف وإنما استمر بالإعداد، وكان رحمه الله يؤمن بأن المسلم مكلف بإعداد ما استطاع وبعدها يكون التوكل على الله وحده، وهذه هي عقيدة الشيخ، وكان رحمه الله ضد نظرية العين لا تقاوم المخرز كما كان يقول الناس.

ومـن هـذا المنطلـق أخذ الشـيخ يعد العـدة، وربما شـكل مجموعـات جهادية

لكل مجموعة مسؤول عنها من الإخوة، وهكذا استمروا، وكان مما قاله: ربما لا يكتب النصر لنا بل للأجيال القادمة، ولكن ما علينا إلا العمل والاستمرار في هذا الطريق، وكان الشيخ قد درب في فتح كثيرًا من الإخوة، وجاء اليوم ليستثمر هذا في تدريب الجيل الجديد من أبناء الدعوة، حيث بدأ الإخوة عبد الستار الزعيم وغالب حداد وموفق عياش وغيرهم من الشباب بالإعداد والتدريب في غابات الفرنلق في اللاذقية.

جاءني الأخ الحبيب غالب حداد مساء يوم الخميس وبقي عندي حتى ساعة متأخرة من الليل، وكان وقتها يخدم العسكرية الإجبارية، وقال لي: سوف آتيك يوم الخميس القادم عندنا مشوار. ولم أسأله إلى أين؟ ويوم الإثنين اعتقل الشيخ في دمشق بعد مداهمة البيت، ثم اعتقل غالب من القطعة العسكرية يوم الأربعاء، وباعتقال الشيخ مروان تفرق الشباب وأصبحوا كالغنم في الليلة الشاتية كما قلت من قبل، وبقي الأمر على ذلك مدة من الزمن، ثم غادرت سوريا بعد أكثر من شهرين إلى لبنان ومن هناك إلى المدينة المنورة، وبعد ذلك قام الأخ عبد الستار بتجميع شمل الشباب وبدأ العمل العسكري، والذي استمر إلى عام ١٩٨٢م حيث حدثت مجزرة حماة، والتي راح ضحيتها ما يقارب الثلاثين ألفًا [وحوالي سبعة عشر ألف مفقود].

وكان الشيخ كما ذكرت من قبل قد وجه رسالة لعلماء سورية يحثهم فيها على الدعوة إلى الجهاد والتصدي لحكم النصيريين الكافر، فمنهم من قبل ذلك ودعا للشيخ بالتوفيق كالشيخ حسن حبنكة رحمه الله، ومنهم من رد ردًّا قاسيًا وشتم حامل الرسالة كالبوطي. وسوف أرفق صورة عن الرسالة التي وجهها إلى العلماء في الملحق.

ـ تنقل الشيخ في دمشق إلى عدة بيوتات منها بيت الميدان الذي بقي فيه أكثر الوقت، وفي يوم من الأيام أتيت إليه في بيت الميدان وقلت له: يا أبا خالد أريد السفر إلى المدينة المنورة، حيث جاءني قبول في الجامعة الإسلامية، فلم يوافق لي على السفر، وقال: نحن الآن في طور عمل عسكري. قلت له: يا أبا خالد أنا لا أريد أن أكلف أهلي أكثر من طاقتهم، وكنت مستأجرًا بيتًا في الميدان، فقال لي: تعال اسكن معي هنا، والذي يأتيني من أهلي ويأتيك من أهلك نصرفه معًا، سكتُّ، وقلت له: أفكر في الأمر، وبعد عدة أيام كنت أحاول مع الشيخ لعله يقتنع بسفري، وفجأة قال لي إذا سافرت ولزم أن تعود هل تعود؟ قلت: مباشرة ولا أترددَ إن شاء الله. سافرت إلى المدينة وكان وقتها العشر الأول من رمضان ١٩٧٣م وعند وصولي إلى المدينة كانت الحرب بين سورية وإسرائيل قد نشبت، وعندها قررت العودة إلى سوريا ولم أبق في المدينة إلا أقل من عشرة أيام عدت بعدها إلى دمشق على أمل أن النظام سوف يسقط ولا حاجة عندئذ للابتعاد عن الوطن، فجئت إلى الشيخ وكان في بيت الميدان، فوجدته وحده ليس عنده أحد، وكان العشر الأخير من رمضان، وكانت آخر أيام الحرب، فجلست عنده، وقال: لن تذهب إلى حماة حتى يأتي بسام، جلست هذه المدة مع الشيخ في بيت الميدان، وذات ليلة كنا نائمين على السطح وفي منتصف الليل أيقظني وقال: سمعت حركة، ولا أدري هل سمع حركة حقيقية أم أراد اختباري؟ فنزلت السلم وأخذت السلاح إلى السطح فلم أر شيئًا، وفي نهاية رمضان جاء الأخ بسام وقال لي الشيخ: الآن اذهب إلى حماة، وصلتها صباح العيد، وفي اليوم الثالث عدت إلى دمشق، فسألني الشيخ عن عمي مصطفى رحمه الله فقلت: إنه يخدم (الاحتياط). فقال أريد أن أراه. وكان عمي في دمشق، فأخبرته بأن الشيخ يريدك، فذهبنا إليه وقابله، واتفق معه على العمل الجهادي وتدريب الشباب، وبعد انقضاء إجازة العيد، كنت

في حماة وأتيت إلى دمشق من أجل السفر إلى المدينة، ولكن بقيت أيامًا عند الشيخ، وفي كل يوم أذهب أنا والأخ بسام إلى كراج السيارات للسفر، ولكن أعود إلى البيت وأؤجل وكأني أريد البقاء بجانب الشيخ، وبعد ثلاثة أيام قال الشيخ: اليوم سافر ولا تعد، فسافرت إلى المدينة وكنت عندما أعود إلى سوريا في الصيف أبقى معظم الوقت إلى جانب أبي خالد رحمه الله.

ـ ومرةً قال لي الشيخ رحمه الله: جاء صاحب البيت وجلس في أرض الدار، وأنا داخل الغرفة أسمع ما يقول، سأل الإخوة الذين يسكنون البيت وهم موفق عياش، وهاشم دبيس رحمهما الله: أين مروان حديد؟ سمعت أنه في ليبيا، هل هذا صحيح؟ والشباب يقولون له: ربما يكون هناك. قال وأنا أسمع ذلك، ومرة أتيت إلى بيت الشيخ محمود وكان الشيخ موجودًا عنده، فقلت له: يا أبا خالد المكان غير مناسب فهذه منطقة صناعية، وسيارات المخابرات تأتي بكثرة للتصليح، المكان هو زقاق الجن.

فقال لي الشيخ: سوف أغير البيت، ولكن بعض الإخوة لا يريدون لي الانتقال إلا أن أخضع لرغباتهم وإملاءاتهم من حيث المنع أو السماح للقاء أي شخص يرغبون هم فيه، نظرت إلى الشيخ فرأيت عينيه تذرفان الدموع، وقال لي: هؤلاء مثل تلاميذي يريدون أن يفرضوا عليّ ما يريدون، لذلك رفضت ذلك، ولا أحب أن أذكر أسماء هؤلاء رغم معرفتي الوثيقة بهم.

رجعت من المدينة المنورة إلى سورية بعد انقضاء العام الدراسي في أواخر حزيران ١٩٧٥م وكانت هذه آخر مرة أدخل فيها سورية وآخر مرة ألتقي بها الشهيد الحبيب.

سألت الأخوة عن مكان الأخ أبي خالد فقال لي الأخ صفي: إنه في بيت شهم

في منطقة العدوي. وفي المساء ذهبت أنا والأخ صفي والأخ رياض رحمه الله، وفي الطريق لاحظت أن البيت مراقب، وعندما دخلت البيت رأيت أحذية نسائية، فقلت له أبا خالد هل تزوجت، قال لي المرأة هنا ولكن الزواج سوف يكون في البيت الجديد، فقلت يا أبا خالد البيت مراقب!! قال سوف نغيره قريبًا، وأمضيت عدة ساعات معه، وكان هناك عدد من الشباب منهم الأخ بسام أرناؤوط، وهذا قبل اعتقاله بأيام قليلة، وكان ذلك آخر لقاء به رحمه الله.

وفي اليوم الثاني سافرت إلى حماة وكان اليوم يوم الأربعاء إن لم تخني الذاكرة، وفي يوم الجمعة جاءني الأخوين عداب الحمش وبسام أرناؤوط، فقال عداب: إن أبا خالد يريد أن يراك. قلت له: إن شاء الله يوم الإثنين سوف أسافر إلى دمشق، ومن خلال الحديث عرفت أن الأخ بسام قد نقل كلامًا لأبي خالد عني أثناء بعض الاستفسارات منه فظن بسام أني قد غيرت الطريق، فأراد الشيخ أن يتأكد من ذلك ويطمئن هل تغيرت أم مازلت على العهد؟ فقلت لبسام: ماذا قلت لأبي خالد؟ قال معقبًا على كلامي، حيث كنت خائفًا من فشلنا واعتقالنا قبل أي عمل، فاستنتج بسام من كلامي أني تغيرت فنقل الصورة لأبي خالد، فكلف الشيخ رحمه الله عداب الحمش عند سفره إلى حماة أن يبلغني رغبته في لقائي، وهنا أردت السفر إلى دمشق حيث اتصل بي الأخ مصطفى عادلة رحمه الله واتفق مع الأخ أبي صفوان فريد قداح على الذهاب إلى الشيخ وأن أكون رفيقهم، ولكن أبا صفوان ذهب إلى حلب أولًا، وعندما رجع من حلب كان الوقت متأخرًا من الليل فأخذ معه مصطفى وسافرا إلى دمشق، ووصلا صباحًا وبعد ساعات قليلة دوهم بيت أبي خالد واعتقلا، أما مصطفى فاستشهد داخل السجن، وأما فريد قداح أبو صفوان فلبث في السجن أكثر من عشر سنين، ثم خرج.

خطب الشيخ:

كان الشيخ رحمه الله، يحث الناس في كلماته التي كان يلقيها في المناسبات، وخاصة أيام المولد، على الالتزام بالإسلام، وعدم مداهنة الظالمين، وكان يردد دائمًا ما ورد عن رسول الله ﷺ: «من أعطى الذلة من نفسه طائعًا غير مكره فليس مني»[١].

ويزرع في نفوس الناس أن المسلم عزيز بإسلامه، ويقول أيضًا: «لَموت في طاعة الله خيرٌ من حياة في معصيته»[٢]. ولا نرضى بغير الإسلام حكمًا، وكان رحمه الله يخاطب الحكام قائلًا: نحن لا نريد أن ننازعكم الحكم، احكموا بالإسلام ونحن معكم.

وكان رحمه الله أزهد الناس بالمناصب وأزهدهم بمتاع الدنيا، وأحيانًا يحث الناس على التحاكم إلى المحاكم الشرعية ورفض المحاكم المدنية؛ لأن قوانينها ليست من الإسلام وإنما هي مستوردة، ويقول: لنتحاكم في خصوماتنا عند علمائنا ويتلو الآية الكريمة:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

ومما كان يقول رحمه الله: نحن عندما نتكلم نتكلم بوحي من عقيدتنا، وعندما نعمل نعمل بوحي من إسلامنا لا نخاف في الله لومة لائم، نحن آمنا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبيًا ورسولًا.

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٤٧١)، عن أبي ذر، مرفوعًا. قال الطبراني: لا يروى هذا الحديث إلا بهذا الإسناد، تفرد به: يزيد بن ربيعة. ويزيد بن ربيعة ضعيف الحديث.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢٠/ (١٧٢)، والمعجم الصغير (٧٤٩)، ومسند الشاميين (٦٥٨).

وكان يحث الناس على تربية أولادهم تربية إسلامية، فيقول: قال رسول الله ﷺ: «مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها لعشر»[١].

ثم يقول: (علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل) قول لعمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ حتى يكونوا أقوياء قادرين على الذود عن حياض أوطانهم ودينهم.

كان الشيخ يتطلع إلى تربية جيل يحمل الإسلام ويعمل له ويضحي في سبيله، وكان يذكرنا بقصص الصحابة رضي الله عنهم، وكيف كانوا يستبسلون في الدفاع عن دينهم، من ذلك قصة مصعب بن عمير، وعمير بن الحمام وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم الذين قاتلوا مسيلمة، وكيف كانوا يجيدون فن القتال والتضحية في سبيل الله، وأحيانًا يذكر قول سيدنا علي رضي الله عنه وهو ينظر إلى التابعين فيقول: «والله لو رأوكم ـ أي الصحابة ـ لقالوا عنكم فاسقين، ولو رأيتموهم لقلتم عنهم مجانين».

ومن لطيف مقارباته وتشبيهه حالنا مع الطغاة أنه كان يذكر قصة الرجل المجنون الذي دخل الحمام وأخذ يتعرض للناس بالضرب والشتم مما دفع زبائن الحمام إلى الهرب والخروج منه، لكن أحد العقلاء عندما شاهد الناس يصرخون مذعورين من المجنون تبرع بإخراج هذا المجنون بالطريقة التي تناسبه، فدخل الحمام وهو يصرخ ويضرب بالطاسات لتخويف هذا المجنون، فما كان منه إلا الانطلاق نحو الباب وهو يصرخ: في الحمام مجنون في الحمام مجنون. وكان يهدف من سرد

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٥٠١) وأحمد (٦٦٨٩) و(٦٧٥٦) وأبو داود (٤٩٥) و(٤٩٦) و(٤١١٤)، والعُقيلي في الضعفاء (٢٤٠٧)، عن عبد الله بن عمرو، مرفوعًا، في إسناده سوار بن داود، ساقه العقيلي في ترجمته وقال: لا يتابع عليه، وليس يروى من وجه يثبت.

القصة أن المجنون لا يخرجه إلا مجنون، فإن كان هؤلاء الطغاة مجانين في باطلهم فنحن مجانين في حقنا، وكان يقول: (والله لا يخرج المجنون إلا مجنون).

وأما الوطن والعشيرة فكان لهما نصيب من خطبه ووعظه، وكان يقول:

إننا نحبهم ولكن حبنا لديننا ورسولنا أشد وأكثر من ذلك بكثير، ونحب الجهاد في سبيل الله مستشهدًا بقول الله عز وجل: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

وكثيرًا ما كان يختم كلماته المقتضبة بالعهد مع الله، ويقول: رددوا معي يا شباب: نعاهد الله على العمل للإسلام والالتزام به، وألا نقبل بغير الإسلام حكمًا، وأن نساعد الفقير والمحتاج، وأن نعمل على رفع راية الجهاد في سبيل الله.

وكان يذكر أحيانًا وعد السلطات له في محاكمة ١٩٦٤ أنهم سوف يحكمون بالإسلام، فيذكرهم في خطبه أن ينفذوا وعدهم، وأحيانًا يسمي المسؤولين منهم مصطفى طلاس ومحافظ حماة عبد الحليم خدام، ويختم بقوله:

ها هم شبابك يا رسول الله يبايعونك على الموت في سبيل الله. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

هـذا هـو الشيخ مروان روح وثابة لا تعرف الكسل، عقيدة صافية، ولاء لله ورسوله، براءة من الكافرين والمنافقين، وزهد في الدنيا وتعلق بالآخرة فعقيدة البراء والولاء واضحة في كل خطبه رحمه الله.

شِعْر الشيخ:

ما كان يقوله في خطبه تجلى في شعره، الذي هو أقرب إلى الأهازيج والأناشيد مع أن الشيخ ليس شاعرًا، وإنما أجرى الله على لسانه هذه الأناشيد حينما كان متخفيًا في دمشق، وله بعض الأشعار حينما كان في حماة، وإذا نظرت إلى شعر الشيخ مروان رحمه الله تراه يتكلم في الدرجة الأولى عن الجهاد والشهادة، وسوف أذكر بعض الأبيات في الصفحات المقبلة.

ترك الشيخ مروان ديوان شعر تم طبعه ونشره، ولولا أن هداني الله إلى نسخة منه لضاع وذهب لأيدي المخابرات السورية، التقيت بالأخ فارس شعار رحمه الله وكان يتردد على الشيخ في دمشق، وبعد اعتقال الشيخ هرب فارس إلى الأردن، وعندما رأيته في عمان قال لي: إن ديوان الشيخ عندي. فقلت له: أنا أحق به. لكنه اعتذر عن أن يعطيني إياه، فقلت له: إذًا أكتبُه؟ فقال لي: لا مانع، فقمت بنسخه نسختين وأعطيته الأصل. غير أن المخابرات السورية اقتحمت بيته بعد مدة وجيزة وأخذت محتوياته ومن ضمنها الديوان، وكنت قد احتفظت بنسخة من النسختين اللتين نسختهما، وبعد مدة أعطيته لأحد الإخوة فراجعه، ثم دفعنا به إلى المطبعة، والآن هو مطبوع في الأسواق.

ومن أروع قصائد الديوان قصيدة: يحب الله من يصبر، حيث أنشدها أحد الإخوة في بيت الشيخ وسجلتها مباشرة، وأخذتها معي إلى المدينة المنورة، وهناك تلقفها الطلاب.

يقول فيها:

يحـــب الله مـــن يصبـــرْ ⠀⠀⠀⠀ وبالأهـــوال لا يضجـــرْ

يقاتلهـــمْ برشَّـــاشٍ وبالبـــارود والخنجـــرْ
ويصعقهـــم بألغـــام ويرعبهـــمْ إذا كبـــرْ

إلى أن يذكر ما يرتجى من خطاب الله للشهيد يوم القيامة:

.... تمـــنَّ علـــيَّ بـــل واخترْ
ومـــا ترجـــوه موجـــودٌ ومـــا نعطيكـــه أكثـــرْ

وتراه في قصيدة أخرى يتحدى الطغيان والظالمين بهذه الأبيات:

اقتُلونـــي مزقونـــي أغرقونـــي فـــي دمائـــي
لـــن تعيشـــوا فـــوق أرْضـــي لـــن تطيـــروا فـــي ســـمائي
بِعتُـــم الجـــولان ســـلمًا دون ســـفك للدمـــاءِ
يـــا ســـيوف الله هبِّـــي مـــن ســـباتٍ لضيـــاءِ
وارفَعـــوا رايـــات ديـــنٍ حكِّمـــوا شـــرع الســـماءِ

وها هو يصف حال الشهيد بعد الشهادة فيقول:

عـــاد بعـــد المـــوت حيّـــا ذِكـــره كان عليًّـــا
فـــي جنـــان الخلـــد يمشـــي هانـــئ النفـــس رضيًّـــا
كان فـــي الدنيـــا شـــجاعًا ثابـــت الخطـــو أبِيًّـــا
فلقـــد ضحـــى بـــروحٍ بالفِـــدى كان حريًّـــا
إنـــه والله حقًّـــا كان شـــهمًا أريحيًّـــا

وتراه يصف حال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بداية الدعوة فيقول:

رســـول الله كـــم لاقـــى | مـــن الأعـــداء إرهاقَـــا
فلـــم يضعف ولـــم يقعدْ | عـــن التبليـــغ إشـــفاقَا

رســـول الله لـــم يرغَبْ | بدنياهـــمْ عـــن الحـــقِّ
ولـــم يُقعـــدْه تهديـــدٌ | عـــن التبليـــغ للخلْـــقِ

وتراه يتكلم عن العالِم الذي لا هم له إلا الدنيا فيقول:

أخـي يا أخي من هـو العالـمُ | أذاك الـذي فـي الدجى نائمُ
أمَـن كان فـي يوَمـه غافـلًا | ومَـن هـو فـي رزقـه هائـمُ

أمـــن كان إخوانـــه فـــي الســـجون | ويرجـــو الســـلامة ذاك الخـــؤون
ويهنـــأ فـــي عيشـــة المترفيـــن | ومـــن بعـــده فليكـــن مـــا يكـــون

ثم يصف العالِم المسلم فيقول:

يصـــوم النهـــار يقـــوم الليالـــي | ويعطـــي الفقيـــر ويدنـــي الصغيـــرْ
ويشـــهر ســـيفًا بوجـــه الطغـــاة | ويصـــدع بالحـــق قلـــب الأميـــرْ
مـــع المؤمنيـــن رحيـــم لطيـــف | علـــى الظالميـــن شـــديدُ عنيـــف

وهنا تراه يترنم بالشهادة ويتمناها وكأنه يرى مصيره رحمه الله قال:

لا تحزنـــوا يـــا إخوتـــي ... إنـــي شـــهيد المحنـــةِ
يـــا فرحتـــي بمنيَّتـــي ... اليـــوم أنهـــي غربتـــي
وكرامتـــي بشـــهادتي ... هـــي فرحتي ومســـرتي
فـــي ظـــل عـــرش إلهنا ... أبغـــي لقـــاءَ أحبتـــي

وهنا كذلك نرى الشيخ يخاطب جراحه وأنها برهان حبه لله فيقول:

يـا جراحـي يـا جراحـي يـا جراحي ... أنتِ فخري أنت نوري معْ صباحي
أنـــتِ برهانـــي علـــى حبـــي لربـــي ... ونجاتـــي يـــوم حشْـــري وفلاحـــي

وهنا قصيدة أخرى يزف فيها الشهيد فيقول:

الحـــور تهتـــف بهجـــة زُفَّ الشـــهيدْ ... والحـــور تأبـــى أن تـــزف إلـــى البليـــدْ
وجنـــان عـــدْنٍ لا ينـــال رحابَهـــا ... إلا شـــهيد طـــاب مســـعاه الحميـــدْ
الحـــورُ فيهـــا تشـــرئبُّ لقـــادمٍ ... وهتافُهـــا وافرْحتـــا زُفَّ الشـــهيدْ

وتراه في مكان آخر يتكلم عن المقاتل المسلم فيقول:

ســـلاحي مـــن عـــدوي والذخيـــرهْ ... وأهدافـــي وإن بعُـــدتْ كبيـــرَهْ
أُطهِّـــر أرضَنـــا مـــن كل كفْـــرٍ ... وأجْـــأرُ للإلـــه علـــى بصيـــرَهْ

وتراه يعلن الجهاد فيقول:

تركْـــتُ الـــدار دار أبـــي وأمِّـــي ... وعفْـت الأهـل مـعْ خالـي وعمـي

وأعلنْــت الجهــادَ لأجــل دِينــي   وقاتلْــتُ الطغــاةَ طغــاة قومــي
وحبِّــي للجهــاد يفــوق حبــي   لأوطانــي ونصْــرُ الدِّيــن همــي

وتراه يتغنى بوصايا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيقول:

رســولُ الله أوصانــا   مــع القــرآن إخوانــا
وهــذي الــروح لا تشــقى   وفينــا هــذْيُ مولانــا
ولا نرضــى بســلطانٍ   لديــن الله قــد خانــا
ولــم يحكُــمْ بتنزيــل   بــه الرحمــن أحيانــا

وتراه لا ينسى فلسطين فهو يعيش همها فيقول:

فلســطينُ ضاعــت وأنتــم نيامٌ   ومــات الضميرُ وحلَّ الســلام
ولُذْتُــمْ بصمــتٍ فيــا للطغــام   تبــاعُ البــلادُ ويخشــى الكلام
فلســطينُ بُوركتَ أرْض الجدود   أُســود الإلــه لصــرع اليهــود

ثم تراه رحمه الله يشتاق إلى الجنة فيقول:

لهيــبُ الشــوق للجنَّــةْ   يصبِّرنــي علــى المحْنــةْ
وزادي فــي الوغــى دومًــا   مِــن القــرآن والســنَّةْ

ويقول في همِّ القبول:

أحــزانُ قلبــي لا تزولْ   حتــى أُبشَّــرَ بالقبــولْ
وأرى كتابــيَ باليميــن   وتقــرُّ عيني بالرســولْ

نَـمْ قريـر العيـن أبا خالد، أدعـو الله أن تكون قـد قرَّت عينك بما عنـد الله، وأن يكون شـوقك للجنة قـد تحقق وقد سـعدت بها.

وكان آخر شعره في السجن قصيدته المشهورة:

الـروح ستشـرق مـن غدها   وسـتلقى الله بموعدهـا

وكانت هذه القصيدة قبل إشراقة روحه إلى بارئها.

هكذا نرى شعر الشيخ رحمه الله يتكلم عن الجهاد وعن الشهادة التي كان يتمناها ويعشقها، وأرجو الله أن يتقبله شهيدًا.

موقف الشيخ من الجماعات الإسلامية

١ ـ موقف الشيخ من جماعة الإخوان المسلمين وموقفه يوم حل عبد الناصر الجماعة:

كان الشيخ مروان رحمه الله يعشق دعوة الإخوان، وينافح عنها بكل قوة، وكانت تسري في دمه، غير أنه لا يعتبرها جماعة المسلمين، وإنما يعتبرها أفضل الجماعات التي تمثل الإسلام، وكان رحمه الله يكن الاحترام لكل الجماعات الاسلامية، ولا يعادي منها أحدًا، وإنما كان عداؤه لمن اعتنق فكرًا معاديًا للإسلام لبطلان دعواهم وضلال آرائهم.

ويوم حل عبد الناصر جماعة الإخوان قال لي الشيخ نافع العلواني: جمعنا الإخوان في بيت الأستاذ مصطفى الصيرفي، وكان من الحضور الدكتور عبد الكريم عثمان رحمه الله، وعندما منع عبد الناصر الأحزاب وحل جماعة الإخوان، قالوا لنا [يعني قيادة الإخوان]: كل الذي بيننا وبينكم قد انتهى. يقول الشيخ نافع: فالتفت إليَّ الشيخ مروان وقال لي: هذه هي جماعتك! حيث إن الشيخ نافع كان سببًا في دخوله جماعة الإخوان.

ويقول الشيخ نافع: فافترقنا عن الإخوان، وبقيت أنا والشيخ مروان نتابع عملنا الدعوي، كان الشيخ مروان يذهب إلى القرى وأنا في حماة، واستمرت العلاقة بيننا، ولم نفترق إلا بعد اختفاء الشيخ ثم نيله الشهادة.

وعندما حدث انشقاق في صفوف الجماعة في أواخر الستينات من القرن الماضي حرص الشيخ أن يبقى مركز حماة على الحياد، وذهب يسعى بكل طاقته لرأب الصدع ولم الشمل.

وهكذا كان الشيخ مروانِ يحب أن يرى الجماعة وحدة واحدة، ولم يعرف عنه خلال مسيرته الدعوية أنه أراد الانشقاق، أو أراد أن يُكوِّن جماعة لنفسه مع استطاعته فعل ذلك لما له من مكانة ومحبة عند الشباب.

وكان يقول رحمه الله ـ وهذا ما سمعته منه مرارًا ـ: نحن لسنا تنظيمًا مستقلًّا، نحن مهمتنا الرئيسية أن نحمل الإخوان على تبني الخط الجهادي، ومتى أعلنوا ذلك تكون مهمتنا قد انتهت، وهناك في الجماعة المنظرون والمربون.

وقال لي: لقد طلب الإخوان مني أن أجمد العمل الجهادي الآن. وكان وقتها في بيت الميدان في دمشق. قلت له: ماذا قلت لهم؟ قال: طبعًا لم أستجب، وإنما كان جوابي عندما أريد التحرك بعملي العسكري سوف أخبركم حتى لا تقولوا مروان ورطنا، ومن أراد منكم حينئذ أن يغادر البلد فليغادر.

أما عن اسم (الطليعة) فالشيخ مروان رحمه الله لم نسمع منه كلمة واحدة يقر بهذا أو بغيره، وكان حريصًا على اسم الإخوان المسلمين، وعندما بحث اسم المجموعة التي تعمل مع الشيخ قال: نسميها (حزب الله). وهذا طبعًا قبل أن يكون قد تأسس حزب الله اللبناني الشيعي، وكان يحب هذا الاسم؛ لأن الله يقول: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [المائدة: ٥٦].

٢ ـ موقف الشيخ من حزب التحرير:

كان معجبًا بهم لحماسهم لفكرتهم، غير أنه يأخذ عليهم تقصيرهم في جوانب شرعية، فهم يتساهلون في كثير من الأحكام، ولقد حدثني رحمه الله عندما كان في سجن الحسكة، عن مخالفاتهم الشرعية، حيث كان بعضهم معتقلًا معه، إضافة إلى طلب النصرة من الكافر.

٣ ـ موقف الشيخ من جماعة الدعوة والتبليغ:

كان رحمه الله ينكر عليهم الاقتصار على الخروج والدعوة فقط، لأن الإسلام أوسع من ذلك، وكان يشجع الشباب على الخروج معهم لتعلم أسلوب الدعوة، والاستفادة في هذا المجال.

٤ ـ موقفه من التصوف:

وهو كما قال الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله، دعوة سلفية، وطريقة سنية، وحقيقة صوفية، الشيخ رحمه الله كان سلفي العقيدة صوفي السلوك، أي أن عقيدته اتباع منهج السلف الصالح وهي الأسلم والأحكم، وصوفي السلوك بعبادته وتواضعه، وكما قال الشيخ محمد الحامد رحمه الله: الصوفية أخلاق، من زادك في الأخلاق فقد زادك في التصوف. وكان يأخذ على الصوفية تحريف لفظ الجلالة بالذكر، والقيام بالحركات الكثيرة.

ومرة كنت مع الشيخ والأخ صفي رحمه الله نسير بالقرب من جامع النوري في حماة فسمعنا صوت ذكر، وكان بعض الإخوة الصوفيون يقيمون ذكرًا في هذا المسجد، فقال لنا الشيخ: أتدخلون إلى المسجد؟ قلنا: لا بأس. وعندما دخلنا أمسكوا بيد الشيخ وأخذوه إلى صدر الحلقة، وأوقفوه بين اثنين، أذكر واحدًا منهم هو الشيخ أحمد الجمال، ووقفنا نحن مع الذاكرين، وكان كلما أراد أحد الإخوة الممسكين بالشيخ القفز والحركة كان الشيخ يمسك بهما ويثبتهما.

ومرة أخرى كنت مع بعض الشباب فأردنا أن نشوش عليهم في جامع النوري، فذهبوا إلى الشيخ وشكونا عنده، فقال لي الشيخ مروان: لم فعلتم هذا؟ حاولت التهرب من المسؤولية، فقال الشيخ: إذا أردتم أن تذهبوا إلى الذكر

فاذهبوا ولكن لا تخالفوا الشرع، أما أن تشوشوا عليهم فهذا لا يليق بكم. وامتنعنا عن هذا الفعل بعد ذلك.

٥ ـ موقف الشيخ من الأحزاب العلمانية:

كان الشيخ رحمه الله على عداء دائم مع الأحزاب العلمانية الاشتراكية منها والشيوعية وغيرها، وذلك لاعتقاده أن هذه الأحزاب قامت في الأصل على عداء الإسلام والكيد لأبنائه، ففي حماة كان حزب أكرم الحوراني من أشد الأحزاب التي تعادي الملتزمين بالإسلام وأهله، وكان إخوة الشيخ من أتباع هذا الحزب فهو يعرف خباياه، ومع ذلك كان يحترم إخوانه ولكن لا يجاملهم على حساب الدين وهم بالمقابل يحترمونه ويقدرونه.

٦ ـ موقف الشيخ من الديمقراطية:

كان الشيخ رحمه الله يعتبر الديمقراطية أكذوبة وضلالًا، ويقول: الديمقراطية حكم الشعب للشعب، ونحن نريد حكم الله للشعب، والديمقراطية لا قيمة لها إن لم تتماش مع مصلحة الغرب.

وبالفعل هذا ما ثبت في انتخابات الجزائر وانتخابات فلسطين وانتخابات مصر وغيرها، عندما تقدم الإسلاميون سقطت دعاوى الديمقراطية وانقلب عليها أهلها.

تفاعل الشيخ مع المجتمع وحرصه على الروابط الاجتماعية

كان رحمه الله يشارك الناس في مناسباتهم، وكثيرًا ما كان يشارك في تشييع موتاهم ويحضر مجالس العزاء ويواسي ذويهم، وكذلك كان يشاركهم في أفراحهم ومسراتهم، وفي موسم الحج يأتي إلى بيوت الحجاج ليسلم عليهم، ويستغلها فرصة للحديث إلى الناس، وكذلك يذهب إلى مضافات الأحياء أوما يسمونه في حماة بالمنزول، ويعظهم ويذكرهم بواجباتهم تجاه دينهم، وفي عام ١٩٧٠ كنت معتقلًا في الشعبة السياسية فكان يذهب لتهنئة الحجاج بسلامة الوصول، وفي حديثه للناس يقول بأعلى صوته: إن كان هناك أحد في الحضور من المخابرات فليقل ماذا فعل فلان حتى يعتقل؟ ويهاجم السلطة، وكان عمي مصطفى يقول له: يا أبا خالد إن ابن أخي يخرج بعد مدة. وكان بذلك يريد أن يجنب أبا خالد الأذى من السلطة.

وعندما خرجت من السجن بعد تسعة عشر يومًا وصلت البيت قبيل العصر، وأول ما فعلت أمسكت الهاتف واتصلت بالشيخ، ولم يمض من الوقت إلا القليل، وإذا به مع مجموعة من الإخوان يأتي ليطمئن عليَّ، هذا هو الحب والحنان عند شيخنا لإخوانه.

عندما توفي الأخ غازي نيربية رحمه الله وكان قد صدمته سيارة في بانياس، وأتوا به إلى حماة مشت خلفه جنازة مهيبة، تصدرها الشيخ مروان وبعض الإخوة، وفي مقبرة باب البلد وقف الشيخ محمود الحامد خطيبًا فأبكانا ـ وكنت مع الشيخ مروان ـ فجلست على ركبتي وأنا أبكي، فوضع رحمه الله رأسه على ظهري وهو

يبكي، ولا أدري لعله تذكر الأخ غازي عندما كان في المعتقل عقب ثورة ١٩٦٤ وكان غازي رحمه الله من الإخوة الذين تحملوا العذاب عن غيرهم في سجن تدمر. رحم الله الشيخ ورحم الله الأخ غازي لقد كان من خيرة إخواننا.

كان الشيخ محبوبًا لدى الناس، فكنا عندما نسير في الطريق، تراهم عن يمين الطريق وشماله كل واقف ينتظر السلام من الشيخ، وربما تعبت يد الشيخ من السلام. ولا أقول هذا مبالغة، فلقد شهدت ذلك مرات وبخاصة في سوق الطويل.

كانت طلعة أبي خالد بهية مهابة وكأن النور يشع من وجهه، ولعل كثيرًا ممن يعرف الشيخ يشاطرني هذا الشعور، رحمة الله عليك يا سيدي أبا خالد.

لقد انطبق علي قول الشاعر بعد فقدك أيها الحبيب:

ذهب الذين أحبهم ... وبقيت مثل السيف فردا

عمل الشيخ بالتجارة والزراعة:

استأجر الشيخ أرضًا على ساقية الري وزرعها، ولكن كانت المزرعة أشبه بساحة للترفيه عن الشباب، ولم أكن يومها من الملازمين للشيخ، وهذا ما حكاه لي الأخ أكرم الريس.

ثم حاول أن يعمل بالتجارة ففتح دكانًا للخضار يديرها الإخوة، لكن هذه التجارة خسرت كذلك.

ثم زرع أرضًا كانت له وللأخ صفي عدي في قرية اسمها (تل قرطل)، وكنت أحيانًا أذهب إليها برفقتهما (الشيخ والأخ صَفي)، ولم يجن منها أرباحًا أيضًا، وكأن الله خلقه لغير هذه المهمة، فهو داعية من نوع فريد حامل لواء الجهاد.

أما مسجد الشيخ مروان فكان قبل ذلك زاوية مهجورة يعبث بها الأولاد،

فأصلحها الشيخ، وجعل فيها غرفة نجلس فيها، وجعل لها مئذنة من الحديد، وفي أعلى المئذنة سيفان ومصحف، وهو شعار الإخوان، وأصبحت تسمى باسم الشيخ مروان، ثم هدمها المجرمون بعد استشهاده.

تحمل الشيخ للعذاب في السجن:

١ ـ في سجن تدمر ١٩٦٤:

مما حدثني الشيخ عن ذلك قوله: كانوا يضربونني على أقدامي حتى أفقد صوابي، وكنت أشعر وأنا أضرب بأن الكون يسبح الله من حولي، وعندما أستيقظ أرى مِزق اللحم على ثوبي، ومرة وقفت بعد الضرب فكانت إحدى رجليّ لا تقوى على الوقوف من كثرة الضرب والثانية أقوى منها، فناديت الذي كان يضربني وقلت له: اضرب هذه حتى تكون كأختها. فنظر إليّ نظرة استغراب وربما فكر ما هذا الرجل؟

إن الشيخ مروان كان يتحدى الجلادين ولا يلين أمامهم، وكان إذا دخل على إخوانه بعد التعذيب لا يظهر ذلك حتى لا تضعف نفوسهم، كان رحمه الله من أقوى الرجال في تحمل العذاب. هذا ما شهد به إخوانه الذين كانوا معه في السجن، فكان مروان يثبتهم بثباته، ويقويهم بشجاعته.

ومما حدث معه في سجن تدمر كما قال لي: جاءت طائرة مروحية وأرادت النزول في السجن فدعونا الله أن تسقط وأشرت بيدي عليها فسقطت والحمد لله، ربما تكون كرامة للشيخ وإخوانه.

٢ ـ في سجن الشيخ حسن في دمشق ١٩٧٠:

يقول الشيخ عندما دخلت غرفة مدير السجن وكان اسمه (يوسف طحطوح)

صاح بي وكنت أضع على رأسي غطاءً فطلب أن أرفع الغطاء وبدون شعور رفعته ثم تذكرت وقلت له: إذا خرجت من السجن سوف أقتلك يا مجرم.

٣ ـ في بقية السجون ربما تعذب، ولكن لم أذكر أنه تكلم عن ذلك إلا في سجنه الأخير كما وردنا من بعض الإخوة الذين كانوا معه، تعذب العذاب الشديد فكانوا يضربونه حتى الإغماء، ثم استعملوا معه أسلوبًا آخر، حيث كانوا يعرونه من ثيابه وهو الحيِي جدًّا، ومع ذلك كان لا يعطيهم شيئًا إلا أن يقول لهم: كل هذه الأعمال أنا مسؤول عنها، أخرجوا المساجين ليس لهم علاقة. ثم أخذوا يعذبونه تعذيبًا نفسيًا فيسمعونه أصوات زوجته وإخوانه وهم يتعذبون، كل ذلك من أجل أن ينهار ولكنه كان صامدًا كالجبال.

فكان يقول لهم: شاهت الوجوه، شاهت الوجوه، شاهت الوجوه.

مواقف الشيخ مع المسؤولين في حماة

ـ للشيخ مروان مواقف مشهودة مع المسؤولين تجلت فيها شجاعته وجرأته، لكنني سأقتصر هنا على بعض المواقف التي حدثني بها الشيخ وسمعتها منه.

قال لي رحمه الله: طلب مدير الأمن السياسي أنيس خير بك في حماة اللقاء بي، فرفضت أن يأتي إليّ، لأن ذلك موضع شبهة، فكان اللقاء في بيت أخ من آل شقفي.

قال لي رحمه الله: ذهبت إلى الموعد مبكرًا وكان ذلك بعد المغرب، وهو لمَا يصل بعد، فشرعت بالصلاة حتى إذا جاء وجلس أنهيت الصلاة، فقام وسلم عليّ. وذكر لي أنه تعمد ذلك كي لا يبدأه بالسلام ولا يقوم له، فعزة المسلم تجعله لا يقوم لمثل هذا الرجل.

قال رحمه الله: وتكلمنا بأمر البلد، ومما قلته له: أنتم (أي حزب البعث) لكم فضل على البلد. فتعجب الرجل وقال له: ما هو الفضل؟ قلت: علمتم الناس الصبر؛ فمعظم أهل حماة دخل السجن أو المعتقل.

ـ موقف آخر يوم احتفالات المولد (وقد ذكرت ذلك في مكان آخر)،كنا قد أقمنا خيمة كبيرة في مدخل حي البارودية وكان أبو خالد قد ذهب إلى مسجد الشيخ علوان حيث هناك الاحتفال الرسمي الذي يحضره رجال الدولة، ولما تأخر مروان بالمجيء إلى حي البارودية ذهبت إلى المسجد كي أتعجل الشيخ، والتقينا عند باب المسجد فقلت له: أبا خالد الناس متجمعون أمام الخيمة، وفي الطريق حدثني عما جرى له في مسجد الشيخ علوان، قال: قمت بعد الاحتفال للسلام على الموجودين، وكان الشيخ خالد الشقفة رحمه الله حاضرًا، فلما سلمت عليه

وسلمت على شخص بجانبه قال لي: هذا محافظ حماة، فقلت له: أنت من أمر بجعل حديقة أم الحسن مختلطة؟ قال: لا. ثم عرفني على شخص آخر وقال: هذا مدير الأمن السياسي، وأظن اسمه محمد سعيد سليمان من حوران، فقلت له: أنت منعت كتب الشيخ سعيد حوى من السوق؟ فأنكر. فقال الشيخ خالد: يا شيخ مروان نحن بصاية المحافظ. فقال له مروان: نحن بصاية الله.

هكذا كان مروان رحمه الله يحاسب المسؤولين وينكر عليهم.

شذرات من حياة الشيخ في مصر

عندما ذهب الشيخ إلى مصر للدراسة كان قد انتظم قبلها في جماعة الإخوان في حماة، ومصر هي موطن جماعة الإخوان، فوجد الشيخ ضالته فيها حيث التقى بالعديد من الإخوان المصريين في الجامعة، وبدأ نشاطه الدعوي، وكان رحمه الله من أنشط الطلاب السوريين في الدعوة إلى الله.

لاحظت الأجهزة الأمنية المصرية تحركات الشيخ في الدعوة، فكانت ترسل إليه المخبرين فيرابطون على باب بيته، وكان الشيخ يعرف ذلك وربما أكرم هؤلاء لأنهم مكرهون على فعلهم، وعند تخرجه رحمه الله أراد أن يذهب إلى المطار ليسافر إلى سورية، فوجد اثنين من المخبرين على الباب يراقبانه، فما كان من الشيخ إلا أن كلف أحد الإخوة بأخذ حقيبته إلى المطار بعد خروجه من البيت.

يقول الشيخ رحمه الله خرجت من البيت فلحق بي اثنان، حاولت تضليلهما فدخلت إلى المسجد فدخلا معي، وأشعرتهم أني أصلي، فأخذا يصليان وفجأة قطعت الصلاة وخرجت بسرعة، وكان بجانب المسجد حمامات دخلت إحداها وأخذت أنظر من الباب وإذا بهما يركضان يبحثان عني، انتظرت قليلًا ثم أخذت سيارة وذهبت إلى المطار، وكان الأخ الذي كلفته بأخذ الحقيبة ينتظرني في المطار، وسافرت، وكان هناك أمر بالقبض عليّ، ولكن الله عز وجل نجاني منهم.

ومن المواقف المعبرة التي حصلت للشيخ في مصر ما حدثني، فقد كان الشيخ في مصر يصوم كثيرًا، قال لي: ذات مرة كنت صائمًا ولم يكن معي إلا عشرة قروش، فأخذتها قبل المغرب ونزلت كي أشتري بها فلافل، وعند الباب وجدت فقيرًا فأعطيته القروش العشرة، ورجعت إلى البيت، وقلت في نفسي أبحث في البيت

عن كسرة خبز أفطر عليها وأسد بها جوعتي، وقلت أتجهز للصلاة أولًا. وبينما أنا أتوضأ إذ بالدكتور سلمان النجار رحمه الله يدخل عليّ ويسلم ثم يدخل يده في جيبي ويمشي. وإذا به قد وضع في جيبي عشرة جنيهات.

وهذا ربما يكون إشارة إلى صلاح الشيخ والدكتور سلمان عليهما رحمات الله، وأن ذلك إكرام من الله لهما.

اعتقال الشيخ واستشهاده رحمه الله

اعتقال الشيخ في آخر حزيران ١٩٧٥:

شاء الله عز وجل أن يعرف مكان الشيخ بواسطة عميل مجرم هو مصطفى جيرو من اللاذقية، كان قد عرَفه على الشيخ أخٌ دمشقي، وصار يتردد على الشيخ، وفي صبيحة يوم الإثنين ٣٠/ ٦/ ١٩٧٥ جاء جيرو إلى بيت الشيخ صباحًا، وربما دخل البيت ثم خرج بسرعة لأنه يريد الذهاب إلى قطعته العسكرية كما قال للشيخ، وكان يخدم في الجيش، كانت قوات الأمن قد أحاطت بالمنزل، وكان الأخ عداب الحمش قد نزل من الشقة لإحضار طعام الإفطار للشيخ وضيوفه، وكان قد وصل للتو فريد قداح أبو صفوان والأخ مصطفى عادلة المصري رحمه الله، وكنت يومها قد انتظرت الأخوين مصطفى وفريد لأذهب معهما إلى الشيخ، وكان الوقت متأخرًا من الليل فلم يمرا عليَّ وذهبا إلى أبي خالد.

وعند عودة عداب إلى الشقة وجد عند الباب بعض رجال الأمن فهددوه وسألوه بيت من هذا؟ فقال لهم بيت صديقي، قالوا له: مروان حديد؟ فلم يرد عليهم، وأنزلوه إلى أسفل العمارة، وفي هذه الأثناء داهم رجال المخابرات الشقة واعتقلوا الشيخ بعد أن أصابوه بيده وهو مغمى عليه، وكان في البيت أربعة من الإخوة هم مأمون كاخيه وزكي صفدي رحمهما الله وفريد قداح ومصطفى عادلة وزوجة الشيخ مروان وزوجة عداب الحمش، ودارت اشتباكات، وبعد ساعات من القتال اعتقل مأمون وهو مصاب، أما زكي صفدي فاستشهد رحمه الله، واعتقل الأخ فريد والأخ مصطفى، واعتقلت كذلك زوجة الشيخ وزوجة الأخ عداب، وبعد مدة أفرج عنهما.

كان رحمه الله في سجنه الأخير يغالبه شعور أن الشباب لن يتحركوا إلا بعد موته، هذا ما رواه الأخ عادل حيدر الذي كان معه في الزنزانة، كانت هذه الفكرة مسيطرة عليه تمامًا، وبالفعل انطلقت الثورة الأولى بعد استشهاده، ثم توقفت بعد مجزرة حماة.

إن استشهاد الشيخ مروان أطلق آفاق حب الشهادة للملايين في هذا العالم البائس، وسيرى الذين قتلوه أن هذا الشهيد لم يذهب إلا بعد أن أشعل جذوة الجهاد والاستشهاد في نفوس المسلمين في كل مكان، وسيعلم العالم المتآمر على الإسلام أن روح الشهيد مروان سوف تكون نارًا تلهب بشررها مؤامراتهم وتخمد حقدهم الدفين وتزلزل الأرض من تحت أقدام المجرمين.

إن كل المنظرين وأصحاب الأيديولوجيات وأرباب الفكر، لم يستطيعوا أن يفعلوا ما فعله الشيخ مروان، لم يكن خطيبًا ولا كاتبًا ولا سياسيًا، وإنما كان مربيًا بحاله وسلوكه قبل مقاله، لقد تسنم ذروة سنام الإسلام وهي الجهاد في سبيل الله، لقد أصبح لهذا الاسم هيبته بعد أن كنا نقرأ عنه في الكتب والمراجع، وما كنا لنظن أن يأتي اليوم الذي يعود هذا الاسم إلى الصدارة في الأخبار والمنتديات والمحاضرات.

ومـا ذلـك ـ والله أعلـم ـ إلا بجهـد وإخـلاص هذا الرجـل الربانـي وغيره من المخلصين.

إن الشيخ رحمه الله ظاهرة قل نظيرها في عصرنا، لم يبتدع شيئًا جديدًا في جماعة الإخوان، وإنما كان يحاول أن يطبق مبادئ الإخوان وأهدافهم من خلال الجماعة وهي: الجهاد سبيلنا، غير أن بعضهم كان يعرقل مسيرته، ولو وقفوا مع الشيخ وأيدوه بما يدعو إليه وفي ذلك خير كثير للجماعة وأفرادها، لما وصلت

الجماعة إلى ما وصلت إليه من التشرذم والتفرق والضعف، كان رحمه الله ينظر إلى جماعة الإخوان وكأنها المنقذة لشباب الإسلام من انحرافات الجاهلية، فكان يعمل على هذا الأساس.

في حين وقف كثير من علماء الأمة ودعاتها إلا ما رحم ربي، يركعون في كل محراب خسيس، ويحرقون البخور لكل طاغية غشوم، منهم من باع قلمه لمعدته، ومنهم من غمسه في صديد روحه، ومنهم من تاجر بالكلمات حتى صارت نقودًا يختزنها في دهاليز الحقارة والقماءة والعفن. ولكن الشيخ مروان رحمه الله عرف بحق أن الله هو الغاية وإليه تشد الرحال، وبه قصد السبيل ونجاة المحيا والممات، فاستقام على أمر الله وأعلنها ربانية خالصة، كان رحمه الله من الصلابة والثبات والقوة ما يجعله يتحدى الطغاة والمجرمين وكأن لسان حاله يقول:

مسلم يا صعاب لن تقهريني	صارمي قاطع وعزمي حديدُ
فأنا النور حين يطغى ظلامٌ	وأنا النار حين يقسو الجليدُ
من دمائي في مقفرات البراري	يطلع الزهر والحيا والورودُ

نعم إنه حديد بل أشد من الحديد صلابة، ولكل من اسمه نصيب، فهو صلب في الحق كالحديد لا تلين له قناة، ولا يحني هامته لغير الله، وهذا ما عرف عنه في السجون.

وعندما سئل الشيخ محمد الحامد رحمه الله من قبل الصحفيين الأجانب عن مروان في دار الحكومة إبان ثورة ١٩٦٤م قال: مخلص على شدة فيه.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ

ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحديد: ٢٥].

أما شباب مروان فإنهم لم يطلبوا مغنمًا، ولا خافوا مغرمًا، ولم يطمعوا إلا بنصر الله وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، لقد رأيتم ورأيت فيهم الطهر والفضيلة والصفاء والنقاء، واليوم أنظر إليهم بعد استشهادهم وكأنني بهم يخطرون في ردهات الجنة مع الأنبياء والشهداء والصالحين. وكما قال مصطفى السباعي رحمه الله: (إن لله عبادًا قطعوا علائق الشهوات وأسرجوا مواكب الجد، وامتطوا جياد الأمل).

هؤلاء هم شباب مروان.

استشهاد الشيخ في ١٩/ ٧/ ١٩٧٦م:

في يوم ٢٢/ رجب/ ١٣٩٦هـ الموافق ١٩/ تموز/ ١٩٧٦ كانت إشراقة روح الشيخ مروان حديد إلى ربها، ترجل الشهيد مروان بعد أن صبر على العذاب المضني في سجن المزة، وانطفأ سراج أضاء سماء سورية لسنوات، حيث أشعل جذوة الجهاد وحب الاستشهاد بعد أن كاد الناس أن ينسوا هذه الفريضة، وعادت فريضة الجهاد إلى الواجهة بعد غياب طويل.

كان الشيخ في سجنه يقول لهم: أخرجوا المعتقلين أنا المسؤول. ولكنهم كانوا يريدون أن يحطموا نفس مروان، وأنَّى لها أن تتحطم أو تكسر وقد اتصلت بخالقها واعتصمت بحبله المتين.

لم يتركوا نوعًا من أنواع التعذيب إلا وعذبوه به، وأخيرًا مارسوا معه العذاب

النفسي، وكانوا يعطونه الطعام السيء مع الماء المالح، فيأبى أن يأكله، وربما أضرب أيامًا عن الطعام بسبب ذلك، حتى نحل جسمه، ووهن عظمه، وخف وزنه، وأصبح وزنه ٣٦ كيلوغرامًا وكان من قبل ٩٠ كيلوغرامًا، ومع كل هذا لم يؤثر في نفسيته رحمه الله بل بقي قويًا بالله سبحانه.

تدهورت حالته الصحية فنقلوه الى مستشفى حرستا العسكري، وأرسلوا إلى أهله، فحضر أخوه أحمد وحاول أن يقدم له الطعام، فقال له مروان: إنك لا تصلي ولا آكل من رجل لا يصلي. فتأثر أخوه تأثرًا كبيرًا، وأقسم بالله بأنه سوف يصلي ويصوم ويحج، عندها تناول مروان الطعام وبدأت حالته بالتحسن بعد ذلك، ولكن المجرمين لا يسرهم هذا فعاجلوه بإبرة من السم في رقبته، وعندما جاء أهله وجدوه ملقى على الأرض، وأشار بإصبعه إلى رقبته، ثم فارق الحياة.

يــا إبــرةً فــي الســجن عبَّــأ سمَّها   لمــؤدِّب الكفــارِ حــزبٌ أحمــقُ

ـ أشرقت روح مروان في هذا اليوم، وجادت السماء بالغيث ولم يكن هذا الوقت وقت مطر، ربما تكون رحمات من الله، أشرقت روح مروان وصعدت إلى بارئها بعد حياة حافلة بالجهاد والابتلاء والصبر والثبات، قتله الطغاة في ظرف عصيب، كشّر فيه الذئاب عن أنياب الغدر، وتحالفوا مع الصليبيين واليهود حتى ينفذوا مخططاتهم في إقامة الدولة العبيدية المجوسية، وهذا ما نراه اليوم، ترجَّل الفارس بعد طول عناء، ولكنه ترك أثرًا حميدًا في شباب الدعوة، ذهب مروان إلى ربه شهيدًا ولا نزّكي على الله أحدًا، ذهب ولم يحنِ للطغاة هامة، ولم يتزلزل حتى لحظة الشهادة الأصيلة، وذلك فضل من الله، وفي لحظاته الأخيرة رحمه الله كتب وصيته على قطعة من الصابون بأظفره، ونشرت هذه الوصية مجلة الدعوة المصرية

والمجتمع الكويتية، وكانت هذه الوصية آخر ما كتبه في هذه الحياة، وذلك ما يطمئن بأن شهيدنا ذهب الى ربه وهو راض عنه، وأن وصيته تترجم ذلك الإيمان العميق الذي كان يحتضنه مروان بين ضلوعه، وهي إن دلت على شيء فإنما تدل أن الناس كلهم يموتون، أما هو فيستشهد.

وكان آخر ما قاله في سجنه الأخير:

الـروح ستشـرق مـن غدها ... وسـتلقى الله بموعدهـا
وبفضـل الله ورحمتـه ... فسـيكرم ربـي موفدهـا
والنفس ستجزى إن ظلمت ... عـدلًا وبمـا كسـبت يدهـا
وسـيرحم ربـي إن قتلـت ... فـي حـب الله محامدهـا
والدين سينصر مـا وجدت ... جنـد لله تـعـاهـدهـا
لا تأسـى أُخـيَ فـإن لنـا ... ربًـا سـيحرق موقدهـا
وسـينصر ربـي دعوتـه ... وسـيحفظها وسـيرفدها
برجـال مـا عرفـوا خـورًا ... وبصـدق العـزم تجددهـا
الشـمس ستسـطع مشـرقة ... نـور الايمـان يسـددها
وعهـود الظلـم وإن طالـت ... فسـيوف الحـق تبددهـا
إن طـال الليـل وظلمتـه ... فطلـوع الشـمس يهددهـا
ما غـاب النـور لمـن عرفوا ... فالنـور بقلـب موحدهـا
فاغفـر يـا ربـي لكاتبهـا ... واغفـر يـا ربـي لمنشـدها

وصية الشهيد مروان حديد رحمه الله:

هذه وصيتي أنا الفقير إلى الله تعالى ورضوانه مروان حديد:

أوصي أهلي بتقوى الله تعالى والتمسك بالإسلام، ووفاء ديوني، أو تحملها عني قبل أن أوضع في قبري، أوصي إخواني بالوفاء بعهد الله تعالى، وأوصيهم بمعاملة الخصوم كما أمرهم الله، وأرجو من الجميع الدعاء بالمغفرة والرحمة.

كـــم مـــات قبلـــي مـــن أمم   حتـــى الرســـول المحتـــرم

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

أسوتكم رسول الله، جاهد في سبيل الله، فتأسوا برسولكم.

غدًا نلقى الأحبة محمدًا وصحبه.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مروان حديد

أفل نجم من نجوم الدعوة، ثم شيعه المجرمون ولم يسمحوا أن ينقلوه إلى حماة، بل سمحوا لأخيه رضوان وربما صهره عبد الصمد العطية بالمشاركة في جنازته، ودفن في مقبرة باب الصغير في دمشق، وهذه المقبرة فيها العديد من الصحابة منهم الصحابي بلال بن رباح رضي الله عنه.

هنيئًا لك أبا خالد، جمعنا الله بك في مستقر رحمته، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

إن يقتلـوكَ فخُذْهـا غيـرَ كاذبَـةٍ هـمُ الضحايا وأنت الحـيُّ في الأُممِ
مازِلـت مقتحمًـا حتـى عقولهـمُ يخيفُهـا منـك صـوتٌ غيـر مُنكتـمِ
يـا رافـعَ المثـلِ الأعلـى بنيْـتَ لنـا مِـن العقيـدة رُكنًـا غيـر منهـدمِ

قال تعالى:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

لقد قتلوا الشيخ مروان، مات الحبيب ونحن أحوج ما نكون إليه، تذكرت يوم قبض عليه آخر مرة وتشتت إخوانه بين سجين وملاحق، فأصبحوا كالغنم في الليلة الشاتية.

كنت في سوريا فحاولت جاهدًا الاتصال بالإخوة لكن دون جدوى، كلما أرسلت إلى أخ لألتقيه يأتيني الجواب بأنه إما ملاحق أو قد خرج من البلاد فارًّا من بطش الطغاة، فمكثت شهرين بعد اعتقال الشيخ مروان لم أتمكن خلالها من الاجتماع بأحد من إخواني الذين تربطني بهم صلة العمل.

لكنك يا أبا خالد حي في ضمائرنا وقلوبنا، لن ننساك ما حيينا، ولن نحيد عن طريقك ما بقينا، وعزاؤنا أننا نرجو الملتقى في جنات عرضها السماوات والأرض عند مليك مقتدر.

توهم الظالمون الخاسرون بأنهم تمكنوا من قتل مروان ودعوته، وغاب عن أذهانهم بأن دعوة الله باقية ما قامت السماوات والأرض.

الخاتمة

عشت ذكرياتي مع شيخي مروان رحمه الله، وكأني أعيش معه الآن؛ فقد رجعت بي الذكرى إلى أيامنا في حماة ثم دمشق، كنت أشعر وإذ أكتب هذه الذكريات، وكأني مع الشيخ فأنسى نفسي، أنا الآن بعد أربعين سنة على استشهاده رحمه الله، أستغرق في عالم آخر، فأتذكر مواكب الشهداء من إخواني، الذين تعاهدنا على الوفاء لدين الله، والوفاء لأخينا الشهيد، عشت هذه الذكرى وكأنها اليوم، بشخوصها وزمانها ومكانها، ذرفت الدموع على مروان وإخوانه، بل ربما سمعته وهو يناديني، إنها ذكريات.

ذكريات ألهبت فيّ الشجون وأثارت فيّ مكبوت الحنين

نعم، لقد أثارت أشجاني وأحلامي.

هذا ما أسعفتني به الذاكرة، وربما هناك الكثير مما لم أستحضره عند كتابتي عن الشيخ مروان، ولكن كل ما خطه القلم في هذا الكتاب إما سمعته منه أو كنت شاهدًا عليه، وما كتبت موقفًا أو قصة حدثت مع الشيخ إلا بعد توثيقها، بسؤال بعض الإخوة لأقوي ما قلته مع أنني متأكد أن ما كتبته صحيح، ولكن جلّ الذي لا ينسى، فمن وجد شيئًا مكتوبًا وشك فيه فليسأل وليتأكد، فإذا كان الصواب غيره رجعت إلى الصواب.

وكنت أود ألا أذكر نفسي في كثير من المواقف، ولكن كان لابد من ذلك؛ لأنني كنت إما شاهدًا أو طرفًا في ذلك، فمعذرة أيها الإخوة، فما أردت من ذكر نفسي إلا تصديقًا وتأكيدًا لذلك، وما قصدت السمعة أو الرياء، رزقني الله وإياكم الإخلاص في القول والعمل.

رحلة السجون في حياة الشيخ مروان

١ ـ اعتقل الشيخ أول مرة في عام ١٩٦٣م بعد الاحتفال بالمولد النبوي في المسجد الشرقي في مدينة حماة، وبعد خمسة أيام أفرج عنه، وكان ذلك في بداية حكم البعث.

٢ ـ اعتقل مرة ثانية في عام ١٩٦٣م حيث كان يخطب في «جامع البحصة»، وأفرج عنه بعد أيام.

٣ ـ الاعتقال الثالث سنة ١٩٦٤م بعد أحداث جامع السلطان، وحكم عليه بالإعدام.

٤ ـ الاعتقال الرابع سنة ١٩٦٦م، وخرج بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧م.

٥ ـ الاعتقال الخامس يوم الجمعة في نهاية شهر حزيران سنة ١٩٧٠م، وأفرج عنه بعد شهرين تقريبًا.

٦ ـ الاعتقال الأخير نهاية حزيران ١٩٧٥م، واستمر حتى استشهاده في شهر تموز سنة ١٩٧٦م.

رسالة الشهيد مروان إلى العلماء والدعاة في سوريا

بسم الله الرحمن الرحيم

نداء إلى العلماء العاملين، والمسلمين المخلصين، والجماعات الإسلامية.

يا إخوة الإسلام:

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤].

مَن المخاطب بهذه الآية يا معشر العلماء، وهل هي موجهة إلينا، نحن المسلمين، كل المسلمين؟ وهل نفذتموها مع حكام بلادكم؟ أم تتعايشون معهم ولا تظهرون لهم العداوة والبغضاء؟ وهل الحكام يحكمون بكتاب الله وسنة نبيه؟ وإذا كانوا لا يحكمون بكتاب الله وسنة نبيه، وإذا كانوا لا يتخذون من كتاب الله دستورًا لهم في حياتهم الخاصة والعامة وفي القانون الذي يحكمون به البلاد، فهل هم كفرة أم لا؟ أفتونا بعلم يا علماء الإسلام!

وإذا كان الحكام كفرة ظالمين وفاسقين، فما الفرق بينهم وبين اليهود؟ وإذا كانوا كاليهود، فهل نعاملهم ونتعايش معهم فيما إذا احتلوا بلادنا وحكمونا؟ وكيف نفعل، وما يكون موقفنا، إذا احتل بلادنا يهود؟ وهل هناك فرق بين طاغوت عربي وطاغوت يهودي إسرائيلي؟ وهل يتوجب علينا قتالهم؟ وإذا كان علينا قتالهم فهل نعد العدة لقتال الكفار ثم نبدأ القتال، أم نقاتلهم من دون إعداد؟ أم نقول ليست لدينا إمكانيات القتال ولذلك لا يجب علينا؟ وما هو حكم القتال لأعداء الله ولإقامة دولة الإسلام؟ إذا كان أعداء الله هم الكفرة الحاكمون، هل هو حرام؟ أم مباح؟ أم

مستحب؟ أم سنة؟ أم فرض؟ وإذا كان القتال فرضًا فهل هو فرض عين؟ أم فرض كفاية؟ ومتى وبأي سن يكلف المسلم بالقتال؟ وما حكم من يقاتل الكفار بمفرده لإعلاء كلمة الله هل هو في الجنة أم في النار؟ وما حكم من لا ينوي قتال الكفار وإقامة دولة الإسلام، وإعلاء كلمة الله؟ وما حكم من لا يعمل لذلك؟

ماذا نسمي من يقول: الإسلام ديني، ولا يعمل بكتاب الله، أو ينقص منه إن كان ذلك عن كفر به أم عن جهالة؟ وهل كان التقصير أو الخطأ من المبادئ والأفكار الإسلامية؟ أم من الذين ينادون بها ويتبنونها وينتسبون إليها؟ أم من مبادئكم أيها المسلمون وهي القرآن والسنة؟ هل تؤمنون بالقرآن والسنة جملة وتفصيلًا؟ هل يتوجب عليكم العمل بجميع ما في القرآن والسنة ما عدا الخصوصيات؟ أم أن القرآن نزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو خاص به وبأصحابه؟ وأن الآيات التي لا تستطيعون العمل بها الآن كآيات الحدود، لعدم وجود الحاكم المسلم والدولة الإسلامية، هل يتوجب عليكم أن تعملوا بكل الوسائل المطلوبة والمشروعة لكي تتمكنوا من تطبيقها في المستقبل وذلك بالعمل على إزالة الطغيان وتحكيم الإسلام؟ أم أنكم في حل من العمل بها على الإطلاق؟

هل تعملون على إقامة حكم الإسلام لتتمكنوا من تطبيق وتنفيذ أوامر الله؟ أم تهملون ذلك ولا تتحملون نتيجة إهمالكم أية مسؤولية بين يدي الله تعالى؟ وهل يمكننا والحكام قد ركبوا رؤوسهم ورفضوا أن يحكموا بدستور القرآن وزجوا من يطالبهم بذلك في السجون؟ هل يمكننا إقامة حكم الإسلام ودولة الإسلام وإعلاء كلمته دون اللجوء إلى القتال؟ وهل نحن مطالبون بإعداد القوة على قدر استطاعتنا لنواجه الكفار؟ وما معنى قول الله عز وجل:

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ

وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

هل يجوز لمسلم أن يعتقد أن الكفار قد سبقوا وأننا لا طاقة لنا بهم، أم كان هذا ظن الكافرين أنفسهم؟ ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾ [الأنفال: ٥٩].

أو ليست هي المعركة بين جبار السماوات والأرض وبين الكفار؟ إنهم لا يعجزون، والله يدلنا على الطريق طريق الإعداد للوصول إلى رضوان الله تعالى، وإرهاب أعدائه، ما حكم القتال إذا سيطر الكفار على بلد أنتم فيه؟ وهل يخرج الابن للقتال بغير إذن أبيه، والمرأة بغير إذن زوجها، والمدين دون إذن الدائن، والعبد بلا إذن السيد كما يقول الفقهاء؟ أم أن هذا الحكم قد تغير في زماننا؟ وما معنى حديث رسول الله ﷺ: «مَن مات ولم يَغْز، ولم يُحدِّث نفسَه بالغزو مات على شعبة من النفاق»[1] أو مات ميتة جاهلية، وما مدى صحة هذا الحديث أو ما معناه؟ وإن كان صحيحًا فهل ينطبق علينا؟ وهل نحن مطالبون بالعمل بمقتضاه؟ وهل نغزو في سبيل الله ونترك الكفار يحكمون بلادنا؟ هل يتوجب علينا قتال الكفار الحاكمين أولًا؟ أم قتال الغزاة الكفرة الذين احتلوا بلدًا من بلدان الإسلام البعيدة؟ وأيهما أولى؟ ما حكم كل منهما يا معشر العلماء؟ وإذا كنا نريد الغزو والقتال وجهاد أعداء الله صادقين، أوَليس من واجبنا إعداد القوة لذلك؟ والله يقول:

﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾ [التوبة: ٤٦].

وماذا نحكم على من لم يعد العدة للقتال وهو يملك أسبابها؟ هل نحن

---

(١) أخرجه مسلم (١٩١٠)، عن أبي هريرة، مرفوعًا.

المسلمون عامة، والعلماء والجماعات الإسلامية خاصة، نعيش في بحبوحة من العيش في ظل نظام إسلامي؟ أم أننا نسام الخسف من عيش الذل؟ هل الموت في طاعة الله خير، أم الحياة في ظلمهم وكفرهم وآثامهم والخوف منهم وعدم الاستعداد لقتالهم؟ هل هذه الحياة بهذا الشكل، حياة في طاعة الله أم في معصيته؟

فماذا يقول العلماء المسؤولون عن الجماعات الإسلامية؟ وما معنى قول الله عز وجل، وإذا كان هذا هو الطريق إلى النار، فما هو الطريق إلى الجنة:

قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٥ ـ ١٦].

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤].

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

وهل الجهاد الذي يأمرنا به الله سبحانه بقوله:

﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٤١].

هو جهاد القلب واللسان فحسب، أم قتال التضحية والبذل؟ ماذا تقولون يا معشر العلماء؟

وهل يشتري الله من المؤمنين كل المؤمنين أنفسهم وأموالهم، أم ألسنتهم؟

وهل يسمى مؤمنًا من رفض أن يبيع نفسه وماله لله؟ وما شرط هذه البيعة مع الله؟ أليس قوله:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

فهل ترونه قال: يخطبون ويدرسون ويتفلسفون ويصارعون فكريًّا أو يستسلمون لسجن أعداء الله وتعذيبهم دونما اعتراض أو مقاومة؟

وما معنى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

هل معنى هذا أن ينصر الله رسله بحمل السلاح لإعلاء كلمة الله والذود عن دينه وشريعته لإقامة دولة الله في الأرض؟ أم معناه أن نستسلم لأعداء الله يقتلون ويهتكون الأعراض، أعراض المسلمات، ويجبرونهن على الزواج من المشركين الحاكمين دون أن نحرك ساكنًا؟

أفتونا أيها العلماء!

وإذا كان لا يقاتل في سبيل الله إلا المؤمنون الصادقون الذين مروا بمراحل التربية والسلوك فمتى تنتهي مرحلة التربية هذه يا من تقودون الجماعات الإسلامية، وما هو المقياس لتقدير أهلية المسلم لأن يكون مقاتلًا؟ أو أنه غير أهل، أو أن الجماعة وأهل الطريق أهل القتال أم لا؟ وهل يمكن لكم أن تقدموا

أنفسكم للقتال وفيه من الإعداد اللازم للقتال على جميع المستويات المادية والمعنوية، والله تعالى يقول:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

ترغبون بالجنة، ما الفرق يا أيها العلماء بين قول الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾ وبين قول الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾؟ وما معنى كتب في الأولى وكتب في الثانية؟ وإذا كان معنى كتب: فرض، فبالتالي كان القتال فرضًا على المسلمين، كما هو حال الصيام، ولكن إذا كان موعد الصيام رمضان، فمتى موعد القتال؟ أفتونا يا معشر الفقهاء!

فبأي حجة أيها المسلمون تعفون أنفسكم من القتال؟ وهل لكم يا أيها المسؤولون في الجماعات الإسلامية والطرق الصوفية، أن تعفوا أنفسكم من القتال بحجة من الحجج الآتية:

ـ عدم الاستعداد...؟ وما يمنعكم من الاستعداد؟ والله يأمركم به ولم يكلفكم به فوق طاقتكم حين قال:

﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

ـ الحذر والخوف من انكشاف أمر الاستعداد للسلطة الكافرة الحاكمة...؟

﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[التوبة:١٣].

﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

﴿ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ﴾ [الفجر: ٢٥ ـ ٢٦].

أتتركون أمر الله بالاستعداد، خشية الكفرة، وتخافون العبيد الذين لا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا، وترك الاستعداد معصية؟

والرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لموت في طاعة الله خير من حياة في معصيته»(١).

ـ أو تعتقدون أنكم لستم أهلًا للقتال، أو مواجهة أعداء الله؟ وأنتم تزعمون أنكم من حزب الله، وترضون بالذل فكأنكم تنسبون الذل لله عز وجل الذي تنتسبون إليه.

﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [المنافقون: ٨].

ـ أو فقدان التربية الإيمانية عند أفراد الجماعات الإسلامية أو أهل الطريقة أو نقصانها...؟

فهل تربية الكفار أقوى من تربيتكم لإخوانكم ومريديكم حتى إننا نجد أهل الكفر يندفعون للقتال، وأنتم وإخوانكم ومريدوكم لا تندفعون، فما هي غايتكم وما هي غايتهم؟ وما هو طريقكم وما هو طريقهم؟ ومن هو ناصركم ومن هو ناصرهم؟

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير٢٠/ (١٧٢)، والمعجم الصغير (٧٤٩)، ومسند الشاميين (٦٥٨).

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ [محمد: ١١].

وإن التربية الإيمانية لا تأتي إلا لمن يأخذون الإسلام كاملًا، ولا يتخلون عن فريضة الجهاد.

ـ أو بحجة الحفاظ على الدعوة والتنظيم ومصلحتيهما...؟

إذا كان الحفاظ على التنظيم هو الذي يمنعكم من القتال فما هي مهمة التنظيم؟ إن تنظيمات الأحزاب والجماعات كلها تقوم على العمل للسيطرة على نظام الحكم في البلاد التي يقطنونها لكي يحكموا بمبادئهم ويحققوا أهدافهم مهما كانت تلك المبادئ والأهداف، وأما أنتم فتتركون القتال وتعصون الله بترككم القتال، وتخاذلكم عن نصرة دين الله، والله هو الذي علمنا أن طريق القتال هو الطريق الوحيد للنصر والغلبة وتحقيق المبادئ والأهداف والله تعالى يقول:

﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤].

فهل جعلتم مصلحة التنظيم وثنًا يعبد من دون الله؟ وأما الدعوة فهي دعوة الله وقد تكفل الله بحفظها، قال تعالى:

﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وما عليكم إلا أن تسيروا في طريق الدعوة والقتال لتنجوا من عذاب الله تعالى.

﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

ـ أو إخفاق الثورات كفشل ثورة الأكراد...؟

ما بالكم تضربون المثل بالثورات المخفقة الفاشلة، لتبرروا قعودكم عن فريضة الجهاد؟ فإذا لم يكن في القتال إلا الموت أو القتال في سبيل الله، فهل الموت على الفراش أفضل؟ وأنتم تعلمون أن الموت والأجل بيد الله، ومن لا يعتقد بهذا فهو كافر، كافر ببعض كتاب الله ومن يكفر بشيء من القرآن فهو كافر، فاسمعوا إن شئتم قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًاۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَاۚ وَسَنَجْزِي ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة: ٨].

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخْفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْۖ وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ

﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

ثم اسمعوا إن شئتم:

﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٧].

فهل تجدون في كتاب الله عز وجل مثلًا يثبط المؤمنين عن القتال، أم أن الله سبحانه يقول: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٨].

في القتال ينال ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة.

ثم لا تنسوا أن الأكراد اعتمدوا في ثورتهم على إيران واتخذوها سندًا لهم، فلما تخلت عنهم إيران وتخلى عنهم سندهم فقدوا الثقة بالنصر وبأنفسهم، فهزمت ثورتهم. وأما نحن المؤمنين فإننا نتوكل ونعتمد على الله وهو ناصرنا وولينا.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥].

﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٤٩].

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [محمد: ١١].

﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [عمران: ١٦٠].

ثم اسمعوا إن شئتم:

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [آل عمران: ١٢].

فمن تبشرون بالنصر ومن تبشرون بالخذلان يا معشر المسلمين؟

ـ أو عدم وجود النصير الذي يمد بالذخيرة والسلاح؟

إن الله كلفنا أن نعد استطاعتنا وبعد ذلك نتوكل على الله، واسمعوا إن شئتم إلى قوله تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح: ٤].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [المائدة: ٢].

هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإننا ننتزع السلاح من أيدي أعدائنا بإذن الله.

ـ أو عدم الثقة بإخوانكم المسلمين، أو عدم التعاون معهم؟ والله تعالى

يقـول ـ فـإن بالإمـكان أن يتعـاون المسـلمون علـى أكبـر خيـر وشـر وهـو قتـال أعـداء الله وإقامة حكم الإسـلام ثـم تتولد الثقـة بطريق القتال ويعـرف المخلصون من خـلال المحن ـ:

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

ومما يؤدي إلى الثقة والمحبة بين المسلمين، أن يتذكر كل منا حديث رسول الله ﷺ: «طُوبى لِمَن شغَلَه عيبُه عن عُيوب الناس»[١]، وقوله أيضًا: «كلّ بني آدم خطّاء وخَيرُ الخطائين التوابون»[٢].

وعلى هـذا يحاسب كـل مـنـا نفسه حسابًا عسيرًا، ويعتبر كل أخ من إخوانه معرضًا للخطأ بطبيعته، ولهذا يتوجب أن ينصحه ويتواصى معه بالحق والصبر، ويتسامح معه بنية إصلاحه ولا يتكبر عليه، وما أجمل صفات المؤمنين من أصحاب رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم ومن تبعهم بإحسان في كل زمان ومكان، اسمعوا إلى قوله تعالى:

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ

(١) أخرجه البزار في مسنده (٦٢٣٧)، عن محمد بن المنكدر، عن أنس، مرفوعًا. وقال عقبه: وهذا الحديث لا نعلمه يروى بهذا اللفظ، عن أنس إلا من هذا الوجه ووجه آخر ضعيف رواه أبان بن أبي عياش، عن أنس.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٥٣٥٧)، وأحمد (١٣٠٨٠)، وعبد بن حميد (١١٩٨)، والدارمي (٢٨٩٣)، وابن ماجة (٤٢٥١)، والتِّرمِذي (٢٤٩٩)، وأبو يَعلى (٢٩٢٢)، عن قتادة، عن أنس، مرفوعًا. قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث علي بن مَسعَدة، عن قتادة.

كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح: ٢٩].

شغلتهم أخراهم عن التفكير في سفاسف الأمور، وتسقط عورات الناس وعيوبهم، وقد فهموا وتمثلوا قول الله تعالى:

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣].

وإن الله قد كلفكم بالقتال وتحريض إخوانكم المؤمنين وإن لم يستجب لكم أحد فعليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم.

﴿فَقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴾ [النساء: ٨].

فهل تعفون أنفسكم من القتال بحجة عدم الاستعداد، والحذر والخوف من اكتشاف الأمر، أو فقدان التربية الإيمانية، والحفاظ على الدعوة ومصلحتها، وإخفاق الثورات الجاهلية، وعدم وجود النصير الذي يمدنا بالذخيرة والسلاح، وعدم الثقة بإخوانكم؟ فإن الله تعالى لم يعف عن القتال إلا الأعرج والأعمى والمريض، فما رأيكم يا قادة المسلمين ويا علماءهم؟!

وتدبروا قول الله تعالى:

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٩١ ـ ٩٣].

والسؤال يا معشر الفقهاء هو: أيُعفى من القتال الفقيرُ الذي لا يملك العدة؟ أم عليه أن يقف إلى جانب المقاتلين؟ إذا كان القتال فرض عين، يمدهم بالماء وينقل الجرحى وينتظر حتى يتمكن من الاستيلاء على سلاح يقاتل به، أو ينتظر فإذا استشهد أحد إخوانه فيأخذ سلاحه ويقاتل مكانه. وهل يتوجب على الأغنياء أن يسلحوا الفقراء في حالة الإعداد للقتال؟ وهل يجوز للمسلمين أن يمنعوا سهمًا في سبيل الله من أموال الزكاة إن وجد من يطالب به ليتجهز للقتال في سبيل الله؟ وهل يغني عن الأغنياء أن يدفعوا زكاة أموالهم دون أن يبذلوا من أموالهم؟ هل ينجيهم ذلك عند الله إذا لم يقاتلوا بأنفسهم، وهم من غير أصحاب الأعذار المذكورين؟ وما معنى قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ (١٠) تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الصف: ١٠ ـ ١١].

ألا يوحي هذا بأن العذاب واقع، أو سيقع، إن لم تجاهدوا، وأن النجاة من العذاب بالجهاد؟ وإذا كان السلاح في أيامنا لا يستطيع استعماله في القتال إلا المتدربون، فهل يكون التدريب فرضًا إذا كان القتال فرضًا؟ ثم ما المقصود، بقوله تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [التوبة: ٩٣].

ثم أليس من الأفضل لهؤلاء الأغنياء الذين رضوا أن يكونوا مع الخوالف بقعودهم عن القتال أن يأتوا بالحجج الإبليسية، ليثبطوا همم المجاهدين وهم لا يعلمون.

إنهم لا يعلمون بصريح الآية، فليحذر المؤمنون أن يسمعوا أقاويلهم ولو كانوا من الكبار.

﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة: ٨٦ ـ ٨٧].

من هم الذين قال الله فيهم: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾؟ [التوبة: ٩٥].

أليسوا هم القاعدين عن الجهاد، الراكنين إلى الحياة الدنيا المتخاذلين عن نصرة دين الله، الذين يقول الله فيهم: إنهم رجس، إنهم نجس، إنهم كالجيفة النتنة بين الأحياء، ومأواهم جهنم وساءت مصيرًا، لأنهم رضوا بالذل والهوان في الدنيا. نعيذهم بالله من أن يكونوا كذلك.

وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقبل أن يخرج معه للقتال من كان في سن الخامسة عشرة، فبأي سن من العمر كان يعفيهم من القتال؟ علمًا أن القتال كان بالسلاح الأبيض، وهو من أشق وأصعب أنواع القتال، هل كان يعفي من القتال من بلغ الأربعين عامًا؟ أم الخمسين أم الستين أم السبعين؟ وكم كان عمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في آخر غزوة غزاها؟ ألم يكن فوق الستين عامًا؟ وكم كان عمره صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول في غزوة حنين في معترك القتال وقد تراجع عنه أصحابه:

أنا النبي لا كذبْ　　　أنا ابن عبد المطلبْ

صلى الله عليك يا سيدي يا رسول الله!

وسؤال إليك أيها القائد؛ بأي حجة تعفي نفسك من القتال، وترغب عن مواقف

وقفها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مقارعة الكفر والمشركين والله يقول:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾

[الأحزاب: ٢١].

هل معنى أن يتعمم أحدنا ويطلق لحيته ويتعلم ويتفقه في الدين، أن يعفي نفسه من القتال بحجة حفظ العلم وتفقيه الناس في دينهم؟ أم أن من واجبه أن يقود الناس في المعارك ويحرض المؤمنين على القتال أسوة برسول الله سيد العلماء والفقهاء والمجاهدين؟ وبأي وجه تلقون الله تعالى وتقابلون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا سئلتم يوم القيامة عن قعودكم عن قتال الكفار وركونكم إلى الظالمين هل تقولون: إننا كنا ضعفاء، أو كنا لا نجد النصير؟ فها نحن ندعوكم للتعاون معنا على قتال أعداء الله، ونحن الأقوى بالله، فلا تسول لكم أنفسكم بأنكم معذورون، بل حكِّموا كتاب الله بينكم وبين أنفسكم، وزنوا أنفسكم بميزانه ثم أجيبونا على أسئلتنا بصدق. ومن المعلوم الواضح أن الإنسان كلما تقدم في العمر كلما اقترب أجله، فلماذا تحرصون على الدنيا ولا تبينون حكم الله أو تجاهدون عند اقتراب أجلكم لتفوزوا بالشهادة ورضوان الله عوضًا عن أن تموتوا على فرشكم، وماذا يملك أعداء الله أن يفعلوا معكم إن كنتم مع الله، هل يستطيعون تقديم آجالكم؟

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٤].

هل يستطيعون قطع أرزاقكم؟

﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾

[الذاريات: ٢٢ ـ ٢٣].

و«لن تموت نفس حتى تستوفي أجلها»[(١)]... صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، هل يصيبكم إلا ما كتب الله لكم؟

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

وبأي حال تجدون أجر الله ومثوبته ورضوانه، بإغاظة الكفار ومحاربتهم؟ أم برضاهم عنكم والذلة لهم؟ فكروا قليلًا بمصلحتكم، كم تخسرون إذا غضب الله عليكم ورضي الكفار عنكم؟ وكم تربحون إذا رضي الله عنكم وغضب الكفار؟

﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

إن الخسارة ليست خسارة المال، وليست خسارة الوظيفة وليست خسارة الدنيا بأكملها، إنما الخسارة أن تخسر نفسك وأهلك يوم القيامة.

﴿فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ [الزمر ١٥-١٦].

إن أخشى ما أخشاه عليكم إذا بدأ عباد الله بقتال أعـداء الله أن تقفوا موقف المتفرج ولا تقاتلوا، فتكون النتيجة أن يسحقكم أعداء الله وأنتم في بيوتكم، ثم

---

(١) بنحوه أخرجه ابن أبي شيبة (٣٥٤٧٣)، والبيهقي في الشعب (٩٨٩١)، والبغوي (٤١١٢) و(٤١١٣)، من حديث ابن مسعود، مرفوعًا.

وبنحوه أخرجه ابن ماجة (٢١٤٤)، وابن الجارود (٥٥٦)، والطبراني في الأوسط (٣١٠٩) و(٩٠٧٤)، والبيهقي ٥/ ٢٦٥، عن جابر، مرفوعًا.

تذهبون بعدها إلى النار وغضب الجبار؛ لأن الله أمركم بالقتال فلم تستجيبوا وأسلمتم إخوانكم المجاهدين لأعداء الله يقاتلونهم وأنتم قاعدون، والله سبحانه قد اشترى منكم أنفسكم وأموالكم مقابل الجنة، والشرط في هذه البيعة أن تقاتلوا فتَقْتُلوا وتُقْتَلوا لا أن تتقاعسوا وتستسلموا للقتال كالنعاج، أما إن كنتم من المستضعفين الذين ذكرهم الله:

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥].

فمن واجبكم أن تنصروا المقاتلين بعواطفكم وتشجيعكم ودعواتكم وبأموالكم إن كنتم من أهل المال لا أن تثبطوهم عن القتال والرسول يقول: «من جهز غازيًا في سبيل الله فقد غزا»(١).

أما إذا بدأ القتال وأنتم لم تستعدوا لا بالسلاح ولا بالتدريب فهل أنتم معذورون عند الله؟

ألم تقرؤوا في كتاب الله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

فهل أنتم معذورون أو تقبل حجتكم عند الله؟ أم أنكم لا تصغون لهذه الآية؟ وكأنها لا تعنيكم، ولعلكم كنتم تقرؤونها في صلاتكم ولعلكم كنتم تفيض لها دموعكم دون أن تشعروا أنكم مطالبون بالعمل بها... وما معنى قوله تعالى يا معشر العلماء:

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٤٣)، ومسلم (١٨٩٥)، عن زيد بن خالد الجهني، به، مرفوعًا.

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴾ [الفرقان: ٧٣].

وبعد أن تفهموا لنا معناها تذكروا معنى الآيات الآتية:

﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٖ ذِي ٱنتِقَامٖ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر: ٣٦ـ٣٨].

فهل تظنون يا معشر العلماء، ويا قادة الفكر والجماعات ويا أهل التربية والسلوك أن القعود عن الجهاد وقتال أعداء الله ذنب صغير؟

اسمعوا إن شئتم:

﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٨٣].

فلنتب إلى الله جميعًا من ذنوبنا وتقصيرنا وقعودنا عن الجهاد...

﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١].

ولنبدأ بالاستعداد للقتال، وبأس الكفار واقع بنا لا محالة، وليس أمامنا إلا أن يبدأ كل منا القتال ويحرض المؤمنين، وهل من طريق إلا أن يكلف المؤمن نفسه ويحرض إخوانه والله تعالى يقول: ﴿ فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴾ [النساء: ٨٤].

وهل هناك مجال للاختلاف على الجهاد وقتال أعداء الله والآيات بينات

واضحات؟ وما هي نتيجة الخلافات بعد أن جاءتنا البينات؟ اسمعوا إن شئتم قول الله تعالى، وهو يحذركم أن تكونوا مثل هؤلاء:

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٥ ـ ١٠٧].

إننا ندعوكم للقتال معنا لإعلاء كلمة الله وإقامة دولته في الأرض وامتثال أمر الله تعالى:

﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٣].

وسوف نبدأ القتال من حيث أمرنا الله عزوجل:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ١٢٣].

فمن كان يخشى على رأسه فليخرج من البلاد إن كان الخروج منجيه.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٢٤٣) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٤٣ ـ ٢٤٤].

وأنى للفرار أن ينجي من الموت أو القتال.

﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجمعة: ٨].

وأنى للقعود أن ينجي من القتل:

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وكونوا على حذر من أن تتولوا أو تقولوا ما يقوله الكافرون:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٦ ـ ١٥٧].

فالله الله يا معشر العلماء والقادة والمربين. بينوا حكم القتال لإخوانكم، وأعدوا أنفسكم ومن معكم له، فهو قتال أعداء الله الكفرة الحاكمين. وليكن بيننا التعاون والتشاور. لنقاتل في سبيل الله صفًّا واحدًا وبآن واحد. ولنترك الخلاف جانبًا. ولنتق الله فإن في الخلاف معصية الله تعالى والذلّ والهوان في الدنيا، والعذاب الأليم في الآخرة. وإن من صفات حزب الله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

وإن الله يقول على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم سيد المجاهدين:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١].

وإنّا على طريق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سائرون نفدي إخواننا، كل المسلمين من أقصى الأرض إلى أقصاها، نفديهم بدمائنا وأرواحنا في سبيل الله، نتقرب بحبهم والذلة لهم والرحمة بهم إلى الله تعالى، ونعلن العداوة والبغضاء والحرب على الكفار وأعوانهم ولا نسلم أنفسنا أو إخواننا لأعداء الله، ولا نعطي الدنية في ديننا لأن قائدنا صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من أعطى الذلة من نفسه طائعًا غير مكره فليس مني»(١).

وليشعر كل منكم في قرارة نفسه أنـه الأعلى والأعز بالله عزّ وجلّ:

﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

فيا أيها المسلمون: استعدوا لقتال أعداء الله فرادى وجماعات فقد آن لنا أن نخلع عنا ثوب الذل، ونعيش في الدنيا كرامًا في ظل نظام الإسلام.. أو نلقى الله شهداء وهو راض عنا، وإنها لإحدى الحسنيين: نصر أو شهادة.

ألا هل بلغت... اللهم فاشهد... والله أكبر، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٤٧١)، عن أبي ذر، مرفوعًا. قال الطبراني: لا يروى هذا الحديث إلا بهذا الإسناد، تفرد به: يزيد بن ربيعة. ويزيد بن ربيعة ضعيف الحديث.

الفصل الثاني

ما قيل عن مروان نثرًا وشعرًا

سوف أذكر ما قيل عن شيخنا مروان رحمه الله مقدِّمًا كلمة من هو أكبر سنًّا.

الأستاذ عصام العطار حفظه الله:

اتصلت بالأستاذ الفاضل عصام العطار وسألته عن الشيخ مروان فقال لي: «إذا كان في إنسان أقوى من الموت والتعذيب، وأصدق من الصدق، وأرجل رجولة وأشجع شجاعة فهو مروان حديد».

ثم أرسل لي الشيخ عصام كلمة مقتضبة على الإيميل، وكنت طلبت منه ذلك فقال: «أنا لا أعرف أصدق صدقًا وأوفى وفاءً وأشجع شجاعة وأقوى إرادة وأثبت ثباتًا وأصبر صبرًا وأعظم تضحية وبذلًا من الشيخ مروان حديد رحمه الله».

الأستاذ عدنان سعد الدين رحمه الله:

هو مسؤول أسرته تنظيميًّا عندما كان طالبًا في الثانوية في حماة.

قال: «رحم الله مروان، فإنه كان مع شجاعته التي لم نر لها مثيلًا وجهاده الذي لم نسمع عنه في جيله شبيهًا، مؤدبًا لطيف المعشر، عفّ اللسان، مهذب النفس، نقي الضمير والقلب، زاهدًا في الدنيا كالذي قرأناه عن حسن البنا الذي خرج من سلطان الدنيا ولم يلتفت إلى أي من زينتها أو إغراءاتها فكان اللقاء المنتظر مع الله عز وجل يملأ عليه قلبه وعقله، وكان اليوم الآخر نصب عينيه، وكأنه يسمع زفير جهنم ويتنسم عبير الجنان، وهذا ما زهد مروان بالزواج وحمله على العزوف عن الدخول بالزوجة التي عقد عليها.

ما هذا الإنسان العجيب والمجاهد الغريب والشجاع الذي لم يعرف عنه تذمر أو نحيب؟

فيا أبناء الإسلام وحملة القرآن هيا هيا واقتدوا بمروان الذي كان مثله الأعلى سيدنا محمد بن عبد الله ولد عدنان تفوزوا بإحدى الحسنيين أو بهما».

كلمة الشيخ نافع العلواني:

الحمد لله القائل في كتابه الكريم: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٦٧ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾. والصلاة والسلام على رسوله القائل: «سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر.... »[1].

أما بعد:

فإن الكتابة في عظماء الرجال شائكة، وذلك لتعدد وجوه العظمة، فرجل تكمن عظمته في قول الحق والسيف على عنقه، وآخر عظمته في جود بالنفس والمال في سبيل عقيدته، وذلك عظمته في وفاء يحمله على صدق القول والفعل وعلى معرفة بحقوق الأخوة والإخاء. وإنسان تكمن عظمته في ورع حاجز ووقوف عند حدود ما شرع الله...

ولكنني، شهد الله، ما رأيت هذه الصفات مجتمعة فيمن عرفتهم مدى ربع قرن إلا في أبي خالد مروان رحمه الله، بعد شيخنا الجليل محمد الحامد رحمه الله.

عرفته سنة ١٩٥١ في مدينة أبي الفداء حماة إحدى مدن سوريا الصابرة، فلمست لأول وهلة نبل الأصل وكرم المحتد وشمم العرين... ولم يكن قد انخرط في سلك الدعوة بعد، فتذكرت حديث المصطفى صلى الله عليه وآله

(١) أخرجه الحاكم (٤٨٨٤) من حديث جابر، مرفوعًا. وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٤٠٧٩)، عن ابن عباس، مرفوعًا.

وسلم: «الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»[1]. وكانت دعوة.. تلتها استجابة رائعة، فما كان الحق ليخفى على أصحاب القلوب الكبيرة والعقول النيرة..

ثم أعقب ذلك اطلاع كثيف ودقيق على ما كتب في الإسلام والمعاني الإسلامية، ولم أشعر بتغير شيء من أخلاقه وسلوكياته الرائعة، اللهم إلا اندفاعًا هائلًا في تيار العقيدة الحقة التي أدرك معانيها ما لم يدركه كثير من العاملين في حقل الدعوة، فكان بحق تلميذًا سبق أساتذته وطالبًا بزَّ أقرانه.. ولذلك كنت ترى أغلب أحاديثه وجل كلماته تدور حول «لا إله إلا الله»، وإنها منهج حياة، وإن الإسلام هو شريعة الله التي يجب أن تسود. وكان أشد ما يشدك إليه هذا التوازن الرائع في شخصيته من حيث التطبيق المتوازن بين العبادة والجهاد وبين الفهم والسلوك.

كان رحمه الله صافيًا صفاء العقيدة التي يحملها، شهمًا ذا مروءة عجيبة أصيلة، حريصًا عليها حرصه على كرامته حتى لو كان الماء يفسد مروءته لما شربه.

كان عزيزًا قبل تعرفه على الإسلام، فلما انخرط في سلك العاملين فيه زاده إيمانه عزة لا يخالطها كبر ولا استعلاء، عزة جعلته يشعر أنه قادر على مقاومة الطغيان وحده.

سألته مرة: ما هي أجمل اللحظات التي مرت بك سنة ١٩٦٤؟

فقال رحمه الله: أجمل اللحظات التي شعرت بها بعزة المسلم يوم أُلقي القبض عليَّ بعد حوادث جامع السلطان سنة ١٩٦٤ ولقد صُب علي البلاء صبًّا حتى أُلقيت في السجن بين الموت والحياة وإذا بضابط عسكري كبير يقترب مني ويقول: يا

(١) أخرجه البخاري (٣٤٩٣) و(٣٤٩٤)، ومسلم (٢٣٧٨)، عن أبي هريرة، مرفوعًا.

أستاذ مروان ماذا فعلنا لكم حتى نقمتم علينا؟ وأخذ يتذلل ويستعطف، فشعرت بعزة المسلم وأنا مقيد. وكان لحظتها أن اشتد إطلاق النار على «السراي» فظن ذلك الضابط أن المعركة قد انقلبت لصالح سكان مدينة حماة فأراد أن يتذلل ويستعطف الأخ مروان ليحفظ خط الرجعة.

كان رحمه الله شجاعًا والشجاعة أنواع، وكل أنواعها مجتمع فيه ولقد اعترف له بذلك العدو والصديق، اعترف له بذلك من حاكموه حتى كان بعضهم يقول إذا أراد صلاح الضلي أن يبرز شجاعته في المحاكمات فلا يبرزها على فلان وفلان فعليه أن يحاكم مروان.

كما اعترف له بذلك رئيس الجمهورية السابق «أمين الحافظ» وشهد له بها أثناء حكمه وبعده، وقد سمعت منه بالذات كلمة قالها في مروان، يمدح فيها شجاعته، لقد سمعته يقول: إنه أشجع من رأيت. وقوله: إنه لأشجع من عنترة.

كان رحمه الله قائدًا يتحمل المسؤولية بأكملها، تلمس ذلك فيه عندما كان يقول دائمًا لمن حوله من الشباب ـ والذين كانوا كثيرًا ما يقومون بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ كان يقول: إذا سألكم المسؤولون مَن فعل هذا؟ فقولوا: إن مروان هو الذي فعل وهو الذي أمر بذلك.

ما أعرف قائدًا في زماننا أكثر منه تحملًا للمسؤولية، لا يتهرب، ولا يوري، ولا يداري وكل من جاء بعده من قيادات السياسة والجهاد في الحقل الإسلامي كانوا عالة عليه، تبنى الحركة الجهادية في سورية وحده أول الأمر يوم كان تبنيها يعد جنونًا، عند من حسب الدعوة خطبًا رنانة وتصريحات طنانة.

أما أيام الوحدة، يوم طلب إلى الشباب في حينها أن يعتبروا كل رابطة

بينهـم وبيـن القـادة قـد قطعـت... وكان ذلك فـي بيت من بيـوت أحدهـم، التفت إلـيَّ رحمـه الله وقال:

هكذا يفهم جماعتك الإسلام، ثوب يخلعه الإنسان متى شاء ويلبسه متى شاء؟!

وتخلو الساحة في حينها من العمل الإسلامي إلا منه رحمه الله فجدّ في عمل دؤوب، وحافظ على القاعدة الصلبة من الشباب، والذين أراهم أو أرى بقاياهم الآن مستمسكين بهذا الدين، لا يفرطون فيه ولا بشبابه، حافظ على القاعدة الصلبة التي أعادت لسورية وجهها الإسلامي فيما بعد.

كان رحيمًا في قيادته لإخوانه رحمة الشيخ الذي يرعى تلامذته، فلم يفرط بأنملة أحد منهم إلا في مكانها، وكان يجعل نحره دون نحورهم، لا يسترخص دم أحدهم إلا في سبيل الله.

لم يعرف رحمه الله الطبقية في قيادته، فلم يكن يتميز عن إخوانه ويشهد الله أنه كان يؤثرهم على نفسه في المال والطعام، ولذلك تأثروا به، وهو القدوة التي ضربت المثل الأعلى في التضحية إذ قدم روحه أمامهم في سبيل ما يعتقد أنه الحق.

كان قائدًا إسلاميًا إخوانيًا بكل ما في هذه الكلمة من معنى، فكان حريصًا على اسم الجماعة حرصه على مبادئها، وكان يعتبر نفسه جنديًا من جنودها لا يستعلي ولا يتكبر، بل كان الخادم الأمين لأخوته، كان أول قائد إسلامي في سورية أسس للعمل الجهادي في خطوطه النظرية والعملية، ولم تأخذ الحركة الجهادية وضعها الصحيح إلا على يد مروان رحمه الله، ورغم أن قيادات الإخوان بقيت في أخذ ورد حول ما فعله، إلا أنه مضى في طريقه رغم اعتراض المعترضين، ثم تبنوها وأيدوها عندما بدأت تؤتي أكلها، أما في أول أمره فقد عانى الكثير وبخاصة عندما كان مختفيًا

في دمشق، رغم أن هذا طبيعي في الدعوات الربانية، إذ لابد أن تعاني مثل هذا ولابد لكل جديد أن يقسمهم إلى معسكرين معسكر يؤيده ومعسكر يخذله، إلا أن الذي عاناه رحمه الله هو فوق تحمل الإنسان العادي، ومع كل ما لاقاه رحمه الله من بعض إخوانه فقد كان ذليلًا لهم رحيمًا بهم يحلم على سفيههم ويتجاوز عن الخطيئات، وأشهد أنه أدرك من معاني الدعوة في شهور ما لم يدركه من تربوا في أحضانها السنين الطوال، ولكن الناس معادن واستعدادات، والله يؤتي الحكمة من يشاء.

لقد عايشته السنين الطوال من سنة ١٩٥١ إلى ١٩٧٣ حيث لم أره بعدها رغم محاولتي ذلك، أتذكره فأتذكر الإخاء الصافي في وقتٍ عَزَّ فيه هذا الإخاء، أتذكره فأتذكر وضوح المفاهيم وسيادة المثل في وقت اختلت فيه المثل عند دعاتها، وانحرفت فيه المفاهيم عند من هم المسؤولون عن تصحيحها وضرب المثل الصحيح فيها.

أذكرك فأشعر أنني أتفيأ ظلال دوحة غناء، ألمح تحتها أرواح الشهداء الذين مضوا يخطرون مع النبيين والصديقين.

لقد اعتقل رحمه الله اعتقاله الأخير ١٩٧٥ وبقي إلى حين استشهاده عام ١٩٧٦ وكنت أعيش معه الساعة فالساعة لا يغيب عني فلما قضى رحمه الله كنت كما قال القائل:

وكيف يلذُّ في عيشٍ خليلٌ ... تغمّد في الثرى عنهُ خليلُ

لقد كان بودي أن أؤلف فيه كتابًا حتى أبقى على صلة بذكراه إن شاء الله، إنها صلة تمتد إلى ربع قرن تقريبًا، ولكن الأخ حمدو حمل عني هذا العبء.

فهنيئًا لك يا أبا خالد في الملأ الأعلى، وهنيئًا لك ألَّا ترى القوم وقد تساقطوا

على الطريق بين من عبد الدينار وبين من شهد الزور، وبين من باع دينه بعرض من الدنيا قليل، بين من لم يحفظوا للإسلام عهدًا، ولا راعوا حرمة لدين أو ضمير، ولكن ما حيلتنا وقد جمحت بنا الدنيا نافرة، ورمحتنا مولية، فملح عذبها وخشن لينها، وصرنا نصبر على أمور ما كنا نحتملها، وصدق من قال:

يُقضى على المرء في أيام محنته حتى يرى حسنًا ما ليس بالحسن

هنيئًا لك يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، ومع كل هذا فلنا في فقد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خير العزاء.

وإذا أتتك مصيبة تشجى بها فاذكُرْ مصابك بالرسول محمد

فأسأل الله تعالى أن يكشف الغم ويزيل الكرب، فإن البلاء كبير وطبيعة الإنسان تكره البلاء ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾.

ولكن حكمة الله قد تخفى، ونحن مسلمون له، راضون بقضائه على كل حال، فهو الرب ونحن عبيده ولن يضيعنا الله عز وجل وإن قلّ النصير من البشر.

عناء وبأس واشتياق وغربة وهجْرُ حبيبٍ إن ذا لعظيم

وأي امرئ دامت مواثيق ودّه على عشر ما بي إنه لكريم

كما أسأله تعالى ألا يحرمنا أجره ولا يفتنا بعده، وأن يجعل خير أيامنا أواخرها وخير أعمالنا خواتيمها وخير يوم يوم لقائه.

والحمد لله رب العالمين.

نافع العلواني

الأردن ـ عمان

كلمة الشيخ

سعيد حوى

رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله...

«الشيخ مروان حديد السابق الصادق».

أتراه حديدًا فقط؟ أم أنه أشد أنواع الفولاذ صلابة؟ لقد كان شيخنا محمد الحامد ـ رحمه الله ـ يود في الظاهر لو أن الشيخ مروان خفف من شدته، لكنه رحمه الله قال لي مرة يتمنى: لو كان عندكم ألف رجل من مثل هذا الرجل الحديدي، الشيخ مروان حديد!

وفي أحداث حماة عام ١٩٦٤م قد أخذ الشيخ محمد رحمه الله على عاتقه إنقاذ البلد وإنقاذ المحكومين والمعتقلين، وأنقذهم فعلًا، ولامه الشيخ مروان على هذا الإنقاذ فقد كان مستعجلًا للقيا الله شهيدًا، فحدثت فجوة بينه وبين الشيخ، فرؤي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام وكأنه قادم لإصلاح ذات البين بين الطرفين.

لقد كان الشيخ مروان رحمه الله ولا زال وسيبقى أسطورة يفتخر بالنسبة إليه محبوه، ويدعي إليه النسبة شانئوه ومبغضوه ومنتقدوه، ومتى رأيت إنسانًا هذا حاله، فاعلم أنه قد تجاوز حد الرجل العادي.

كان رحمه الله أمة وحده، لا يبالي إذا استبان له الطريق من وافقه أو خالفه،

وكان حي الأمل إذا يئس الناس، أخروي القلب إذا انتكس الناس، واثقًا بنصر الله مهما ادلهمَّت الظروف، آمن بالإسلام، وآمن بجماعة الإخوان، آمن بها حركة مواجهة للطاغوت، فما بالى بفلسفة الفلاسفة، ولا بحكمة الجبناء والمتخاذلين، فدرَّب وأرسل إلى ربى فلسطين وفجر ثورة ضد النصيرين.

ولئن كان بعض الناس حريصًا على تصفية هذه الثورة، فإن لهيب الحب للشهادة، ولهيب الكلمة الصادقة، سيحرق هؤلاء وأمثالهم ويلقي بهم حيث تستأهله ذلتهم وجبنهم، وستبقى الثورة الإسلامية في سورية مستمرة بإذن الله حتى يأذن الله بنصره.

كان رحمه الله بصيرًا بالحق وأهله، وبالباطل وأهله، فأحب الأولين بفطرته وأبغض الآخرين بفطرته، كانت عقيدته عقيدة أهل السنة والجماعة، ومذاهبهم الفقهية محل احترامه، ومن ههنا كان حبه للشيخ محمد الحامد عميقًا وكانت احتراساته على من خالف هذه التوجهات كبيرة.

لم يكن يعرف عن الشيخ مروان الشعر، ومع ذلك جاء بالعجب العجاب، فالشعر عنده إلهامات تتدفق، وفيوضات يتفجر بها قلبه، وهو يخاطب أمة غلب عليها اليأس والاستسلام، وهو يخاطب أصحاب دعاوى لا يحاولون أن ينقلوها إلى ميدان الأعمال، ولقد استطاع ذلك على أقوى ما يكون.

كنت أتأمل مَن جذبتهم روحه فألقى بهم في أتون المعارك، فأعجب كيف استطاع أن ينتزع من قلب الترف ومن قلب الكسل ومن قلب الجبن هذه البطولات الخارقة، وهذا الصبر الهائل، وهذا التصميم العظيم، كان ذلك وحده آية عندي أن الأمة الإسلامية تنجب الأفذاذ.

ترى هل كان الشيخ مروان حديد شعلة وانطفأت كما ظن أعداؤه، أو كما ظن الشامتون به، أو كما يريد المتآمرون من حركته...؟ إن هؤلاء جميعًا واهمون، فعندما يصبح إنسان ضمير مرحلة، ويتكلم عن واجب الأمة، ويقدم حياته ثمنًا لرسالة فإن كل سدود الأرض لا تستطيع أن تحبس حمم براكينه.

كلمة الدكتور

أحمد جواد

رحمه الله

المهندس الشهيد الأخ مروان حديد رحمه الله، رائد الجهاد، وداعية الاستشهاد للنصف الثاني من القرن العشرين، بطل لا تدانيه الأبطال، ورجل ليس كمثله في الرجال، قوي الشكيمة، ثابت العزيمة، عميق الإيمان، رابط الجنان، دعا إلى الإسلام بقوة، وتحدى الكفر والإلحاد ببسالة وفتوة، كل من خالطه يأنس إليه ويحبه، إنه فصيح اللسان وواضح البيان، سريع البديهة قوي الحجة والبرهان، ملتزم بكتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام.

كلمة الشيخ

محمود الحامد

حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن الحديث عن القائد البطل الشهيد مروان حديد، ذو انعطاف ساهر، لا تهدأ له الجفون ولا ترفأ له العيون، تتسامر في قيعانه الأشجان، وتصدح على أجوائه الألحان، يسير المرء فيه بين تلاع الحميم ووهاد الرضا.

إن الحديث عن الشهيد الشيخ مروان حديد رحمه الله، مسترسل عبر نبض القلوب، وخفق الروح، وهاجس النفس، واضطرام الحشا.

فذكراه ماثلة في خلد كل من صحبه وتأثر بسيرته وأعماله، ومجاهداته واجتهاداته، إلا أن الذي حفزني فعلًا إلى تحبير هذه الكلمات عنه، أن تقدم إلي أخي الحبيب الأستاذ حمدو حمشو راغبًا أن أكتب نبذة عنه، عليه سابغ الرحمات، وكان من أصحابه المقربين، فرأيت أن هذا من بعض الواجب الذي كان عليّ أن أستميح به روحي وأستفرغ على متكآته جوانحي، وإن الحديث عنه ذو شجون، فأقول وبالله التوفيق:

الحديث عن الشهيد مروان يستلزم الحديث عن التطورات الحياتية التي تقلب فيها وعن الضيعة الروحية والنفسية التي فطر عليها.

ويمكن استنجاز ما يحضرني منها:

١ ـ قوة حاله وتأثيره في الشباب من حوله.

٢ ـ احتراقه في الدعوة إلى الله.

٣ ـ صلابته في بيان الحق.

٤ ـ لا يخاف في الله لومة لائم.

٥ ـ حربه التي كان يشنها بلا هوادة على الأعداء والمارقين والمفسدين.

٦ ـ دعوته إلى الجهاد الفعلي الخارج عن نطاق الشعارات والأمنيات.

٧ ـ علاقاته الطبيعية مع إخوانه وممازحاته اللطيفة معهم، بل استخدامه أسلوب الدعابة النشطة المنضبطة أثناء عشرته مع إخوانه، ونظمه للشعر في شتى الجوانب من جهادية واجتماعية وغيرها، واستخدامه جوانب من الهجاء المحبب مع من يطمئن إلى صدق حبهم وصداقتهم.

نهج كفاح، وقول صراح، لم يعرف في حياته للنفاق سبيلًا، ولا عرف التردد في احتمال المبدأ إليه طريقًا، تفرد في مسالكه بأمور، قل ما يتحلى بها الشباب من أترابه وقضى بإذن الله شهيدًا.

يطلب مفارج الحق مهما استهدفه الموت من مضائق، جماع أمره التزامه بالدعوة إلى الله على بصيرة كما قال الله تعالى:

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فنسأل الله تعالى أن ينيله من الجزاء قراب ما التاعت به نفسه على ما تزلزل في قلوب الناس من حوله من معالم الدين وتجرّف عندهم من حياض اليقين، وأن يسكنه الجنان الفساح بعد ما خاض من ضروب الكفاح وغاص في لجّة الآلام والهجوم في السجون الكثير الكثير، إنه خير مأمول وأكرم مسؤول.

الشيخ محمود الحامد

كلمة الدكتور

محمد صادق الحموي

بسم الله الرحمن الرحيم

مروان حديد شمس لا تغيب

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد:

فقد طلب مني أخي العزيز الأستاذ حمدو حمشو أن أكتب له عن الشيخ مروان حديد؛ لأني كنت جاره في المنزل، ولأني كنت أتردد عليه في دمشق خدمة ومساعدة له، إن كان في ضيق، هذه عادات أهل حماة، حب للجار ووقوف معه أيام الأزمات، فاستجبت لطلبه لأنه أخ عزيز ولا يسعني رد طلبه، فاستجمعت ذكرياتي مع الشيخ مروان فوجدتها تحتاج إلى كتاب خاص، لكن كثرة واجباتي تمنعني الآن من صنع مثل هذا الكتاب الذي انبرى لصنعه الأخ حمدو، وهو قمين بذلك، والحق أني كنت قدمًا عازمًا على تأليف مثل هذا الكتاب، وكثير من إخواني وأصحابي يعلمون بأني قد استكتبت بعض الأحبة الذين كانوا يعرفون مروان، ويُعدون من تلامذته وأصحابه، فكتب لي بعضهم، ولم يستجب بعض آخر، وأجلت الكتابة لعوائق وصعوبات حالت دون ذلك، ثم علمت أن عددًا من الإخوة بدأوا يكتبون عن الشيخ مروان، قلت في نفسي: لا ضير فشخصية الشيخ مروان متعددة المواهب، ذات جوانب كثيرة، ولعل كثرة التآليف حوله تعطي أجيالنا صورة صادقة عنه، وعن إخوانه المجاهدين الذين يعدون طلائع هذه الثورة التي نعيش فيها، ولا أرغب أن

أكرر ما ذكره الأخ العزيز حمدو عن حياة الشيخ مروان وصفاته، وسجونه، فقد أوفى، وأجاد، ولكن أرى أن ثمة أمرين مهمين يجب ذكرهما في هذه العجالة، أتمنى من أخي المفضال أن يسجلهما لبيان الحقائق، وإزالة الشبهات.

أولهما: أن بعضًا من قيادة العمل الإسلامي في سورية تبرأوا منه قبل هذه الثورة، وطمسوا اسمه من سجلاتهم السياسية، ما عدا الأستاذ المرحوم عدنان سعد الدين، فقد بقي منافحًا عن الشيخ مروان وعن تلامذته، محاولًا إقناع الجماعة بمتابعة مروان في نهجه، وحصل خلاف شديد بينه وبين بعض قياداتهم الذين تبرأوا من مروان على شاشات القنوات الفضائية، وغايتهم حينئذ الاقتراب من النظام، وحل مشكلتهم متناجين في جلساتهم الخاصة: «هل يُعقل أن نتورط فتدمر سورية من أجل حماة».

نعم، تناسوا مجزرة حماة، وآهات المفجوعين، وأنات الثكالى، وسبحان الله ظهرت في الثورة راية مروان، ومن قبل ارتفعت رايته في أفغانستان، ولا تكاد تجد مجاهدًا واحدًا في أي فصيل يجاهد في سورية الآن إلا ويحب مروان ويعتبر نفسه من جماعة مروان، وأنه امتداد له، ووصل الأمر ببعضهم إلى «التبرك» بالأخ الذي يعرفون أنه قديمًا كان من جماعة مروان.

إن إخلاص مروان، وثباته على مبدئه هو أقوى سلاح أمام من تبرأوا منه، وهذا الإخلاص، والثبات جعل أعداءه في السجن يحترمونه ويبجلونه، ولطالما كان يردد، رحمه الله تعالى:

أخـي أنـت حـر وراء السـدود ‏ ‏ ‏ ‏ أخي أنـت حـر بتلـك القيـود

لقد قهر أعداءه وانتصر عليهم وهو في غياهب سجونهم، لقن الذين حققوا معه

دروسًا في الفضيلة والأخلاق والقيم العالية، كما لقنهم دروسًا في التضحية من أجل المبادئ السامية التي تربى عليها، شتموه بألسنة تنم عن رذالتهم وسخفهم، فأجابهم: ليكن خصامنا شريفًا. وليتهم يعرفون الشرف أو الكرامة! وفي سجن المزة قال لناجي جميل، وهو من الضباط المقربين لحافظ الأسد وقائد القوى الجوية، وغيره: أطلقوا سراح المعتقلين فأنا مكانهم جميعًا، ردوهم إلى أهاليهم وأولادهم وأمهاتهم.

هذا هو القائد الذي يستحق أن يكون قائدًا؛ لا يعرف إلا الإيثار، ويقدم روحه فداء لطلابه وأحبابه، خصاله وشمائله كثيرة جعلت كل الناس تحبه.

إن الشهيد مروان امتداد للشهداء الذين استشهدوا في زنازين الظلام، في كل العالم الإسلامي، هو صورة لمقولة الشهيد سيد قطب «لا أسترحم الباطل». وصورة لمقولة صاحبه ورفيق دربه الشيخ سعيد حوى: «فاقض ما أنت قاض».

الشهيد مروان يجب أن يكون الصورة المشرقة في تاريخ الجماعة التي يجب أن تفتخر به وبجماعته، لقد صح مني العزم والدهر أبى، لقد أقصوا أتباعه ومن يحمل فكره عن الجماعة بأساليب كثيرة من أبرزها أن فلانًا من الطليعة، وكأن ذلك سبة وعارًا، ومن عمل منهم مع الجماعة صيروه في المراكز الخلفية التي لا تأثير لها في قراراتهم السياسية.

والحق أني لم أرد الخوض في هذه الخلافات، لكن القلم أبى إلا أن يسجل ما أعتقد أنه يجب أن يقال محبة ونصحًا لهم، فلا أحد ينكر فضل هذه الجماعة في سورية، ولا أحد ينكر أياديهم البيضاء على العائلات التي نزحت من سورية إلى الأردن الشقيق بعد مجزرة حماة، لقد قدموا لهم ما يحتاجونه من مال ودواء حتى لا تجد واحدًا منهم وقع في ضيق، وأمنوا لهم كثيرًا من الأعمال التجارية، بل إن بعضهم استدان المال منهم لفتح المحال التجارية، فجزاهم الله خيرًا، لكن مشكلتهم

السياسية صعبة جدًا، والمؤامرات تحاك ضدهم، وهم حتى الآن طلاب في العمل السياسي، لذلك أخفقوا ـ فيما أحسب ـ في إدارة العمل العسكري والسياسي في سورية، وهم أعلم مني بأمراضهم وأسقامهم التي يجب أن يتداووا للشفاء منها، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثانيًا: إن الشيخ مروان كان يمثل روح الفكر الإسلامي المتزن، لم يكن «تكفيريًّا» ولا «خارجيًّا»، كان غرضه تحرير سورية من سيطرة الطائفة النصيرية الحاقدة على أهل السنة والجماعة، وغلب عليه كما ذكرت «الجهاد» الواعي الناضج، لذا عمل منذ انتسابه إلى جماعة الإخوان على تجسيد الفكرة التي لا تفارقه وهي أن سورية محتلة من قبل النصيريين الطائفيين؛ فيجب إزاحتهم من الحكم وتحرير البلد من طائفيتهم وإجرامهم بحق المسلمين، وقد ظهر أمرهم وهدفهم في تلك الشعارات التي كانوا يسجلونها على الجدران، فهي تتضمن الكفر الصراح، والمعروف عند الجميع أن ثورة عام ١٩٦٤م قامت على إثر هذه الشعارات.

وقد بقي على هذا الاعتقاد لا يتزحزح عنه، ولا يفتر حتى استُشهد، وقد تأكد عنده هذا الاعتقاد تمامًا حين ظهرت الوجوه النصيرية التي تخبأت في حزب البعث، وتوجت بحافظ الأسد الذي باع الأراضي السورية لليهود ثم بإقدامه على حذف عبارة «إن دين الدولة هو الإسلام» من الدستور، فكان رحمه في كل يوم يتجذر عنده هذا الاعتقاد، وصار يقينًا في عقله وقلبه، ورأى أن لا علاج لسورية إلا بإزاحة النصيريين من الحكم، فهو رحمه الله لم يكن من أهل التكفير الذي ظهر في هذه الأيام، فلم يكفر أحدًا إلا النصيريين بائعي الجولان، والدليل على ذلك أن تلامذته حين بدأوا عملهم الجهادي لم يستهدفوا إلا الشخصيات النصيرية من رجال المخابرات، والبطانة الخاصة لحافظ الأسد من النصيريين، أما رجال المخابرات

من أهل السنة المتعاونين مع النصيريين الذين أفسدوا كثيرًا استصدرت فيما يبدو جماعة مروان فتاوى بهم بعد تأكدهم وعرض أفعالهم على المشايخ، فكانوا فيما يبدو يفتون لهم بذلك، لكن الأصل في عمل جماعة مروان هو استئصال الضباط النصيريين الذين استأثروا بالحكم، وصاروا يكتبون في لوحات المدارس مادحين حافظ الأسد «الرجل الذي أصلح غلطة التاريخ»، فكأن سورية هي في الأصل لهم، وكأن الأمويين وكذا الحكومات السنية هي عرض زائل وهو خطأ تاريخي!

وثمة دليل آخر يؤكد أن الشيخ مروان كان هدفه مقاومة الضباط النصيريين هو أنني كنت في جلسة مع الأخ المرحوم صفي عدي في دمشق، وكان الشيخ مروان في غرفة ثانية عنده بعض الضيوف الدمشقيين، ومعنا الأخ الشهيد أبو العون، قلت للأخ صفي: ماذا في ذهن الشيخ مروان الآن حسب ما تراه؟ قال لي: والله لا أعرف بدقة ما خُططه لكنني كنت أكنس البيت فوجدت ورقة تحت سجادة صلاته مكتوب فيها أسماء الضباط النصيريين. وأذكر أن الأخ غسان المراد رحمه الله كان مستأجرًا غرفة في منطقة البرامكة، وقال مرة للشيخ مروان: إن في عمارتي ضابط نصيري، يأتيه ضباط كل مساء ثلاثاء. واهتم الشيخ مروان للأمر، ولا أستبعد أنه أمر بعض طلابه من الدمشقيين مراقبتهم، والظاهر أن الإخوة الدمشقيين الذين نظمهم مروان كانوا يقومون بهذه المهمة، يجمعون أسماء الضباط النصيريين، ويراقبونهم مراقبة دقيقة، وكانت الخطة النهائية التي يفكر بها مروان رحمه الله هي اغتيال الضباط النصيريين الفاسدين الذين يثبت أنهم طائفيون، حاقدون على أهل السنة يذلونهم ويظلمونهم ولاسيما الجنود السنيون الذين يؤدون خدمة العلم، لقد كانوا يذيقونهم الذل والمهانة، ويمنعونهم من الصلاة والصيام، ويفرضون عليهم حلق لحاهم مع إزعاجهم بشتم الذات الإلهية والرسول بشتائم لا يمكن أن يرضى بها مسلم.

المهم أنه سيكون هناك ضوابط لقتلهم، وهذا الأمر سيكون في يوم وليلة واحدة ثم تنطلق المظاهرات بعصيان مدني شعبي في كل المحافظات السورية حتى يسقط نظام حافظ الأسد، وهذه المظاهرات ستكون بعد تهيئة الشعب السوري كله بواسطة المشايخ والخطباء والوجهاء، والدليل على ما أقوله أنني سمعت من الشيخ مروان رحمه الله في إحدى زياراتي له في دمشق لأطمئن على أحواله أنه لا يريد من الشيخ محمود الحامد أن تكون خطبه المنبرية بهذه القوة، فقد بلغه أن الشيخ محمود حفظه الله قد خطب خطبة في حماة في جامع السلطان ألهب فيها المشاعر طالبًا من الناس تهيئة أنفسهم للجهاد، فكان مما قاله لي الشيخ مروان: نحن لسنا جاهزين للمعركة، قلنا للشيخ محمود: ليتك بهدوء تذكر الناس بثقافة الجهاد، كما يقال الآن، وأضاف قائلًا ـ ويده ترجف أمامي رحمه الله ـ: لا نستطيع الآن مجابهة النظام، وهي ورطة لو فكرنا بذلك الآن.

كل ذلك يؤكد لنا أنه ـ رحمه الله ـ كان يفكر بهدوء وذكاء لنجاح الثورة التي كان سيقوم بها، أما اغتيال الشخصيات النصيرية التي قام بها أتباعه فهي من خطة الأخ عبد الستار الزعيم رحمه الله، والظاهر أنه بعد اعتقال مروان، غيَّر عبد الستار الخطة التي كان مروان يخطط لها ـ والله أعلم ـ.

أخيرًا لقد اجتبى الله سبحانه وتعالى الشيخ مروان ليكون قائدًا واعيًا ملهمًا، فمنحه من الشمائل الرفيعة، والخصال الحميدة، والصفات القيادية الجهادية ما لم يعط ـ فيما أحسب ـ لغيره ليكون قائدًا، وإذا كان لكل طائفة ولي لله فالذي أحسبه أن الشيخ مروان رحمه الله هو «ولي» مجاهدي هذه الأمة، وسيبقى منارة تستضيء بها الأجيال، يهتدون بمنهجه، ويسيرون على طريقته، ويستمدون من سيرته ما يبعث

فيهم عزة المسلم، وكبرياء المؤمن، ويتمثلون به عظمة حبيبهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فمن مشكاته مروان حديد.

أخبرني في جلسة معه في غرفة مسجده ضاحكًا زرنا الشيخ محمود الشقفة رحمه الله تعالى، فقال لنا: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام، وأهداني سواكًا، فقال له الشيخ مروان على ما أتذكره الآن: أين السواك؟ وسكت الشيخ محمود مطرقًا. ومنذ سنوات خلت سرت مع الشيخ سعيد الطنطاوي ـ أمد الله في عمره وشفاه من أسقامه ـ وهو محب للشيخ مروان حبًّا لا مزيد عليه، وسردت له هذه الحكاية بكاملها، فتبسم رعاه الله وقال: نعم الرؤيا صادقة؛ لأن المراد من «سواكا» ليس المسواك الذي طلبه منه الشيخ مروان، بل المراد أنك يا مروان لن تكون من مريديَّ وتلامذتي بل لك شيخ آخر. ومراد الشيخ سعيد أن لمروان طريقة أخرى وشيخًا آخر، لعل المراد منه هو الشهيد حسن البنا رحمه الله تعالى.

قلت: سبحان الله لا أحد فسر لي هذه الرؤيا كما فسرها هذا الولي الصالح، الذي يقول عن مروان: إنه أميري، يقصد أنه حين تعرف عليه في بانياس واصطحبه إلى وادي العيون جعله أمير القوم، وإنما سقت هذا كله لأؤكد أن الكل من رسول الله ملتمس، فما هي إلا مدارس المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

رحمك الله أبا خالد، فلا زلت شامخًا خالدًا.

الشيخ مروان حديد وترهات ماهر الحمود

بقلم: محمد الصادق الحموي

استمعت إلى حديث الشيخ ماهر الحمود السني الموالي لحزب الله في القناة التابعة لناصر قنديل الموالية لبشار الأسد، ولا يهمني حديثه عن الإخوان المسلمين في مصر أو في سورية، ولكن راعني ما تحدث به من أباطيل وترهات عن الشيخ الشهيد مروان حديد الحموي، هذا الرجل ـ الشهيد مروان حديد ـ جاري بيتًا لبيت، فنحن من حي البارودية في حماة، وتربطنا بعائلته روابط كثيرة، والحي كله أسرة واحدة، بل حماة كلها أسرة واحدة، ولأني أعرف هذا الجار حق المعرفة رغبت في بيان حقيقة موقف الشيخ مروان حديد من نظام آل الأسد، بإيجاز شديد إذ لا وقت الآن لفتح مثل هذه الملفات، فالشعب السوري الآن في محنة شديدة وأهوال صعبة، ولاشك أن الحديث عن الشهيد مروان حديد يحتاج إلى وقت طويل واسترجاع شريط الذكريات تلك التي عشناها في حي واحد، إذ كنا نراه كل يوم تقريبًا ويقف معنا نحن شباب الحي وكأنه واحد منا.

لقد رزق الشيخ مروان إيمان الصديقين وإخلاص الموقنين، وشمائل الأولياء الصالحين، كذلك نحسبه والله حسيبه، ولو أردنا أن نكتب عن هذا الجانب فقط لكتبنا الكثير الكثير، والفكرة التي أريد أن أتحدث عنها فحسب هي الفكرة التي أثارها الشيخ ماهر الحمود حيث زعم ـ ماهر الحمود ـ أن الشيخ مروان حديد كان مخطئًا حين وقف أمام حافظ الأسد، وأن بعض إخوان ماهر الحمود أرادوا أن يأخذوه إلى الشيخ مروان حديد حين كان مختبئًا في دمشق لكنه رفض محتجًا بأنه سوف يسافر إلى صيدا ـ أي تهرب من لقائه ـ وسياق حديث ماهر الحمود هو الطعن بمنهج الشيخ مروان حديد في قتاله مع جماعته لحافظ الأسد.

أقول: إن الشهيد مروان حديد يعد من أعلام سورية الذين سيخلدهم الشعب السوري، لأن هذا الرجل بإيمانه المشرق وبذكائه المفرط، أدرك أن حافظ الأسد يعمل لطائفته النصيرية وليس لشعب سورية، وأدرك أيضًا أن حافظ الأسد الذي باع الجولان وقبض ثمنها رئاسة البلاد سيأخذ سورية إلى الدمار الذي عاش فيه الشعب السوري خمسين سنة، دمار الدين ودمار الأخلاق ودمار القيم الإنسانية، لقد عرف مروان حديد النصيريين لأن قراهم قريبة من مدينة حماة جدًّا، ودخل سجون البعثيين كثيرًا فوقف على مؤامراتهم ضد المسلمين في سورية، لذلك كان رائدًا لقومه من أهل السنة والجماعة لكن بعضًا منهم خذلوه، لقد رأيته بعيني واقفًا أمام مسجده الكائن في وسط حي البارودية يناشد الناس بأن لا يجتمعوا في وسط البلد ـ في ساحة العاصي ـ احتفالًا بقدوم الأسد إلى مدينة حماة.

لقد غش حافظ الأسد الشعب السوري المسلم والسذج من زعماءه، ما عدا مروان حديد وجماعته، وحينئذ عارض رحمه الله الإخوان المسلمين الممثلين بالفوج الرابع الكشفي حين نزلوا إلى ساحة العاصي، يحملون المشاعل والطبول محتفلين بحافظ الأسد، لذا لا غرابة من بعض الإخوان المسلمين الذين تبرؤوا منه فيما بعد حين مدوا أيديهم إلى النظام النصيري في عصر حافظ الأسد ليفاوضوه ويصالحوه، بأعذار واهية، وحجج لا يقبلها إلا من تبعهم على غير هدى ولا كتاب منير، منها أن المرحلة السياسية التي يمرون بها تفرض عليهم قول ذلك، والحق أن الكثيرين منهم يعتزون ويفتخرون بالشيخ مروان حديد، بل إن الذين تبرؤوا منه تراهم في مجالسهم الخاصة يعترفون بفضله، وأنهم دونه في التضحية والشجاعة وقوة الإيمان والإخلاص.

والشيخ مروان حديد كان يعتقد أنه هو الذي يمثل الإخوان المسلمين الحقيقيين؛ لأن الجماعة فيما يعتقد قد تخلت عن مبادئها التي من أهمها تحرير سوريا من الطغمة النصيرية ومن شايعها من البعثيين السنة، لذلك كنت أسمع من بعض المقربين منه أن الشيخ وجماعته هم على اعتقاد تام أنهم هم الإخوان الحقيقيون، ولهذا الأمر سمى جماعته الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين، لذا فالقول: إن الشيخ تركهم أو هم فصلوه ليس بصحيح، فالقضية تتعلق بخلاف كبير في الرأي وفرق كبير بين خلاف في الرأي والقول بالفصل، فالذين زعموا فصله بحجج واهية لا يمثلون إلا أنفسهم، بدليل أن الكثرة الكاثرة تدين بالولاء للشيخ مروان، وليعلم الشيخ ماهر أن تلامذة مروان كلهم من الإخوان المسلمين، ولا يماري في ذلك أحد، لذلك كله لا يصح القول: إنه انفصل عنهم أو هم الذين فصلوه، فالكل يسقى من ماء واحد، والهدف أيضًا واحد، لكن اختلفت الطرق التي ستؤدي إليه.

والحق أنني لا أود أن أتحدث في مثل هذه المشكلات، ولا يهمني هذا الأمر بقدر ما يهمني الدفاع عن هذا الشهيد البطل الذي اعترف أعداؤه بفضله ومنهم أمين الحافظ الذي ثار عليه في عام ١٩٦٤ في مدينة حماة، لقد ثار هذا الرجل لأن البعثيين السنة المغفلين سمحوا لأفراد الطائفة أن يمسكوا زمام الحكم في الخفاء، نذكر منهم محمد عمران وصلاح جديد، وصاروا يكتبون على الجدران عبارات الكفر، بل كتب بعضهم مقالًا طلب فيه وضع (الله) في المتحف، فقام الرجل بثورته مؤملًا أن يساعده علماء سورية كلها للخلاص من البعثيين ومن ورائهم النصيريين الذين كانوا يخططون للاستيلاء على الحكم كاملًا وإزاحة أهل السنة، وقد اعترف الرئيس أمين الحافظ بذلك رحمه الله.

وارجع إلى برنامج شاهد على العصر الذي بثته قناة الجزيرة لتتأكد من ذلك يا ماهر الحمود، ولكن العلماء في سورية طيبو القلب، وسرائرهم نقية، ويظنون أن أهل الطوائف مخلصون لبلدهم الذي تربوا فيه فانحصرت الثورة في حماة فقط، وضغط الضباط النصيريون لاستصدار قرار الإعدام، وفعلًا صدر القرار بإعدام مروان حديد مع جماعته، لكن أمين الحافظ انتبه إلى مؤامرات الضباط النصيريين، فعفا عنه لأنه رئيس سني، ولأنه أدرك المؤامرة التي تحاك ضد أهل السنة، وليته يرحمه الله، قضى عليهم، واستأصل شأفتهم، ولكن ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا.

والحق أن اللوم قديمًا وحديثًا يقع على ضباط أهل السنة، فمن أجل مصالح شخصية، أو غانية، أو مال وفير، أو لجهل بحقيقة الطوائف المارقة، ضيعوا سورية، هذه الجريمة التي ارتكبوها بحق هذا البلد المسلم، وضيعوا هذا الشعب المسكين، فليتك يا شيخ ماهر الحمود قابلت الشيخ مروان حديد لتصير حديدًا، تسير مع أهل السنة، ولا تغتر بما يحدثونك به من سماحتهم، ونزاهتهم، فملمسهم ناعم، ولسانهم جاذب، لكن لدغهم لدغ العقارب، ومكرهم مكر الثعالب، فلا تضيع لبنان، ولا تضيع إخوانك من أهل السنة والجماعة.

وأخيرًا لقد سرح القلم من الألم، فأنت سني مضحوك عليك، ثم لا داعي للتطاول على عظماء الأمة، فلا ينبغي لقزمٍ أن يطاول عنان السماء، وهون عليك وعلى الذين تخدمهم بمثل هذه الترهات والأباطيل، أتحكون جلودكم الجرب وأين الثرى من الثريا، يكفي شهيدنا الشيخ مروان حديد فخرًا أنه استشهد في سجون النصيريين، فاتئد يا حمود وتوقف، ويكفيك صغرًا أنك تقف مع من يشتمون أبا بكر وعمر وعائشة، وقد علمت بأن المرء يحشر مع من أحب.

انظر هداك الله إلى قناة أهل البيت واستمع إلى هذا الإيراني الرقيع الجاهل ـ الذي لا يكاد يقرأ آية قرآنية إلا ويخطئ في قراءتها ـ كيف يشتم سيدنا أبا بكر وعمر وأم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنهم جميعًا، مُر ـ إن استطعت ـ حسن نصر الله أن يوقف هذه العلوج، واربأ بنفسك أن تعوم في مستنقعاتهم القذرة المنتنة، أزاح الله الغشاوة عن بصرك وبصيرتك، لتقول قولًا سديدًا.

لقد قسونا عليك حبًّا فيك لأنك سني مسكين، فلعلك تعود أنت وأمثالك إلى أهل السنة، وكل الصيد في جوف الفرا.

مما قيل في الشيخ الشهيد مروان حديد شعرًا

قال الرجل الصالح والمربي الفاضل الشيخ عبد المنعم نيربية «أبو عرفان» رحمه الله:

ذكَّرْتني ـ يا أخا الإيمان ـ مروانَا ذكرتني العزم بالإيمان ريّانا
ذكرتني علَمًا كانتْ شهادتُه للحق شاهدة روحًا وريحانَا
ذكرتني بيعةً لله صادقة كانتْ لنا مثَلًا أعلى وبرهانَا
ذكرتني بطلًا لم تخْش ثورتُه في نظرة الحق طاغوتًا وسلطانا
كأنه مصعبٌ في موكب زرعتْ فيه النبوة إيمانًا وقرآنا
ذاق الحلاوةَ للإيمان فانطلقتْ طاقاتُه بانيًا للدين أركانَا
عرفته يا أخا الإيمان متقيًا لله مبتغيًا فضلًا ورضوانَا
عرفته طيِّبَ الأخلاق مرتقبًا لم يخش إلا الذي أحياه إنسانا
الجودُ أفقرَه والصدق أصبره على البلاء فما ولّى ولا بانا
كأنه عُمَريٌّ في شجاعته يُخيفُ في عِزَّة الإيمان شيطانَا
كم كان يبغضُ فينا الخوفَ يحجبنا عن الجهاد لشرٍّ زاد كفرانا
وظلَّ يدعو بحزم كلَّ ذي رشَدٍ إلى الشهادة إسرارًا وإعلانا
كم كُنتُ أسمعُه فينا يحدِّثنا للموت فن، وفن الموت مهوانا
أحب في حسن البنا داعية وسيدًا إذ بزاد الدرب أغنانا
كم من حدائقَ تزهو في مَعالمه وفي الظلال وعاها قلبُ مروانا
فلم تكنْ عنده قولًا وأُغنيةً بل كان يبرزها بالفعل ألحانا
ذكرْته يا أخا الإيمان معتصمًا في فتيةٍ أخلصوا لله وجدانا

أعطَوْه في مسجد السلطان موثقهمْ — أن ينصروا اللهَ والإسلام شبانا
نِعْم الشباب بروض الخير منبتهمْ — وحبَّذا فتية في الروع فرسانا
وحُوصر المسجد المحزون تهْدمه — أيدي البغاة فما أضراه عدوانا
وسِيقَ أحبابُه أسرى تهددهمْ — كتائبٌ نفثتْ سمًّا وأضغانا
مثْل الأرانب فرَّوا من عدوهمُ — لما أضاعوا بعامِ الذلِّ جَوْلانا
لكنْ أمام بني الإسلام في بلدٍ — يغدو اللئامُ مغاويرًا وعقبانا
أيا أسود حماة عزَّ رائدكمْ — إذ كان حقًّا (حديدَ) القلب إيقانا
ذاقَ السكينةَ فانزاحت مخاوفُه — أمامَ مَن بارَزَ الجبّار عصيانا
عِنايةُ الله لم تأذَنْ بمصرعه — كما أرادوه للطاغوت قربانا
ومنَّ ربي على مَن حوكموا معه — إذ أصبح الشيخ في تقواه سلطانا
دعاه ذو الأمر سرًّا أن يبشِّرَه — بالعفو عن فتيةٍ فارتاح جذلانا
لله فرحتُه الكبرى يهنِّئهم — بيوم بهجتهم بعد الذي كانا
أبتْ شهامتُه إلا الطواف على — مساكن القوم يُنسي الأهل أحزانا
فلْيرحم الله شيخًا للشباب حمى — وليرْض عمن أتى بالقلب سلمانا
لقد قضى نحبه من خير إخوتنا — غرٌّ ميامينُ خاضوا الحرب شجعانا
لله دَرُّ رعيلٍ آثروا بدمٍ — دينًا أصيب بمن باعوه خسرانا
فروا إلى ربهم في ميتة شرفتْ — هي الحياة لهم روحًا وبستانا
لكنَّ أطيافهم ظلت كأمثلة — للاحقين على الآثار إخوانا
كم من جديد تقي القلب أزهره — غدا بصدقٍ فدائيًّا ومعوانا
وخيَّمتْ محنة أضنت بكَلْكلها — قد صُبَّ في ظلها التعذيبُ ألوانا
قالتْ ضراوتها تلك التي سبقتْ — إذ أشعلت قصة الدستور نيرانا

كم في الزنازين أضحى من ذوي رشَدْ ... وكم طريدٍ نجا بالنفس حيرانا

وكم توارى عن الأنظار محترسٌ ... مِن كيد مفترسٍ قد بات ثعبانا

ما كان يخرج من لأواء شدتها ... أماجدٌ صبروا يرجون غفرانا

حتى اشرأبّتْ لها في جلقٍ عنق ... وحُوصر البيت إذ خالوه ميدانا

ظنوا الذين أحبوا الموتَ في شرفٍ ... يستسلِمون لهم خوفًا وإذعانا

قد خابَ ظنُّهمُ في فتيةٍ درسوا ... فنّ الشهادة يستوحون قرآنا

أعطوْا أبا خالدٍ عهدًا لئن ظلَموا ... ليثْبتنَّ على الإسلام إيمانا

وكان أسبقهمْ للموت أجلدهمْ ... على العذاب الذي أرداه جوعانا

أجرى العدوّ له في السجن تصفيةً ... فاستقبلته جنان الخلد نشوانا

كأنني بلسان الحال ينشدنا ... قد فزت والله نعْم الأجر يلقانا

مع النبي، مع الصديق قد نعمتْ ... روح الشهيد ترى حورًا وولدانا

هذي ملامحُ مِن أنوار سِيرتهِ ... رويتها عن إمام العز عرفانا

مهما نظمْتُ فإني لن أوفِّيَه ... حق الوفاء ولو أصبحت حسَّانا

أما الشاعر النابه الدكتور يوسف محيي الدين أبو هلالة فقد قال في الشهيد مروان حديد:

ورْدٌ زمانك يا حديدُ وزنبقُ ... تهفو القلوبُ إلى شذاه وتخفقُ

لمَّا طلعْت على حماةَ تضوّعتْ ... مِسكًا وجلّلها البها والرونق

وغدتْ كأن جبينَها بدْرُ السما ... بروائها في كل وادٍ تعبقُ

مروانُ هذي للقوافي زفرةٌ ... حرّى وهذي مهجةٌ تتحرَّقُ

فلقد تأخر يوم فقدك بَوْحُها … فلقد كبا يوم ارتحلت المنطق
أولتْ عمامتُك العمائمَ كلَّها … شرفًا يجلّ على الزمان ويسبقُ
ما كنت تنصبها لنيل فريسةٍ … أو كنت من بركاتها تسترزق
يا قاهرَ الأعداء لستَ ترامُ في … ميدان بذْلٍ أو فداء تسبق
خُضتَ الحياة فلم تزغك كنوزُها … وكنوزها ترْدي الكثيرَ وتُغرقُ
وصمدْتَ والأيام تذرو كيدها … وحملْت ما يوهي الجبال ويزهق
أنت الحديدُ الصلب إلا أنَّه … لك همة جبارة لا تُطرَق
ودماؤك الريحان إلا أنها … عصفٌ على الباغي وسُمٌّ أزرق
قاد الشبابَ إلى الجهاد وعهْده … باب الخلود بغيره لا يُطرق
فمضوْا لساحات الفداء يحثّهمْ … حبُّ المنية لا هوًى وتملقُ
عشقوا ملاقاة الرصاص ولثْمَه … هذا لعمري ما يصيب ويُعشق
قل للذي يبغي الحياةَ لقومه … وديارهم بيد الفنا تتخرّق
بذْل النفوس إذا تبرجت العدا … في الساح من بذل المواعظ أليقُ
يا شامُ أين على رحابك ضيغمٌ … العزم مِن جنباته يتدفقُ
من ذا يدافع دون عِرضك بعدَه … مَن خيّموا كالليل فيك وأحدقوا
يا فوزَ روحِك يا حبيبُ وقد غدتْ … مِن أسر هيكلِها تطير وتُعتقُ
صعدتْ لبارئها الكريم يسوقها … فرحٌ ويحدوها إليه تشوّقُ
في موكبٍ تبكي الدنا لفراقه … والحور من شوق إليه تصفِّقُ
فبكل قلبٍ لوعةٌ مشبوبةٌ … وبكل عينٍ عَبرة تترقرقُ
لم تنسَ مِن قدح اللظى في ساحها … والشر مسنون الأظافر محنقُ
وقد اعتلتْ فيها الأمورَ زعانفٌ … بضلالها الطامي تضجُّ وتُبرق

بعشيــة يعمـــي النواظـــر قبحهـــا ويعـــاف ريـــح وبائهـــا المتنشّـــق
ليعـــود مخـــذولًا يجـــرُّ وراءه خزيًـــا يفيـــض جبينُـــه والمِفـــرق
ما أعظـم البلـوى وصـدر الدين منْ أيـدي الغـزاة بـكل سـهم يُرشـقُ
عُمْـي البصائـر صحـب كلِّ نقيصـةٍ فـــرشٌ لأقـــدام الطغـــاة ونمـــرقُ
تبًّـا لهـم مـذ ضيعـوا إسـلامَهمْ خيـــر يودّعهـــم وشـــرٌّ يُطـــرقُ
يا صحْـبَ مـروان الشـهيدِ طريقُكمْ كـــرهٌ، ودرب الخلـدِ وعـر مُرهـقُ
فخـذوا السـبيلَ إلى العـلا بجهادكم وأمـــام ســـيْل الهَـــول لا تتفرقـــوا
لا تجزَعـوا واقفـوا طريـقَ شـهيدِكم وكمـا بأفْـق الجـود حلَّـقَ حلِّقـوا
لتقـوم دعوتكـم بغيـث عطائكـم ويسـير تحـت لوائهـا مـن يصْـدق
وإذا خبـا فـي الأفْـق نجـم هدايـةٍ ومضـى لمصرعـه جـوادٌ أسـبقُ
فثِقـــوا بـــأن اللهَ ناصرُكـــمْ وأنْ نَ النـــور رغـــم أنوفهـــم يتألَّـــقُ

الفصل الثالث

الجهاد في سبيل الله

فرض الله الجهاد فريضة لازمة حازمة، ورغب فيها أعظم الترغيب، وأجزل ثواب المجاهدين والشهداء، وجعل دماء الشهداء الطاهرة الزكية عربون النصر في الدنيا، وعنوان الفوز في الآخرة.

إن الأمة التي تحسن صناعة الموت، وتعرف كيف تموت الموتة الشريفة، يهب الله لها الحياة العزيزة والنعيم في الآخرة، وما الوهن الذي أذلنا إلا حب الدنيا وكراهية الموت.

إن الموت لا يكون إلا مرة واحدة، فاحرص أن تجعله في سبيل الله. وبذلك تربح الدنيا وثواب الآخرة.

واعتبر الله عزوجل القعود والفرار كبيرة من الكبائر، لذا ترى الإسلام عني عناية خاصة بشأن الجهاد واستنفار الأمة، وآيات الكتاب كثيرة في ذلك، وأحاديث المصطفى عليه السلام.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقال أيضًا:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

وحث ربنا على الجهاد والقتال فقال:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

وقال الرسول عليه الصلاة والسلام:

«والذي نفسي بيده، وددْت أن أُقاتل في سبيل الله فأقتل، ثم أحيا ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل»(١).

ويقول عليه السلام مرغبًا بالجهاد والشهادة في سبيل الله: «والذي نفسي بيده لا يَكْلم أحد في سبيله - والله أعلم بمن يكلم في سبيله - إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دمًا، اللون لون دم والريح ريح المسك»(٢).

وقال أيضًا: «واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»(٣).

وقال أيضًا يحث على تجهيز المقاتلين: «من جهَّز غازيًا في سبيل الله فقد غزا، ومَن خلف غازيًا في سبيل الله بخير فقد غزا»(٤).

وحث الرسول عليه السلام على الشهادة موضحًا خصال الشهيد ومنزلته التي ينالها عند استشهاده: «للشهيد عند الله ست خصالٍ: يغفر له في أول دفعة، ويَرى مقعده من الجنة، ويُجار من عذاب القبر، ويأمن الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة فيه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويُشفَّع في سبعين من أقاربه»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٢٧)، ومسلم (٤٨٩٨)، عن أبي هريرة، مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦) و(٥٥٢٣)، ومسلم (٤٨٩٢) و(٤٨٩٣)، عن أبي هريرة، مرفوعًا.

(٣) أخرجه البخاري (٢٨١٨) و(٢٨٣٣) و(٢٩٦٥) و(٢٩٦٦) و(٣٠٢٤) و(٣٠٢٥) و(٧٢٣٧)، ومسلم (٤٥٦٣)، عن ابن أبي أوفى، مرفوعًا.

(٤) أخرجه البخاري (٢٨٤٣)، ومسلم (١٨٩٥)، عن زيد بن خالد الجهني، به، مرفوعًا.

(٥) أخرجه أحمد (١٧٣١٤)، والترمذي (١٦٦٣)، ابن ماجه (٢٧٩٩)، عن المقدام بن معدي كرب، مرفوعًا. وقال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب.

الشهادة في سبيل الله:

فضل الشهادة، التضحية بالنفس أسمى درجات الإخلاص والتفاني في سبيل المبدأ والعقيدة، وأصدق برهان على صحة الإيمان، ولا يكتب لأمة العزة والكرامة والهيبة إلا بجسور من الضحايا في سبيل تحقيق غاياتها، ودماء تنزف من أجل كرامتها ووجودها.

لهذا كتب الله الخلود للشهداء، وغفر للشهيد كل ذنوبه إلا الدَّيْن، وبوأه المنزلة العالية.

فقال الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٦].

ومعنى ذلك كما بينه الرسول الكريم فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر، ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش...»(١).

والشهيد سمي شهيدًا لأنه مشهود له بالجنة، أو لأنه حيٌّ عند ربه حاضر وشاهد، أو تشهد موته الملائكة، وهذا هو الشهيد الذي يقتل في المعركة مع العدو، هكذا عرف العلماء الشهيد.

وهذا الاصطلاح خاص بالمسلمين، وهو اصطلاح لم يكن معروفًا عند غير المسلمين قبل الإسلام، فهو خاص بأمة محمد عليه الصلاة والسلام.

ويكون الشهيد هو الذي يدافع عن دينه وعرضه ووطنه، وعندما سئل الرسول

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٨٧)، عن ابن مسعود مرفوعًا.

عليه السلام عن الشهيد قال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا»[١].

هـذا هـو مختصـر الكلام، فـإن كان الهـدف هو إعـلاء كلمـة الله عزوجل فهو في سـبيل الله.

هـذا وبعـد أن تكلمت عـن الجهاد، وعـن الشـهادة، أتكلم الآن عن الشـهداء الذيـن قضـوا في سـبيل الله وهـم ينافحون عـن دينهم، إنهم شـباب الإسـلام الذين سـبقونا إلى الآخرة.

اليوم بعد طول العهد بإخواني الذين خطوا طريق الجهاد في القرن العشرين، وعلى رأسهم الأخ الحبيب مروان حديد، وارتقوا شهداء أكتب عن بعضهم؛ كي لا ننسى شهداءنا، إنهم لم يبحثوا عن مجد زائل، ولا عن سمعة أو منصب أو جاه، إنهم بذلوا أرواحهم إرضاء لربهم واستجابة لدعوة نبيهم محمد عليه الصلاة والسلام، فهنيئا لهم حياة طيبة في حواصل طير خضر في ظل العرش.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٣) و(٢٨١٠) و(٣١٢٦) و(٧٤٥٨)، ومسلم (١٩٠٤)، عن أبي موسى، مرفوعًا.

الشهداء

اليوم أكتب عن الشهداء، وما كنت أظن أن أكتب عن أحدهم في يوم من الأيام، لأن الشهادة كانت وما زالت أمنيتي منذ أن دخلت دعوة الإخوان.

وإن الشهادة أمنية كل مسلم صادق، وإن منزلة الشهداء منزلة عالية رفيعة ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

فهي إذن اختيار واصطفاء، ولا أدري هل سأكون من هؤلاء أم أن إرادة الله غير ذلك، إن الشهادة ارتقاء إلى الله وانتصار على المادة وأدرانها، والأرض وترابها، إن المسلم لا تشده الأرض فتثقله، وإنما تشده السماء فترفعه إلى عليين، هذه هي الشهادة وهؤلاء هم الشهداء، هم القلة القليلة في ضلوعها شموس التكوين الدافئة، تنتظر الخروج إلى الكائنات عند انقشاع التراب الثقيل عن أرواحهم في لحظة الشهادة الأصيلة.

الشهداء هم الذين يعبرون أقصر الدروب بين دار الفناء ودار البقاء يفتخرون براية سيد الأنبياء، ويجاهدون في سبيل الله، ويقهرون بإذن الله أعداء أمتهم ودينهم.

إنهم الشهداء الذين قدموا أرواحهم رخيصة في سبيل الله، فأناروا لنا الطريق، وأحيوا في الأمة روح العزة والكرامة، إنهم بذلك أحيوا المثل الرفيعة التي يجب أن تكون في حياتنا، ولو استسلموا للباطل ورضوا بالحياة الذليلة وركنوا إلى الدنيا وملذاتها، لكانوا قد خسروا كل المعاني النبيلة، ولكنهم أبوا إلا أن يكونوا من الذين قال عنهم الله عز وجل:

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

إن هؤلاء الشهداء الذين كنا نعرفهم بطهارة نفوسهم التي غسلها الذكر ونضارة وجوههم التي نورها السجود لله عزوجل، فتوهجت وأشرقت وجميل خصالهم التي علمهم إياها الإسلام، ونظافة سلوكهم التي تربوا عليها في محاضن الدعوة، هؤلاء الشباب الذين انطلقوا منافحين عن دين الله وأمتهم، في عصر قل فيه النصير، عصر الكفر والزندقة والنفاق عصر استأسدت فيه القرود، واستخذت الكرامة، هؤلاء الذين لمطلعهم يرتجف الباطل، الذي استفحل في الأرض، والذين إياهم تنتظر القوة لتكون في ركاب الحق ترجمان الصدق، هم أمل الأمة المرتجى، إنهم شباب الإسلام، بذلوا أرواحهم رخيصة في سبيل الله، لم يبحثوا عن مجد زائل ولا عن سمعة أو جاه أو منصب، إنهم بذلوا أرواحهم إرضاءً لربهم سبحانه وتعالى.

إنهم بدور حلقت أرواحهم إلى الآخرة في ظلمات الليل البهيم وحطوا على ضفاف الخلود، رحمات ربي عليكم يا رفاق الطريق، وهنيئًا لكم الجنة بأنهارها وثمارها، وطوبى لكم نزلكم عند ربكم ولقاؤنا بكم إن شاء الله على الحوض مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مقعد صدق عند مليك مقتدر، إن شاء الله.

«شهداء على الطريق»

منذ أن تولى حزب البعث السلطة فـي سـوريا عام ١٩٦٣ إلى وقتنا الحاضر ٢٠١٧ ومواكب الشهداء مستمرة، لقد بلغ عدد شهداء سوريـا قرابة المليون شهيد، ولكن أكتب الآن عن عشرات منهم كي يعرف أبناء الجيل إجرام النظام البعثي النصيري، فاكتفيت بترجمة بسيطة عن بعض الشهداء كي نعرف بهم، وهناك من كتب عن الشهداء، وربما يأتي غيرنا فيكتب عنهم، ولقد استكتبت بعض الإخوة ليكتبوا عن بعض الشهداء، وسأذكر ذلك لاحقًا.

الشهيد عبد الستار حسين الزعيم رحمه الله

أبو حسين، ابن حماة ولد عام ١٩٤٧، وترعرع فيها، ورضع منذ صغره مبادئ الإخوان من والده الحاج حسين الزعيم رحمه الله، شب عبد الستار على حب دعوة الإسلام في أسرة متدينة، فوالده رحمه الله كان حريصًا أن يكون أولاده على طريقه.

عبد الستار شاب لا كل الشباب، فهو يتمتع بشخصية قوية، وفكر ناضج وطموح لا حدود له وذكاء كبير، مع التزامه بالإسلام وقدرة فائقة على استيعاب إخوانه وإلزامهم النظام في العمل، وكان يكره الفوضى واللامسؤولية، إلى جانب الحزم واللين كل في مكانه.

عرفت عبد الستار عندما كان في المرحلة الثانوية، كان يتردد على بيتنا حيث أن عمي مصطفى حمشو كان من أقرب الناس إليه، وكانا يدرسان معًا في بيتنا، وبعد أن أنهى دراسته الثانوية سافر إلى مصر لدراسة طب الأسنان في القاهرة، وكان رحمه الله عندما يعود في الصيف إلى حماة تعود ذكريات الماضي.

وكان عبد الستار رحمه الله عندما يأتي من مصر في الصيف يلتحق بالعمل الفدائي في الأردن للتدريب، وهذا كان ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠.

بقيت علاقة عبد الستار بعمي مصطفى قائمة أثناء الدراسة، فلا تكاد تنقطع المراسلة بينهما، وبعد تخرجه من الجامعة في مصر عاد إلى سورية ليكمل اختصاص دبلوم طب الأطفال في جامعة دمشق.

بعد اعتقال الشيخ مروان تسلم العمل العسكري عبد الستار، فكان نعم الوارث وكان خير خلف لخير سلف رحمهما الله، أخذ عبد الستار يجمع الشباب بعد أن تفرقوا إثر اعتقال أبي خالد، واستطاع خلال فترة وجيزة تجميع الشباب والانطلاق

إلى الأمام بعمل عسكري منظم، وكان لا بد أن يكون له من يساعده في تأمين حاجات الشباب من سلاح وقواعد وغير ذلك، في هذه الفترة اعتمد كثيرًا على عمي مصطفى؛ لأنه غير معروف عند السلطة، وهو من إخوانه القدماء الذين يثق بهم، فكان يؤمن لهم السيارات والقواعد والسلاح وغير ذلك مما يحتاجونه.

عبد الستار رحمه الله قائد بكل معنى الكلمة، فلا يترك أمرًا للصدفة، وإنما يعد لكل أمر عدته، لذلك ترى العمل عند تسلمه كان في أفضل المراحل، ولم تكن هناك اختراقات، لأنه كان يختار أفراد مجموعاته بدقة وعناية، رحم الله أبا حسين لقد ترك فراغًا كبيرًا بعد استشهاده، ولكن بإخوانه العوض، فلقد أمسكوا العمل من بعده ولكن لكل قدرته واجتهاده رحم الله الجميع.

كان عبد الستار يتابع أعماله بنفسه، لذلك تراه يتنقل بين حماة وحلب ودمشق، وهذا طبعًا يشكل خطورة عليه، وبالفعل استشهد خلال تنقله رحمه الله، كان عبد الستار مع إخوانه في الميدان لا يميز نفسه عنهم، ومرة لم تجد مجموعة من الشباب المأوى فقال لهم: اذهبوا إلى المقبرة وناموا هناك هذه الليلة، وفي منتصف الليل جاء عبد الستار ليكون مع إخوانه، وما يدل على شجاعته المفرطة رحمه أنه كان مع أحد الإخوة في حلب في حي الكلاسة، ولم يتوفر لهما المأوى حيث أويا إلى بيت خرب وناما فيه هذه الليلة في جو شديد البرودة.

هذا هو القائد الذي يزرع في نفوس إخوانه حبه.

أما عن انضباط عبد الستار وإخوانه كما قلت من قبل فقد كان يكره الفوضى، ومرة كان يقف مع بسام أرناؤوط على شباك إحدى البيوت وينظران إلى الشارع، وفجأة مر من أمامهم مصطفى حمشو وقال بسام: أبا حسين هذا عم حمدو لو

نكسبه إلى جانبنا، فصاح به عبد الستار وقال له: (مالك دَخْل). وكان مصطفى يعمل مع عبد الستار، وبسام يعرف عمي عن طريقي، ولكن عبد الستار ما أراد أن يكشف له العلاقة مع مصطفى، هذا ما قاله لي عمي عندما التقيته بالأردن، وعلم ذلك من عبد الستار.

ويوم اعتقال عمي مصطفى كان على موعد مع عبد الستار في دمشق في ساعة معينة في مكان معين، وعند الموعد جاء عبد الستار وسأل هل وصل مصطفى، طبعًا لم يصل، ثم عاد بعد ساعة أو ساعتين وسأل، وعندما علم أنه لم يصل أدرك أن هناك أمرًا ربما يكون مصطفى قد اعتقل، ولم يعد إلى ذلك المكان، وهذا يدل على حسه الأمني المتميز رحمه الله.

كان للموعد عنده حسابه وأهميته، ومرة كان عمي عندي في الأردن وأردت أن أؤجل سفره، لكنه قال لي: إن لي موعدًا مع عبد الستار، فلا بد أن أسافر اليوم. وبالفعل سافر إلى دمشق.

هكذا كان يتعامل مع إخوانه رحمهم الله جميعًا.

وفي يوم جميل وحزين كان موعد عبد الستار مع الله والشهادة، فبينما هو مسافر إلى دمشق كان أحد المخبرين قد وشى به، وفي منطقة قريبة من النبك حصل اشتباك بينه وبين زبانية السلطة استشهد على أثرها وفاز إن شاء الله بجنة عرضها السماوات والأرض.

هنيئًا لك أبا حسين، وجمعنا بك في مستقر رحمته.

الجندي المجهول الشهيد مصطفى حمدو حمشو رحمه الله

مهندس المتفجرات

عمي كما عرفته من مواليد حماة ١٩٤٤، بيني وبينه سبع سنين، عشنا في بيت جدي الحاج حمدو رحمه الله معًا، كان أصغر أعمامي وأنا أكبر الأحفاد، كنا كالإخوة، كان رحمه الله شجاعًا وفيًا صادقًا مستقيمًا.

في آخر المرحلة الثانوية من حياة عمي، كانت علاقته بالشهيد عبد الستار الزعيم علاقة وثيقة، حيث كانا في أسرة واحدة عند الدكتور أحمد جواد رحمهم الله جميعًا، وذلك في منتصف الستينيات من القرن الماضي، ولا يكاد يفارق أحدهما الآخر، فكثيرًا ما كانا يسهران في بيتنا وهما يدرسان إلى أن غادر عبد الستار إلى مصر لدراسة طب الأسنان، وعمي ذهب إلى الحسكة والمالكية موظفًا في المؤسسة الاستهلاكية، وبعدها ذهب إلى الخدمة العسكرية، وكان حين يأتي عبد الستار من مصر في الصيف وكذلك عمي من الحسكة فتعود الذكريات مرة ثانية، وبعد تخرج عبد الستار من كلية طب الأسنان في القاهرة، عاد إلى سورية ليختص (دبلوم أسنان أطفال) في جامعة دمشق، وعمي أصبح مديرًا للمؤسسة الاستهلاكية في حماة، وأنا كنت وقتها في جامعة المدينة المنورة.

و حين كان الشيخ مروان في دمشق طلب مني أن أبلغ عمي مصطفى بأن الشيخ يريده، وفي هذا الوقت كان عمي قد ذهب إلى الاحتياط أثناء حرب ١٩٧٣، وبالفعل حضر إلى الشيخ واتفق معه على تدريب الشباب ضمن اختصاصه وهو المتفجرات، وبعد اعتقال الشيخ مروان أخذ عبد الستار المهمة وأعاد التنظيم، وكان عمي مصطفى رحمه الله من أقرب المقربين إلى عبد الستار، وبما أنه غير معروف

على الساحة وذلك بسبب بعده لسنوات بين الوظيفة في الحسكة وخدمة الجيش، استطاع أن يتحرك بحرية ليخدم العمل الجهادي، فكان يؤمن للمجاهدين البيوت والسيارات في دمشق وحمص وحماة، وشاء الله أن يكشف أمره عندما قبض على سيارة مع أحد الإخوة، وبعد التعذيب اعترف أن من اشتراها هو مصطفى.

لم يكن يعلم أحد من أهلي بعلاقة عمي بالعمل المسلح غيري، وبينما هو ذاهب إلى بيته يريد السفر إلى دمشق وكان على موعد مع عبد الستار، طوقته قوة من المخابرات بالقرب من بيته ولم يكن يحمل سلاحًا، وتم اعتقاله ونقله فورًا إلى دمشق، وعندما أتوا بالأخ الذي اعترف عليه، أنكر مصطفى ذلك، ولكن الأخ من كثرة التعذيب بقي مصرًا على اعترافه وأن مصطفى هو من اشترى السيارة، وهنا صب المجرمون جام غضبهم على مصطفى وما ذلك إلا انتقامًا منه؛ لأنه كان يضللهم ويظنون أنه في صفهم.

وبعد حادثة المدفعية في حزيران ١٩٧٩ حكموا عليه وعلى مجموعة من الشباب بالإعدام فكتب على جدار زنزانته في سجن المزة، (حوكمنا محاكمة قرقوشية، برئاسة الحقير فايز النوري، وحكم علينا بالإعدام)، وكتب أسماء الشباب وهم خمسة عشر شابًا، وكان منهم رفيق دربه صفوان عدي، ثم وقع باسمه تحت الأسماء. ولقد كتبت مجلة النذير ذلك نقلًا عن الأستاذ عبد الله الطنطاوي، وعندما سألته أكد ذلك، وتم تنفيذ حكم الإعدام بخيرة شباب سورية كل له قصة بطولية نرفع بها هاماتنا، وتبقى نبراسًا للأجيال القادمة نتعلم منها كيف أن الإسلام يربي أبناءه على البطولة والتضحية وحب الاستشهاد ويشهد على ذلك، عندما أُخذوا إلى ساحة الإعدام خرجوا كالأسود وهم يكبرون الله عزو جل.

تزوج رحمه الله في بداية المحنة وله ثلاثة أولاد، عندما جاء المولود الأول قال لي: سميته مروان. وذلك بعد استشهاد مروان بأيام قليلة، وجاءه المولود الثاني، أما الثالث فجاء بعد استشهاده فسمي بصفوان على اسم رفيق دربه صفوان عدي. رحم الله عمي أبا مروان كان يحرص على اللقاء بي كلما أتيت إلى عمان، فكان يأتي إلى عمان ويبقى عندي أيامًا ثم يعود، وكان يكلمني عن العمل الجهادي، وقلت له مرة: إذا اعتقلت تكلم علي وخلص نفسك فأنا خارج سورية. ولكن رحمه الله لم يتكلم علي كلمة بعد ما قرأنا اعترافاته في الجرائد الرسمية.

كان رحمه الله منظمًا في عمله ودقيقًا غاية الدقة، ويحرص كل الحرص ألا يعرف أحد أن له علاقة بالعمل العسكري، ومرة جاء إلى عمان، وبعد أيام قال لي: أريد أن أسافر. قلت له: ابق إلى الغد. فقال لي: عندي موعد مع عبد الستار يجب أن أغادر اليوم، وكان وقتها مساءً، قلت له: ربما لا تجد سيارة. قال لي: أؤجر سيارة كاملة. وبالفعل ذهبنا إلى الكراج وأخذ مقعدين حتى تسير السيارة ويصل في الوقت المحدد، هؤلاء هم شباب مروان رحمه الله.

رحمك الله يا أبا مروان فلقد عشت حميد الخبر ومت كريم الأثر.

عبرت أقصر الدروب بين دار الفناء ودار البقاء وهي الشهادة في سبيل الله.

الشهيد غالب محمد الحداد رحمه الله

ولد في حماة ١٩٤٨ لأسرة متدينة مجاهدة استشهد العديد من أبنائها.

غالب قوي البنية، عزيز النفس، عندما أتذكره يمر بخاطري طيف من الذكريات، أتذكر هذا البطل الذي عشت وإياه مدة من الزمن، أتذكر غالبًا، فأتذكر الشجاعة التي تحلى بها، أتذكر غالبًا وأتذكر المروءة والشهامة التي كانت تجلل محياه، أتذكر غالبًا فأتذكر الإيثار، أتذكرك يا أخي وأتذكر هاتيك الأيام التي قضيناها معًا فيرتد إلي بصري وهو حسير، ماذا أقول عنك أيها الحبيب، هل أتذكر روحك المرحة ومزاحك الذي لا يتحمله إلا من خبرك وعرفك، أتذكرك أيها الحبيب وأتذكر ليالي قضيناها معًا، أتذكر ليالي البحر كما أتذكر ليالي (الدوّار) عندما كنا نخيم فيه، أتذكر ليالي قضيناها معًا في بيتك المستقل، ما أجمل تلك الأيام والليالي، ولو أردت أن أكتب كتابًا لما استطعت أن أحصي ذكرياتي معك أيها الحبيب، أتذكر كل هذا فأراك حيًّا أمامي من خلال الذكريات، أتذكرك يوم أبيت إلا أن توصلني إلى الأردن كي أسافر إلى المدينة المنورة، وذلك حين كنت ملاحقًا فخِفتَ عليَّ من الحدود فصحبتني والأخ أبو رشدي، وبقينا في عمان ثلاثة أيام، ثم غادرت وغادرتم إلى سورية.

أتذكر رسائلك التي لا تخلو من المزاح، وأتذكرك أيها الحبيب عندما رأيتك آخر مرة، وكان قبل اعتقال أبي خالد بثلاثة أيام، أتيت إلى بيتي عندما علمت أنني أتيت من المدينة، وكان ذلك مساء يوم الجمعة، وتواعدنا يوم الخميس القادم أن نذهب معًا في مهمة ولا أدري ما هي، وبعد اعتقال أبي خالد يوم الإثنين كان غالب في قطعته العسكرية، وقلت للشباب: يجب أن يصل الخبر إلى غالب، ولكن لم نستطع ذلك، فداهمت قوات الأمن قطعته العسكرية يوم الأربعاء وحاولوا اعتقاله

ولكن رفض تسليم نفسه، ولم يكن معه سلاح فاشتبك معهم بغير سلاح، وبعد صراع اعتقلوه، وهو في طريقه من القطعة العسكرية رأى أمامه الضابط المسؤول عن القطعة العسكرية بصق عليه وشتمه.

هذا هو غالب رحمه الله شجاعة نادرة، ومروءة عالية، ذهب غالب إلى غياهب السجون، وبقي ردحًا من الزمن، وكان مثال المؤمن المحتسب الصابر، سألت الشيخ سعيد حوى رحمه الله عنه يوم أفرج عن الشيخ سعيد، قال لي: غالب قمة في كل شيء، يخدم إخوانه بشكل لا يدانيه أحد. سألته: هل ما زال يمزح؟ وكان يحب المزاح كثيرًا، قال: لا، إن مزاحه في السجن انقلب إلى جد، وإنه من خيرة من رأيت في السجن، إنه صاحب المعدن الأصيل، ما خاب ظني فيك يا أبا محمد منذ أن عرفتك، وفي أثناء سجنه كنت أتابع أخباره عن طريق خالد خطاب ابن خاله وصهره، والذي استشهد فيما بعد.

موقف يدل على مروءة غالب وشهامته، بعد اعتقاله كان عنده محكمة في حماة، فجاءوا به إلى حماة ومعه اثنان من الجنود ليأخذوه إلى المحكمة، وبالفعل حضر المحكمة، وبعد المحكمة سمحوا له أن يرى أهله وأصحابه، وعرض عليه الشباب أن يهرب وأحد العساكر كان موافقًا على ذلك، وقال له أهرب معك، ولكن العسكري الثاني لا علم عنده، فقال لماذا تحمل وزر هربنا إلى الجندي، ورفض ذلك.

هـذه هي مروءة غالب رحمه الله، ثـم قضى شهيدًا في سجن تدمر العسكري عليه رحمات الله، جمعنا الله به في مستقر رحمته.

سلام عليك أبا محمد في الخالدين.

الشهيد هشام جمباز رحمه الله

ولـد هشـام فـي حمـاة عـام ١٩٥٤ وترعـرع فيهـا، وكان مـن المثابريـن على درس الشـيخ عبـد الحميـد طهمـاز فـي جامـع السـلطان، وكان يتـردد أحيانًا على زاوية الشـيخ مـروان.

عرفته وعرفت فيه الصدق والإخلاص، هشام شاب جريء وذكي وروحاني، هشام إذا رأيته أحببته، وكان يبادلني رحمه الله الحب بالحب، وكان متحمسًا للجهاد، ولما بدأ العمل الجهادي كان من أوائل من حمل السلاح ضد النظام الفاجر، وبعد استشهاد الأخ عبد الستار وقع الاختيار عليه أن يتسلم قيادة العمل الجهادي في سورية، وكان بينه وبين قيادة الإخوان خلاف، فأراد الإخوان أن يضمنوا ولاءه بإرسال بعض الإخوة من الخارج ليؤدوا هذه المهمة، فأرسلوا له بعض الأسماء ليختار منهم من يساعده، وكان من بين الأسماء اسمي، فوقع اختياره عليّ، كما أخبرني بذلك المراقب العام الأستاذ عدنان سعد الدين رحمه الله، وطلب مني الأخ أبو عامر (عدنان سعد الدين) الاستعداد للنزول إلى سورية، والغاية من ذلك السيطرة على تصرفات هشام.

هذا ما قاله لي الأخ أبو فارس أحمد جوّاد رحمه الله بعد عودته من الأردن، وبحضور الشيخ نافع حفظه الله.

عندهـا رفضـت ذلـك، وقلـت لهـم: إننـي إن نزلـت فأنا جنـدي عند هشـام، ولا يمكـن أن أكـون (كنتـرولًا) عليـه. فقـال لي أبو فـارس رحمـه الله: إذا لا حاجة لنزولـك إن لـم تفعـل ذلك.

هشام رحمه كان ينظر إلي على أنني الأخ الكبير له، فهو يحترمني ويقدرني،

فهل أكون عقبة أمامه؟؟ هذا لا يمكن أبدًا، هشام رحمه الله قاد العمل بجدارة وشجاعة، وكان في مقدمة إخوانه في العمليات العسكرية حتى كان يوم الشهادة، وكان مع مجموعة من إخوانه في حمص فكشف أمرهم، ودارت معركة بينهم وبين السلطة الباغية في منطقة (الميماس) ارتقى على إثرها شهيدًا رحمه الله هو وإخوانه، لقد اختار أقصر الطرق إلى الجنة، إنها الشهادة في سبيل الله.

ترجّل الفارس أبا صهيب بعد حياة حافلة بالجهاد والعمليات التي أقضت مضاجع النظام، واستشهد هشام وكان قد سار بالتنظيم المسلح خطوات ثابتة بعد استشهاد القائد عبد الستار رحمهما الله.

الأَخَوان تميم وخليل الشققي رحمهما اللّه

الأخ تميم:

الأخ تميم رحمه الله ولد في حماة ١٩٥٢ وترعرع فيها، عرفته في نهاية الستينيات من القرن الماضي، تعرفت عليه يوم جاء إلى درس من دروس الشيخ محمد أديب كلكل، وصار بيننا صحبة ومودة، كثيرًا ما كنا نقضي أوقاتًا مع بعضنا في جامع النوري وغيره من الأماكن، تميم شاب عميق التفكير، أحيانًا تحتار كيف تصنفه، نظراته نظرات شاب يحلم بمستقبل عظيم لدعوته، في ١٩٧٠ ذهبنا معًا إلى الأردن للالتحاق بالعمل الفدائي، وفي أيام التدريب الأولى، أصابته وعكة صحية ترك التدريب على إثرها لأيام، ثم عاد للتدريب، غير أن ذلك لم يدم طويلًا، حيث استشهد الأخ نصر العيسى أثناء التدريب، وعندما أخذوه إلى حماة ضج بعض أهالي الشباب الذين ذهبوا إلى الأردن، فأرسل إليهم الشيخ مروان أن يعيدوا الجميع إلى حماة، ولكن أنا وشخص آخر قررنا البقاء في القواعد إلى نهاية شهر حزيران ١٩٧٠، وبعدها نزلنا بإجازة رسمية على أمل العودة إلى القواعد، غير أن اعتقال الشيخ مروان جعلنا نغير رأينا.

تميم رحمه الله يتمتع بجرأة وأناة، مع حماسة وهدوء، ولي مع الأخ تميم مواقف، في إحدى المرات صممنا صورة جماعية لشهداء جامع السلطان الأربعة، وأخذناها إلى مصور ليسحب عليها عددًا من الصور، إلا أن المصوّر وشى بي للسلطة، فاعتقلت على إثرها قرابة العشرين يومًا، وتحملت المسؤولية وحدي، وفي أيام المولد النبوي الشريف كان مقررًا أن يكون في حماة احتفال كبير، ولكن والدي أصر على خروجي من حماة، لأسباب أمنية، فقلت لتميم: نذهب سويًا إلى حمص ثم نعود بعد الظهر. فقال لي: لا بأس. وعندما ذهبنا إلى حمص وجدنا طلاب

مدرسة عبد الحميد الزهراوي في مظاهرة لم يعجبنا أداء الشباب فيها، فدخلت وتميم إلى داخل المظاهرة وصرنا نهتف (بالروح بالدم نفديك يا محمد). وأخذنا الحماس فقال لي تميم: هل أطلق الرصاص؟ وكنا نحمل مسدسات، فقلت: أطلق، فأطلق ثلاث طلقات، وكان بعض رجال المخابرات داخل المظاهرة، فجاء واحد منهم وأمسك بيد تميم وأراد أن يأخذ المسدس، فأمسكته وأبعدته عن تميم، ولم يتكلم، وبقينا داخل المظاهرة ننتظر الظرف الذي يسمح لنا بالخروج والذهاب إلى حماة، وبالفعل عندما قربت المظاهرة من كراج السيارات غادرنا المظاهرة واتجهنا إلى حماة.

تميم درس الهندسة المدنية في حلب، وحين بدأ العمل المسلح التحق به، ثم تسلم في مرحلة من المراحل العمل العسكري في حماة بعد استشهاد الأخ هشام جنباز رحمهما الله، وكان على قدر المسؤولية، استشهد إثر وشاية من أحد المخبرين، رحم الله أبا منير فقد كان زينة الشباب ومن خيارهم.

الأخ خليل:

أما خليل رحمه الله الملقب بحمودة، فهو أصغر من الأخ تميم من مواليد ١٩٥٦، شاب متحمس لا يعرف الخوف طريقًا إلى نفسه، علاقتي به قوية جدًا، كان رحمه الله ينظر إليّ كما أحسب بأنني بمثابة أخ كبير له، في نهاية ١٩٧٢ اعتقل خليل مع مجموعة من الشباب منهم مهدي العلواني في حديقة أم الحسن، ولوحقت أنا والأخ تميم فاختفينا عن الأنظار، وبقي الشباب في السجن قرابة ثلاثة أشهر، بعدها خرجوا وكانوا سبعة من الشباب وكلهم أصغر مني سنًا.

وكنت حينها مختفيًا في دمشق، فلما خرجوا من السجن دعوتهم على الغداء

مع الأخ عمر العلواني، وكان منهم مهدي وبقية الشباب، وعرفت منهم ما جرى لهم في السجن من التعذيب.

قويت علاقتي بخليل، وفي يوم من الأيام جاء مع أخ آخر من حماة إلى دمشق على دراجة نارية ليزورني، ونام عندي تلك الليلة.

بعدها سافرت للدراسة وبقي يرسل ليّ الرسائل إلا أنها ذهبت جميعها، ومرة أتيت إلى حماة صيفًا فجاء يزورني رحمه الله، وكنت قد علمت من أحد الإخوة أنه متخاصم مع الأخ مهدي رحمه الله، تكلمت كلامًا ربما أثر به، وكما قلت كان يكن لي الاحترام، ثم أرسلت إلى الأخ مهدي وكلمته كذلك، وما كان من الأخوين إلا أن تصالحا، وكان بعض الإخوة حاول من قبل ولم يفلح في إصلاحهما، كانا محبيْن ليَ، وكنت كذلك أشاطرهما الحب نفسه وأخاف عليهما وأحافظ عليهما كما أحافظ على نفسي.

حمودة رحمه الله شاب شجاع وجريء، عمل عملًا رائعًا وموفقًا حيث قام بأسر المخبر عبد الكريم الرجب، وأخذه إلى إحدى القواعد ليحاكم على خيانته، وكان هذا الرجب قد وشى بعدد من الشباب من طلاب الجامعة حيث كان يدرس الطب في دمشق مما أدى إلى اعتقالهم وربما قتل بعضهم.

حمودة رحمه الله له صولات وجولات مع الباطل، وأخيرًا ارتقى شهيدًا نحسبه كذلك، ونرجو الله أن يتقبله في الشهداء ويجمعنا به في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

الشهيد مصطفى يوسف عادلة (المصري) رحمه الله

الأخ مصطفي أبو اليقظان رحمه الله ولد في حماة ١٩٤٨، ترعرع فيها، تربى على موائد العلماء والربانين، فكان مداومًا على درس الشيخ محمد الحامد، ومن بعده الشيخ عبد الحميد طهماز رحمهم الله جميعا، وكان يتردد بكثرة على الشيخ مروان، تعرفت عليه في صفوف الدعوة، وفي جامع السلطان وزاوية الشيخ مروان، وصار بيننا حب وإخاء، هو وحيد أمه، وأبوه متوفى منذ زمن، فتح مكتبة الثقافة في حيّ الحاضر بحماة، وكانت بمثابة مركز لنا نجتمع فيه يوميًا.

مصطفى رحمه الله صاحب الصوت الشجيّ النديّ، كان إذا أنشد تذرف الدموع من عينيه، وإذا قرأ القرآن تخشع لقراءته، عشت مع أبي اليقظان أيامًا جميلة، ولما ذهبت إلى الجامعة الإسلامية للدراسة، بقينا على تواصل مستمر فكانت الرسائل تتوالى بيننا، وما تزال عندي الكثير من رسائله رحمه الله، فكان يشرح لي ما يفعلون بسبب بعدي عنهم، فأحس بأنّي معهم.

وفي لقائي الأخير كان بعد عودتي من المدينة المنورة بأيام قليلة، جاء يوم الأحد صباحًا وأفطر عندي مع بعض الإخوة، ثم ذهب إلى مكتبته، وبعد فترة وجيزة اتصل بي وقال لي: لقد جاء الأخ فريد أبو صفوان، يريد الذهاب إلى أبي خالد في دمشق، ولكن ذهب إلى حلب وسوف يعود اليوم. قلت له: إن جاء تعاليا إلى الغداء عندي، ثم نذهب سويًا إلى دمشق؛ لأن الشيخ أبا خالد كان قد أرسل إليَّ يريدني.

وبالفعل جاء أبو صفوان ولكن كان الوقت متأخرًا ليلًا، فلم يمرّا عليّ؛ لأنَّ أجَلي لم ينته بعد، وسافرا إلى دمشق ووصلا فجرًا، ودوهم بيت مروان في الساعة السابعة صباحًا، من يوم الاثنين وقضى رحمه الله في السجن شهيدًا.

رحم الله الأخ مصطفى، شاب محب لله ورسوله ولدعوته، كان كثيرًا ما ينشد:

ضع في يديّ القيد ألهب أضلعي   بالسوط ضع عنقي على السكين

لن تستطيع حصار فكري ساعة   أو نزع إيماني ونور يقيني

رحمك الله أبا اليقظان رحمة واسعة وأسكنك فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقًا.

الشهيد عمر فارس جوّاد (أبو بكر)

عمر جواد، ابن حماة وابن حي البارودية، شاب متقد الذكاء، متقدم في دراسته، كان بارعًا في علم الرياضيات، درس الهندسة المدنية في حلب.

عرفته في المرحلة الثانوية، فهو من مواليد ١٩٥٣، ذهبنا معًا إلى معسكرات الفدائيين في الأردن عام ١٩٧٠ وكان حينئذ في الصف العاشر، وكان من أقرب أصحابه إليه الشهيد نصر العيسى رحمه الله.

قويت علاقتي به من خلال مسجد السلطان وزاوية الشيخ مروان، وكنا كثيرًا ما نخرج خارج حماة مع بعضنا عندما كنا نقيم مخيمًا على أطراف المدينة في منطقة الدوّار، ثم شاء الله أن أغادر سورية وكان وقتها عمر قد التحق بالجامعة، ولما بدأ العمل المسلح التحق به، وبعد استشهاد الأخ تميم شققي استلم عمر زمام الأمور وكان أميرًا للمجاهدين، وهو آخر أمير للمجاهدين حيث استشهد في بداية أحداث ١٩٨٢ في حماة بعد قتال مع السلطة الباغية، حيث أصابته قذيفة استشهد على إثرها رحمه الله في ساحة الحاضر.

كانت لي ذكريات كثيرة مع «أبي بكر» منها، كنا نسير في حي المرابط وقت العصر صيفًا، فرأينا شجارًا بين اثنين وكان أحدهما يشتم الدين، فنبهته مرات ولكن لم يسمع كلامي، عندها ضربته حتى أدميته، فهجمت علينا مجموعة، وكان أبو بكر يحميني من الخلف خوفًا من أن يضربني أحد، مع أنه كان في وعكة صحية ولكن رحمه الله لم يقصر، وفجأة جاءت الشرطة فهربنا إلى مكان قريب، وكانت عمتي تسكن في ذلك الحي، وبقينا فترة ثم خرجنا، رحم الله الأخ عمر وأسكنه فسيح جنانه.

الشهيد بسام محمود أرناؤوط رحمه الله

بسام شاب في ريعان الشباب من مواليد ١٩٥٥، ولد في حماة، معتدل القامة عينان تلمعان كعيون الصقر، ترى ملامح الرجال في وجهه من الحزم والقوة والثقة بالنفس، ذكاء حاد، وهمة متوثبة. وهو شاب في مقتبل العمر طلعة بهية وهمة عالية ولما يتجاوز المرحلة الثانوية.

عرفته يوم جاء إلى مسجد الشيخ مروان، بصحبة أحد الإخوة يريد أن يعرفه على الشيخ، وكان في الصف العاشر، عرفته في هذا اليوم، وصار يتردد على المسجد، وأصبحت علاقتنا قوية، بسام شاب مليء بالحيوية والنشاط، شجاع متحمس إلى أبعد الحدود، بعد أحداث الدستور واختفاء الشيخ مروان في دمشق، لازمه بسام رحمه الله، ونقل دراسته إلى دمشق، لنا ذكريات كثيرة مع الشيخ في دمشق، وبعد اعتقال الشيخ تولى الأخ عبد الستار الزعيم العمل الجهادي، فالتزم بسام مع الأخ عبد الستار، وكان من خيرة الشباب في تنفيذ المهام الموكلة إليه، اختفى بسام في حماة، وبقيت صلاتنا قائمة، فكان بيني وبينه مراسلات لا تزال عندي.

بسام رحمه الله آمن بدعوة الإخوان المسلمين وأحبها، وأحب الشيخ مروان فكان طوع بنانه.

إن الكلمات عندما تكتب بالمداد يكون لها تأثير في نفوس الأجيال ولكنها عندما تسطر بالدماء يكون لها معنى آخر.

لقد سطر بسام بدمائه معنى (الموت في سبيل الله أسمى أمانينا).

أصبح بسام في حماة أسطورة وكابوسًا يخشاه أنصار النظام ومسؤولوه، فكم

من النكت والقصص التي نسجت حول بسام ومحافظ حماة، كل ذلك لما لهذا الشاب من هيبة وقوة وإقدام.

وفي صباح ٥/ ٣/ ١٩٨٠ كان بسام على موعد مع الشهادة في أحد شوارع حماة، في هذا اليوم لبست حماة لباس الحزن على هذا البطل، فخرجت مدارس البنات بالمظاهرات يهتفن بحياة بسام، وترجل فارس من فرسان الإسلام بعد أن أبلى أحسن البلاء في سبيل الله.

رحمك الله يا بسام.

الشهيد الحاج وجيه العلواني وأولاده: عمر، مهدي، وغزوان

عائلة الشهيد الحاج وجيه العلواني، عائلة متدينة حرص الحاج وجيه رحمه الله أن يكون أولاده ملتزمين بالإسلام، ولا عجب أن يخرج من هذا البيت هذه الثلة من الشهداء.

استشهد الحاج وجيه رحمه الله في أحداث ١٩٨٢ وهو رجل كبير، وكانوا قد أعدموا أولاده من قبل، وعندما علموا أنه والد الشهيد مهدي قتلوه مباشرة عليه رحمات الله.

عمر:

أما ابنه عمر رحمه الله فهو من مواليد ١٩٤٩ كان يدرس الرياضيات في جامعة دمشق، وعندما لوحقت واختفيت في دمشق كان يلقاني دائمًا إلى أن خرجت من سورية، ثم لقيته بعد ذلك في مصر ثم في بغداد، عمر شاب ذكي ومستقيم، يقدم الخدمات لإخوانه من دون تردد، اعتقل رحمه الله في عمان، وأخذ إلى سوريا، ثم أعدم مع القافلة الأولى عام ١٩٧٩.

مهدي:

وأما مهدي رحمه الله فكانت علاقتي به خاصة، فهو من مواليد ١٩٥٦ وهو أصغر مني سنًا، ولكن كان ينظر إليّ كما أحسب باحترام وتقدير، وكان أحيانًا يستشيرني في بعض أموره، هؤلاء الشباب ربما كانوا يظنون بنا خيرًا فيتخذوننا قدوة لهم ونحن أقل من ذلك.

اعتقل للمرة الأولى في نهاية ١٩٧٢ إثر شجار بينه وبين بعض عناصر المخابرات في حديقة أم الحسن، وكان معه الأخ خليل الشققي، عندها اعتقل

عـدد من الشـباب، ولوحقت والأخ تميـم فاختفينا، وبعد ثلاثة شـهور تقريبًا خرجوا مـن السـجن، وعندما بدأ العمل المسـلح فـي سـوريا كان مهدي من أوائل الشـباب الذيـن حملوا السـلاح ونافـح عن أهله وبلده، لقـد أوجع النظام بعملياتـه التي نفذها إلـى أن وقع القدر فاعتقل في دمشـق، وفـي محاكمته كان مثالًا للشـجاعة والتحدي يذكره النـاس جميعًا ويفتخرون بشـجاعته.

مهدي رحمه الله شاب متحمس قوي البنية، عيناه تبرقان وتقرأ فيهما طموح ذلك الشاب، هادئ الأعصاب، ملتزم بالأوامر، لا يخالف أميره ولا يتردد، أتيت مرة من المدينة المنورة صيفًا، وعندما جاء ليزورني علمت بأن هناك خلاف بينه وبين الأخ خليل شقفي، فتكلمت مع كليهما، وبعدها تصالحا ورجعا أخوين ولا عجب. هؤلاء رفاق الطريق أبناء الدعوة رحمهم الله جميعًا.

حكم على مهدي بالإعدام مع القافلة الأولى في حزيران ١٩٧٩.

غزوان:

أما غزوان رحمه الله فكانت البداية منه حيث قتلوه أمام بيته، وبعدها بدأت المصائب تتنزل على هذه العائلة الصابرة، قتل الأب واستشهد الأولاد الثلاثة، إضافة إلى بعض أحفاد الحاج وجيه عليهم رحمات الله جميعًا.

الشهيد المهندس عدنان عقلة رحمه الله

المهندس عدنان عرفته عندما جاء إلى عمان، جلست معه مرات عديدة، شاب مليء حيوية ونشاطًا، وهو من مواليد ١٩٥١، همة عالية ثقة بالنصر مركزي إلى أبعد الحدود، اختلف مع الإخوان وطلب مني مرة أن أقنع بعض الإخوة الكبار ليكون ناطقًا باسم الطليعة، ويعلن الانفصال عن الإخوان، قلت له: يا أبا عمار إن الشيخ مروان لم يفكر في يوم من الأيام أن ينفصل عن الإخوان، أو يؤسس جماعة ثانية، وعلمت في حينها أن بعض الإخوان القدماء الذين اختلفوا مع الإخوان أرادوا أن يجعلوا من الطليعة من يقف في وجه الإخوان ويعلن جبهة ثانية.

عدنان عقلة كما عرفته مستقيم مخلص شجاع ناضج الفكر، ومن حماسته نزل إلى حماة في نهاية ١٩٨١ والتقى هناك بالأخ عمر جواد أمير المجاهدين، وأثنى الأخ عمر عليه ثناءً كبيرًا، وحمَله رسالة إلى القيادة في العراق، والحق أنه مهما قيل في عدنان فسيبقى راية خفّاقة في العمل الجهادي السوري، لقد أثنى عليه الكبير والصغير قبل خلافه مع الإخوان، وبعد الخلاف بقي كثيرٌ من الشباب محبًّا له لما رأوا من إخلاصه وحماسته.

وبعد أحداث حماة ١٩٨٢ أراد النزول إلى سورية، ورتب الأمر مع شخص كان يثق به إلا أنه كان عميلًا للنظام، ونزل عن طريق تركيا وفي الحدود السورية التركية اعتقل مع مجموعة من إخوانه، ولا نعلم عنه شيئًا حتى الآن.

عدنان رحمه الله كان قائد عملية المدفعية في حلب، هذه العملية كان من الإخوان المجاهدين من وافق عليها، ومنهم من طلب عدم التصعيد كالأخ عبد الستار، ولكن لكل مجتهد نصيبه.

أرجو الله أن يكتب للشهيد عدنان أجر الشهداء وينزله منازل الصديقين، ويجمعنا به في مستقر رحمته.

الأخوان نصر وسعدي كيلاني رحمهما الله

نصر:

نصر إسماعيل الكيلاني من مواليد ١٩٥٢، عرفته في المرحلة الثانوية، وصارت بيننا صداقة وأخوة، كنا نلتقي كثيرًا في جامع السلطان في الدرس المسائي، وكذلك في مكتبة الشهيد مصطفى المصري، إضافة إلى لقاءاتنا المتكررة في مخيمنا الذي كنا نقيمه كل صيف في منطقة الدوار على نهر العاصي، قويت علاقتي بالأخ نصر رحمه الله، عندما ذهبنا معًا إلى الأردن، للتدريب في صفوف الفدائيين، وبعد أن حصل على الشهادة الثانوية التحق بكلية الهندسة في جامعة حلب، وأنا سافرت إلى المدينة المنورة، وكان بيننا مراسلات ولكن للأسف ذهبت كلها، كنا نلتقي في الصيف كلما أتيت إلى حماة، وبعد اعتقال الشيخ مروان رحمه الله لم أرجع إلى حماة فكانت بيننا الرسائل.

الأخ نصر رحمه الله أخ متفتح الذهن، هادئ الطبع، مرح ملتزم بدعوة الإخوان، وفي عام ١٩٨٢ عندما هبت حماة ضد النظام كان من المقاومين المدافعين عن حي الكيلانية حيث استشهد كما استشهد العديد من آل الكيلاني في حيهم، فعليه رحمات الله.

سعدي:

أما سعدي فهو الأخ الأصغر لنصر، كان رحمه الله أصغر منا بسنوات، وعلاقتي به طيبة ولكن ليست كعلاقتي بنصر، وكان رحمه الله مرحًا جدًا وكثير الضحك، درس الهندسة في حلب، واستشهد في حي الكيلانية.

رحم الله الأخوين نصر وسعدي وأسكنهما فسيح جنانه.

الشهيد عمر أحمد الأمين رحمه الله

ما أجمل الشاب وما أروعه عندما ينشأ في طاعة الله، بل ويدعو إلى طريق الله ودعوة الله، هذا هو عمر الأمين بن الحاج أحمد الأمين رحمه الله، الرجل الذي له مواقف كثيرة ضد الحكم في سورية، ففي عام ١٩٦٤ حكم عليه بالإعدام بعد ثورة حماة مع العديد من رجالاتها، فغادر إلى العراق ثم عاد بعد أن ألغي حكم الإعدام.

الحاج أحمد أبو عمر رحمه الله عرفته عندما كنت صغيرًا، فكان من أصحاب والدي، وعندما كنت في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة كان إذا أتى إلى المدينة استضفته، وكان يأبى أن يذهب لأحد غيري لمحبته لي رحمه الله، كان يشكو لي بعد ولده عمر في السجن، وفي عام ١٩٨٢ أثناء أحداث حماة أخذوه وهو ابن السبعين سنة أو أكثر، وقتلوه كما قتلوا أخاه سعيد الأمين أبو منجد رحمهما الله.

أما عمر فكان شابًّا متحمسًا وذكيًا، وهو من مواليد ١٩٥٤، كنا في المرحلة الثانوية في مدرسة عثمان الحوراني، وكان هناك تعاون بيننا في الدعوة والحركة، وبعد الثانوية سجل في كلية الطب البشري، وأثناء دراسته بعد اعتقال الشيخ مروان اعتقل وبقي في السجن سنوات ثم استشهد رحمه الله.

عمر شاب شجاع في ١٩٧٥ بعد اعتقال الشيخ مروان، حاصرت قوات الأمن الشيخ محمود الحامد في إحدى بساتين حماة، وكنت وقتها في حماة وجاءني عمر رحمه الله وقصَّ عليَّ الخبر، قلت له: ما الحل؟ قال: أن نفك الحصار عن الشيخ محمود، قلت له: لا بأس، ولكن أين السلاح؟ فقال: يوجد بندقية وقرابة ثلاثين طلقة، وبعض المسدسات. قلت له: هذا لا يكفي، سوف نقتل جميعًا قبل أن نصل إلى الهدف.

وإذا بالحاج عبد الكريم الأمين رحمه الله وكان يحبني كثيرًا وكنت أحبه وأحترمه، قال لي: يا ابن أخي استمع إلى عمر، وانظر ماذا يريد أن يفعل.

قلت له: اترك الأمر إليَّ يا عم، وإن شاء الله لا يكون إلا خيرًا، وأخذت أتناقش مع عمر، وكان ذلك في بيت طارق الأمين ابن عمه، قلت له: إن وجد السلاح الكافي يكون واجبًا علينا أن نذهب إلى الهدف، وبعد فترة وجيزة جاءنا الخبر بأن الشيخ محمود استطاع أن يخرج من البستان بسلام.

رحم الله الأخ عمر وأسكنه فسيح جنانه.

الشهيد عثمان الأمين وولداه: مصعب ومروان رحمهما الله

عثمان الأمين:

الشهيد عثمان الأمين (أبو طارق)، وجيه من وجهاء حماة، في عام ١٩٦٦ داهمت السلطة بيت الشهيد فلم يستسلم، فانهالوا عليه بالرصاص، وبعد إصابته أخذوه إلى المستشفى ولم يسعفوه حتى فارق الحياة، عثمان الأمين رحمه الله حكم عليه بالإعدام عام ١٩٦٤ مع الشيخ مروان وغيره من الإخوة، غادر إلى العراق مع عدد من المطلوبين منهم الحاج أحمد الأمين أبو عمر والشيخ سعيد حوى وغيرهم ثم عادوا بعد إلغاء حكم الإعدام، ولكن قتلوه بعد سنتين في بيته، يومها اعتقلوا الشيخ مروان.

وللشهيد عثمان الأمين ثمانية من الأولاد الذكور، كان أكبرهم يوم قتله طارق الذي يبلغ من العمر إحدى عشرة سنة.

مروان:

وأصغرهم مروان رحمه الله الذي كان عمره شهورًا فقط، وهو سميُّ الشيخ مروان، هذا الطفل البريء الذي لم تكتحل عيناه برؤية والده، شبَّ وفي قلبه نار تتأجج ونفس تتوق إلى الثأر لأبيه، وفي عام ١٩٨٢ عندما هبت حماة في وجه النظام الطائفي، كان مروان رحمه الله من أوائل الشباب الذين حملوا السلاح ونافحوا عن أهلهم وبلدهم، وكان عمره ستة عشر عامًا، مروان هذا الفتى لي معه ذكريات كثيرة في صغره مع فارق السن بيني وبينه إلا أنه كان لي أخ في سنه قريب من سن مروان فأحببته كأخي، وكان يقول لأقاربه: إن حمدو أخي لا أسمح لأحد أن يتكلم عليه، وكنت أرقبه وأرى فيه الصدق حتى جاء أمر الله وارتقى شهيدًا بعد

أن أبلى بلاءً حسنًا، وكان قد أصيب فأدخلوه المستشفى الميداني في حي الكيلانية، ولكن الطائفيين لم يتركوا حتى الجرحى والمستشفيات فقصفوا المشفى فسقط على الجرحى واستشهدوا جميعًا.

مصعب:

أما مصعب شقيقه رحمه الله فكان يخدم في الجيش، وعندما هبت الثورة كان في حماة فانضم ـ رحمه الله ـ إلى المجاهدين، وبقي يقاتل إلى أواخر أيام القتال، ثم خرج مع الشيخ أديب الكيلاني وجماعته باتجاه الشمال، ولم يعرف عنهم شيء، ربما استشهدوا في الطريق رحم الله الجميع.

الشهيد صفوان توفيق عدي (دياب) رحمه اللّه

صفوان شاب قوي البنية، ولد في حماة ١٩٤٧، كان يعمل بتجارة الأغنام وتربيتها، وكان رحمه الله من المتحمسين لنصرة الدين، عرفته قبل استشهاده بسنوات، فهو شقيق الأخ صفي عدي والذي كان من أعز إخواني، وكذلك هو من أصحاب عمي مصطفى، وصار بيننا علاقة ومودة، صفوان ويلقب بدياب وهو معروف بلقبه أكثر من اسمه، صفوان شاب ملتزم بالإسلام روحه مرحة، مزاحه لطيف، محبوب من إخوانه، عندما بدأ العمل العسكري في سوريا في نهاية سبعينيات القرن الماضي كان من أوائل المجاهدين، وكانت علاقته الحميمة مع عبد الستار الزعيم وعمي مصطفى، وكان في مجموعته، ولقد قاما بعدة عمليات شجاعة وناجحة منها عملية تفجير مبنى الحزب في ١٩٧٨، ولم يعرف الفاعل إلا فيما بعد.

وشاء الله أن يعتقل صفوان ومصطفى في الفترة نفسها، ويحكم عليهما بالإعدام مع المجموعة الأولى من الإعدامات التي راح ضحيتها خمسة عشر شهيدًا من خيرة شباب سوريا، وكان جلهم من حماة، وكان ذلك في ٢٩/ ٦/ ١٩٧٩، رحم الله أبا توفيق وأسكنه فسيح جنانه وجمعنا به في مستقر رحمته.

الشهيد فيصل غنامة رحمه الله

شاب وسيم المحيا، ذو بشرة حنطية اللون، معتدل القامة، قوي البنية، ثاقب النظرات، صامت، عرفته فعرفت فيه الصدق والوفاء والجرأة والعزيمة.

أتذكر ذلك الشاب الزاهر فيصلًا، أتذكر الحياء الذي يجلل محياه، كان إذا تكلم احمرّ وجهه من كثرة الحياء، طيب الخلق، لطيف المعشر، قمة في التواضع، فارس من فرسان الإخوان، ولد عام ١٩٥١ في حماة، وترّجل شهيدًا في ١٩ تشرين الثاني ١٩٧٩.

فيصل الذي أذاق أذناب النظام الويلات مع إخوانه الذين صدقوا العهد مع الله، فيصل رحمه الله كان له موعد مع الجنة إن شاء الله، يوم أن نصب كمينًا لمحافظ حماة وقتئذ (محمود القوشجي)، ولكن إرادة الله أكبر حيث نبا سلاحه، ولكن نفسه الشجاعة تقدمت نحو الهدف إلا أن الحراسة المرافقة للمحافظ أمطروه بوابل من الرصاص بعدها ارتقى شهيدًا رحمه الله، فيصل عرفته في جامع السلطان، أخا طيبًا مستقيمًا، رحمك الله أبا يوسف.

الشهيد محمد حسن عجعوج رحمه الله

ولد أبو الحسن في حماة ١٩٤٩، عرفته في صفوف الدعوة، جسم ضئيل وقلب كبير، عينان براقتان ترى فيهما الحزم والإباء، محمد ابن العائلة المنكوبة، كان في صفوف الإخوان بل من المتحمسين وعضوًا في جماعة مروان، ويوم اعتقال أبي خالد ذهب إلى لبنان من أجل أن يأتي بالسلاح، ولكن عاد في اليوم الثاني من دون سلاح، وعند ذهابه إلى بيت أحد الإخوة وكان معه مفتاح البيت، فتح الباب ودخل فكان رجال المخابرات بانتظاره، أسروه وبقي في السجن سنوات لاقى خلالها أصناف العذاب، كان في سجنه قويًا، فكان إذا زاره أحد من أقاربه يقول لهم: قولوا للشباب أن يستمروا في عملهم فنحن صامدون، هكذا كان أبو حسن رحمه الله، ثم قضى شهيدًا في السجن رحمه الله.

الشهيدان عمر مرقة وأخوه خلدون رحمهما الله

الشهيدان الأخوان عمر وخلدون مرقة، عمر ربما من مواليد ١٩٤٨ في حماة، عرفته في صفوف الدعوة، أخًا مستقيمًا مجاهدًا، لم يجمعني معه عمل أو صداقة كغيره من الإخوان، وإنما كنت أعرفه من خلال مسجد السلطان أحيانًا، وعندما قرر الإخوان المجابهة مع السلطة كان عمر رحمه الله من الإخوة الذين نذروا أنفسهم لذلك، فأبلى بلاء حسنًا، وكان يقود بعض المجموعات، إلى أن استشهد رحمه الله على يد أزلام السلطة في دمشق.

أما خلدون رحمه الله فعرفته في مسجد السلطان، وهو أصغر مني سنًا، ثم ازدادت معرفتي به يوم ذهبنا إلى الأردن للتدريب، خلدون رحمه الله شاب طيب كريم الخلق متحمس، اعتقل في بداية الأحداث ثم حكم عليه بسنوات، ولكن لم يخرج من السجن وإنما استشهد داخل السجن، رحم الله الأخ خلدون وأسكنه فسيح جناته.

أما عائلة الشهيدين فهي عائلة ممتحنة نالها من العذاب والتهجير ما نالها، فقتلوا أخاهما وأختهما عليهم رحمات الله جميعًا.

الشهيدان محمد وعربي جوهر رحمهما الله

عربي ومحمد جوهر شابان من حي الشيخ محيي الدين في دمشق، عرفتهما عند الشيخ مروان، عربي الأخ الكبير ومحمد الأخ الأصغر، أبوهما رجل طيب صاحب خلق ودين، عربي وأخوه شابان من خيرة شباب دمشق، التزما بشرع الله عزوجل، كانا يترددان على الشيخ مروان رحمه الله، وعندما اكتشف أمر الشيخ واعتقل وبدأت الاعتقالات كان هذان الأخوان من الذين اعتقلوا، وداخل السجن ذاقا العذاب الأليم، ولا أعرف الكثير عن حياتهما داخل السجن، ولكن النهاية أنهما استشهدا عليهما رحمة الله.

الشهيد مهدي الإدلبي «أبو معاذ» رحمه الله

من شهداء الإخوان في فلسطين الشهيد مهدي الإدلبي رحمه الله. ولد مهدي في حماة ١٩٤٨، وترعرع في مساجدها، وتتلمذ على يد علمائها. فكان رحمه الله من رواد مسجد السلطان ومسجد الشيخ مروان رحمه الله.

عرفته يوم جاء الشهيد مروان رحمه الله إلى بيتنا في حماة وكنت قد دعوته على طعام العشاء، فجاء رحمه الله ومعه مجموعة من الإخوان منهم الأخ مهدي، وكان ذلك عام ١٩٦٩، وكان وقتها قد التحق بالعمل الفدائي في الأردن، وصار بيننا أخوة، ويوم أن ذهبت إلى الأردن في صيف ١٩٧٠ وكان هو في إحدى القواعد، فلما علم بقدومي جاء يسأل عني فالتقيته رحمه الله، وكان آخر عهدي به حيث كانت هناك عملية فدائية داخل الأراضي المحتلة بين كفار روبين والزراعة، وكان ذلك في ٥/ حزيران/ ١٩٧٠ في ذكرى هزيمة ١٩٦٧ وكانت عملية جريئة وموفقة، شارك في هذه العملية ٦ من الإخوان منهم الأخ مهدي رحمه الله، وبدأت العملية بعد صلاة الفجر من ذلك اليوم، وكان مهدي رياضيًا ويجيد السباحة حيث قام بنصب الحبال لعبور الإخوان نهر الأردن وكلهم لا يعرفون السباحة، إلا مهدي رحمه الله، هكذا سمعت من الإخوة الذين شاركوا في العملية.

انتهت العملية بقتل عدد من الصهاينة واستشهاد اثنين من الإخوان مهدي والأخ الفلسطيني بلال، وحوصر بقية الإخوة إلى مساء ذلك اليوم، وبفضل الله استطاعوا العبور إلى الضفة الثانية من النهر حيث كان معهم قميص للنجاة، أخذه الأخ أبو إسماعيل ولبسه ورمى بنفسه في النهر إلى أن وصل إلى الضفة الثانية وربط الحبل وعبر عليه الإخوة، استشهد مهدي الحموي وأخوه بلال الفلسطيني على

ثرى فلسطين الطاهر، مهدي الذي اعترف العدو بمقتله حيث قالوا عنه بأنه انقض عليهم كالأسد وقتل عندهم بعد أن وصل إليهم، وأخذوا جثته رحمه الله، هذا هو مهدي أبو معاذ عليه رحمات الله.

أما إن سألت عن أخلاق مهدي فكان مستقيمًا ملتزمًا، رأيته في الأردن مرابطًا في سبيل الله، متسربلًا بغبار الجهاد، ممتلئًا بعطر البارود والدخان، في عينيه وميض الجهاد، وفي نفسه شوق عارم للجِلاد، وها هو يرتقي شهيدًا على ثرى فلسطين الطهور بعد معركة حامية الوطيس مع الصهاينة، استشهد مهدي واختلط الدم السوري بالدم الفلسطيني في هذه المعركة حيث استشهد الأخ مهدي والأخ بلال عليهم رحمات الله.

الشهيد زهير سعدو (شرحبيل) رحمه الله

ولد الشهيد زهير سعدو عام ١٩٥٠ في حماة، كان يعمل خياطًا، وفي أواخر ١٩٦٩ جاء إلى بيت الشيخ مروان مع الأخ وليد المنجد، وكنت موجودًا عند الشيخ، وطلب من الشيخ أن يرسله إلى الأردن، وافق الشيخ وأرسله، وبعد فترة جاء في عطلة، وكنا قد أقمنا خيمة على أطراف حماة في أواخر الشتاء، وعندما رأيته لم أعرفه بداية لتغير شكله، من شاب كان يميل إلى (الموضة) إلى شاب قد ملئ رجولة وإباء، عرفته بعدها وعرفني، وعندما ذهبت إلى الأردن التقيته في القواعد وتوثقت أخوتنا، وفي صيف ذلك العام قبل أحداث أيلول بشهر تقريبًا جاء إلى حماة، ودعوته إلى بيتي للغداء، وبعدها غادر إلى الأردن وشارك في عملية الشهيد سيد قطب، وكانت في نفس تاريخ إعدام سيد قطب ٢٨ آب، وكانت عملية قوية وموفقة، ولكن فوجئ الإخوة بكمين، اشتبكوا مع الصهاينة ودارت معركة غير متكافئة انسحب بعض الإخوة واستشهد الأخ أبو عمرو المصري وأبو جندل الفلسطيني، وبقي زهير يقاومهم وقتل عددًا منهم، إلى أن نفذت ذخيرته فارتقى بعدها شهيدًا وقد أبلى بلاءً حسنًا، فاغتاظ منه الصهاينة فمثلوا بجثته ثم سحب الإخوة الجثة. هكذا اختلط تراب فلسطين بدم المصري والسوري والفلسطيني.

وجاءوا بجثمان الشهيد إلى حماة وخرجت له جنازة مهيبة، رحم الله الأخ زهير وجمعنا به في مستقر رحمته.

عرفته في ساح الأخوة أصفى ما يكون الإنسان، ثم رأيته على مذبح الشهادة عندما جاءوا بجثمانه إلى حماة ينزف دمًا قد تبللت يدي من دمه الطاهر بعد أيام من استشهاده عليه رحمات الله.

الشهيد نصر خالد العيسى رحمه الله

نصر العيسى شاب ولد في حماة وترعرع في مساجدها، ما بين جامع السلطان وزاوية الشيخ مروان، كان هو والشهيد عمر جواد لا يفترقان، وكانا بنفس السن والصف في المدرسة، فهو من مواليد ١٩٥٣. في عام ١٩٧٠ عندما ذهبنا إلى الأردن للالتحاق بالعمل الفدائي كان نصر رحمه الله في الصف العاشر، وكنا مجموعة أكثر من عشرة، وأثناء التدريب أصيب الأخ نصر رحمه الله خطأً من أحد الإخوة، وارتقى شهيدًا نحسبه كذلك، وأخذوه إلى حماة حيث شيّع هناك، وكنا نحن في الأردن لم نشارك في التشييع، لي ذكريات مع نصر مع أن معرفتي به جديدة، حيث هو أصغر مني سنًا، ولكن كنا نلتقي باستمرار في جامع السلطان أو عند الشيخ مروان رحمه الله، وكذلك عندما كنا نقيم مخيمًا في الدوار.

نصر شاب لم يعرف لهو الشباب، ولم يهتم بما يهتم به أترابه، كان رحمه الله ينظر إلى مستقبل واعد لدعوة الإسلام، وهذا شأن معظم شبابنا يحلمون بمجتمع يسوده الإسلام، كان نصر رحمه الله مستقيمًا وملتزمًا، يحمل همَّ الإسلام والمسلمين بينما أمثاله في الملاهي ودور السينما يقضون أوقاتهم، رحم الله الأخ نصر وأسكنه فسيح جناته، لقد نال الشهادة وهو في باكورة عمره، هنيئًا لشباب الإسلام سلوكهم والتزامهم، وهنيئًا للأخ نصر استشهاده، وإلى الملتقى في جنات النعيم.

شهداء الإخوان في جامع السلطان

في جامع السلطان سنة ١٩٦٤ عندما كان الشيخ مروان معتصمًا فيه كان معه مجموعة من الشباب، وفي صبيحة يوم الأربعاء ١٥ نيسان ١٩٦٤ طوّقت قوات من الجيش المسجد وأخذوا يقصفونه بالمدفعية، وكان مع الشباب بعض المسدسات، ودارت معركة غير متكافئة بين الشباب بقيادة الشيخ مروان وبين قوات الجيش البعثي دامت لساعات، وكان المشرف على المسلحين داخل المسجد الضابط مصطفى أبو نجيب.

وفي بداية المعركة أصيب الأخ توفيق المدني واستشهد، وبعده الأخ محمود نعيم، أما الأخ منقذ صيادي رحمه الله فكان في مئذنة المسجد، وأصيب برأسه ونقل إلى المستشفى وهو بين الحياة والموت وهو يردد:

لا تحزني يا ماما غدًا نلقى الأحبة محمدًا وصحبه.

فـــي ســـبيل الله قمـنـا　　　نـبـتـــغي رفـــع اللواء

فليعـــدْ للديـــن مجدهْ　　　ولتـــرقْ منـــا الدماء

ثم استشهد رحمه الله في المستشفى.

أما الأخ عبد الله المصري رحمه الله فقد أصيب عند خروجه من المسجد ظنًّا منهم أنه الشيخ مروان، ثم نقل إلى المستشفى وبعد ساعات استشهد.

هؤلاء هم الأربعة من شباب الإخوان الذين استشهدوا داخل المسجد، وكانوا أول قافلة من شهداء الإخوان في سوريا وكلهم في ريعان الشباب.

الأخ منقذ صيادي، الأخ توفيق المدني، الأخ عبد الله المصري، الأخ محمود نعيم

عليهم رحمات الله

ولقد قال لي الشيخ مروان إنه بقي شهورًا كلما تذكر منقذ رحمه الله ذرفت عيناه بالدموع.

الشهيد محمد صادق عون رحمه الله

الأخ محمد صادق عون من مواليد ١٩٤٧ كان يدرس الشريعة في جامعة دمشق، عرفته في مسجد الشيخ مروان وكذلك في جامع السلطان، الأخ أبو العون كما كنا نكنيه، كان شابًا نشيطًا في الدعوة إلى الله، وكان عنده مقدرة عجيبة على تجميع الشباب حوله، الأخ أبو العون كان شاعرًا وأحيانًا يكون شعره ساخرًا، ومن شعره المشهور:

يا قرعته هوشي هوشي　　　من تحت جدار الطربوش

وكان أحيانًا ينشدها عندما نكون مجتمعين، وأحيانًا يطلبها الشيخ مروان فينشدها حتى حفظناها من كثرة الإنشاد، أبو العون رحمه الله روحه مرحة يمزح بلطف من غير أن يزعج إخوانه. اعتقل أبو العون بعد أحداث الدستور ١٩٧٣، وبقي فترة في السجن ثم أفرج عنه، ولكن بعد فترة وجيزة أعيد إلى السجن ولم يخرج منه، وارتقى شهيدًا في سجن تدمر عليه رحمات الله.

الشهيد مخلص أدهم الشققي رحمه الله

مخلص الشققي من مواليد حي الباشورة ١٩٥٧، شاب في مقتبل العمر وسيم، أشقر الشعر أبيض الوجه، خلوق، وكان دائمًا مع الأخ خليل رحمه الله، اعتقل في المرة الأولى مع السبعة حين اشتبك مهدي وخليل مع المخابرات في حديقة أم الحسن، ويومها حاولوا اعتقالي والأخ تميم ولكن تمكنا من الإفلات من قبضة المخابرات، وبعد شهور ثلاثة تقريبًا خرج هؤلاء من السجن، مخلص رحمه الله شاب صغير ولكن له عزيمة الرجال، كان يزورني مع خليل كثيرًا، ولكن لا أدري متى اعتقل ولا أعلم متى استشهد في السجن عليه رحمات الله.

الشهيد عبد الستار البقار رحمه الله

عبد الستار البقار شاب يافع نشيط في مجال الدعوة، عرفته في المدينة المنورة يوم جاء إليها للدراسة، وهو من مواليد طرابلس لبنان ١٩٥٧، وهو سوري الجنسية من تل كلخ، كان معنا في حلقات الإخوان، كان يحن إلى لبنان كثيرًا حيث هناك شب وتعلق بالجهاد يوم كان الجهاد في لبنان بين النصارى والمسلمين في طرابلس، كان عبد الستار رحمه الله لطيف المعشر حاد الذكاء محبًا لإخوانه، عشنا معه خلال الدراسة ولكن كنا لا نفترق عن بعضنا البعض.

وبعد تخرجه رحمه الله عمل مع إخوان سوريا مراسلًا بين الأردن وسورية، وبعد فترة كُشف أمره فاعتقل على الحدود السورية الأردنية، وأخذ إلى سورية ولم يعرف عنه شيء غير أن كل المفقودين قد استشهدوا رحمهم الله.

رحمك الله يا عبد الستار كنت صادقًا مستقيمًا غيورًا على دينك، عليك رحمات الله وجمعنا بك في مستقر رحمته.

الشهيد مأمون كاخية رحمه الله

مأمون شاب ملتزم بجماعة الإخوان، كان حريصًا على حضور دروس جامع السلطان، حيث كان معظم شباب الإخوان يحضرون الدرس المسائي في المسجد، فكان المسجد بمثابة روضة لشباب الإخوان يلتقون فيه كل يوم عدا يوم الجمعة، وكنت كثيرًا ما أحضر الدرس ثم نلتقي بإخواننا ومنهم مأمون رحمه الله.

كان أحيانًا يأتي إلى مسجد الشيخ مروان، ولا أعرف الكثير عنه أو عن حياته، ولكن لابد أن أذكره؛ لأنه كان مع الشيخ يوم مداهمة البيت واشتبك مع قوات الأمن بعد اعتقال الشيخ، وكان معه أخ آخر من دمشق وهو زكي الصفدي، استمرت المقاومة ساعات بعدها ارتقى زكي شهيدًا، أما مأمون فأصيب واعتقل ثم قضى شهيدًا في السجن.

مأمون لو نظرت إليه ربما لا تظن أن هذا الشاب يفعل ما فعله بأعداء الله عندما هاجموا البيت، ليس بالطويل بل إلى القصر أقرب، ولكن النفوس الكبيرة ليست بالأجسام والعضلات وإنما بالروح والقلب، هكذا كان مأمون رحمه الله بطل من أبطال الدعوة.

الشهيد هشام عرفة رحمه الله

هشـام عبـد الرزاق عرفـة، وحيد أهلـه، عرفته فـي صفوف الدعـوة، فهو تربي فـي السـن مـن مواليـد ١٩٥١، وكان بينـي وبينـه علاقـة طيبـة وودّ، وكنـت أزوره أحيانًـا فـي بيتـه فهـو كريم، وبعـد خروجي من سـوريا ما رأيتـه إلا أننـي علمت أنه قـد جعـل بيته قاعدة للشـباب، وفي عـام ١٩٨٢ قاتل ونال الشـهادة في سـبيل الله، رحم الله الأخ هشـام وأسـكنه فسـيح جناته.

متزوج رزقه الله بولد واحد وعدد من البنات.

الشهيد فارس شعار رحمه الله

فارس شعار شاب من الساحل السوري، عاش في حماة فترة من الزمن يطلب العلم، تعرفت عليه في جامع النوري في حماة.

لازم شباب الإخوان، وعندما لوحق الشيخ مروان وتخفى في دمشق كان فارس يتردد على الشيخ ولقد رأيته هناك.

ويشاء الله أن يعتقل الشيخ مروان ويخرج فارس إلى الأردن.

التقيته في عمان، كان يجيد لعبة الجودو، جسمه صغير ولكنه قوي، وكنت أراه في عمان كثيرًا، وكما قلت من قبل أن ديوان الشعر للشيخ مروان كان عنده، أخذته منه ونسخته واحتفظت به، وعندما اشتدت المحنة على الإخوان في سوريا، وكان ذلك في بداية ١٩٧٩ وكان ذلك بعد حادث المدفعية في حلب، فاعتقل الكثير في الداخل ثم اتجه النظام إلى الأردن واعتقل العديد من الإخوة في الأردن منهم عمر علواني وخلدون مرقة وفارس شعار، وهناك مكث في السجن ثم أعدم مع غيره من الإخوة.

رحم الله الأخ فارس لقد كان خلوقًا دمثًا نشيطًا في مجال الشباب وهو في العشرينات من عمره، عزف عن الدنيا وبهرجها والتحق بركب الشباب المسلم، والذي يعني أن ضريبة ذلك السجن أو الشهادة، وكانت الشهادة رحمك الله يا فارس وأسكنك فسيح جناته.

الشهيد أحمد مصطفى بلقيس رحمه الله

الأخ الشهيد أحمد بلقيس (أبو صطيف) عرفته في مسجد السلطان، وهو من مواليد ١٩٤٨، كان طالبًا في مدرسة الصناعة في حماة، متحمس مستقيم دمث الأخلاق محبوب من إخوانه.

وكان لوالده دكان في شارع ١٢ ربيع الأول لبيع الخضار، وكنا أحيانًا نجلس عنده، ومضت الأيام وتركت حماة وسافرت إلى المدينة المنورة للدراسة، وبعد فترة جاء الأخ أحمد إلى المدينة ونزل ضيفًا عندي، وكان ذلك سنة ١٩٧٧ من القرن الماضي، فهمت منه أنه جاء يبحث عن عمل، وكانت مجموعة من الإخوة قد فتحوا مطعمًا أسموه بمطاعم الطائي في جدة، وكانوا قد سألوني إذا كنت أعرف شابًا أمينًا نشطًا كي يسلموه إدارته.

فعندما حضر الأخ أحمد وقال لي إنه جاء يبحث عن عمل، قلت له عن هذا العمل، فقبل، فأخذته إلى جدة وهناك اتفق معهم على العمل، وكنت دائمًا أزوره عندما أذهب للعمرة، وبعد تخرجي من الجامعة سافرت إلى الإمارات وبقي هو يعمل في جدة، ولكن لا أدري ما هي تطورات الأمور، وكما علمت من الإخوة أنه بعد اشتداد الثورة في سورية في بداية الثمانينيات أصبح مراسلًا للداخل، لكنه اعتقل على الحدود السورية الأردنية، وارتقى شهيدًا في غياهب السجون النصيرية، رحمك الله أبا صطيف وأسكنك فسيح جناته.

الشهيد موفق عياش رحمه الله

الأخ الشهيد موفق عياش (أبو عياش) كان يدرس الهندسة في دمشق، تعرفت عليه عندما جاء الشيخ مروان وسكن عنده فترة من الزمن، موفق رحمه الله شاب مليء بالحيوية والنشاط كان يتدرب على الملاكمة، وكان مرحًا يحب الدعابة، رأيته مرات عند الشيخ، لم أعايشه كثيرًا ولكن هذه الفترة الصغيرة تكفي لأن آخذ فكرة عن الأخ موفق، والذي كان فيما بعد من الشباب المتقدمين في العمل الجهادي، وربما شارك في التدريب في معسكرات الشباب مع الأخ عبد الستار والأخ غالب حداد عليهم رحمات الله. اعتقل الأخ موفق بعد اعتقال الشيخ، ولاقى من العذاب الشيء الكثير، ثم قضى شهيدًا في سجون الطغمة النصيرية.

الشهيد يحيى حمزة رحمه الله

يحيى حمزة ابن الحاج عبد الهادي حمزة رحمه الله، هو جارنا في البيت، وهو من أصغر أبناء الحاج عبد الهادي، كان هادئ الطبع مستقيم السلوك، أعرفه عندما كان صغيرًا، وعلمت فيما بعد أنه كان مع المجاهدين في حماة حيث اشترك في المقاومة عندما هاجم الطاغية حماة في ١٩٨٢، وكان يسمى الحاج أحمد، وبقي يقاتل إلى آخر أيام القتال، وكان من المقربين إلى الشيخ أديب الكيلاني رحمه الله، ولا أحد يعرف عنه بعد ذلك شيئًا، عليه رحمات الله.

الشهداء الثلاثة: مهنا سقا، حاتم فخري، عبود عمرين

شهداء ثورة ٢٠١١

التقيت بهؤلاء الثلاثة في تركيا، وكانوا قادمين من سوريا، وهم من أبناء مدينة حماة، ويعملون في كتيبة الإحسان التي يرأسها مهنا (الملقب بجورج تمويهًا)، التقيت بهؤلاء الثلاثة، رأيت فيهم روحًا متوثبة وهمة عالية، وإصرارًا على الجهاد ضد الطغمة الفاسدة في سوريا، جلست معهم أيامًا خبرت باطنهم فكان باطنهم كظاهرهم، إيمان عميق ونفس تأبى الخنوع وإرادة أقوى من الحديد، سألت أميرهم (مهنا) ماذا ستفعلون هنا؟ قال لي: يا عم نحن سنعود قريبًا إلى حماة، وإنما أتيت لأعالج إخواني، فهذا حاتم مصاب بطلقتين في ظهره وعبود مصاب بيده، وبالفعل بعد أن أدخلهم أحد الإخوة المشفى في اسطنبول، وجرت لهم فحوصات، تبين أن حالتهم جيدة والحمد لله، وبعد أن أخذوا قسطًا من الراحة لأيام قليلة تركتهم وغادرت إلى الأردن، وبقيت صلتي بجورج، وبعد فترة من الزمن استشهد حاتم بقاعدة في حي البياض وبعده عبود، وبقي جورج يدافع عن أهله ودينه إلى أن حان الأجل فنصبوا له كمينًا ودارت معركة بينه وبين أزلام النظام ارتقى شهيدًا رحمه الله.

رحم الله شهداء سوريا جميعًا.

الشهيد الشيخ عبد الله عزام رحمه الله

الشيخ الدكتور عبد الله يوسف عزام، عالم ربانيّ من القلة القليلة في عصرنا، جمع العلم مع التقوى والورع، الشيخ عبد الله أشهر من أن يعرف، وبما أنني أكتب عن شهداء على الطريق، فلابد أن أكتب ولو لمحات عن الشيخ عبد الله، لأنني أعرفه حق المعرفة، ومعرفتي بدأت به في ساحات الجهاد، يوم كان للإخوان قواعد للتدريب والقتال في فلسطين عام ١٩٧٠، يومها استنفر الشيخ مروان حديد الشباب للجهاد في فلسطين، وكنت واحدًا منهم، جئت الأردن مع الشيخ مروان، وأوصلنا رحمه الله إلى القواعد حيث كان هناك الشيخ عبد الله عزام والشيخ أحمد نوفل، يومها تعرفت على الإثنين، وعندما كان الشيخ مروان متواريًا عن الأنظار في دمشق قال لي: إذا رأيت الشيخ عبد الله فقل له إن مروان يريد أن يراك. وبالفعل التقيت بالشيخ عبد الله في المدينة المنورة في عام ١٩٧٤ وقلت له ما قاله الشيخ مروان، فقال لي: لقد كنت عنده منذ أيام.

وتمر الأيام ويعتقل الشيخ مروان، ومرة ثانية أتيت إلى الأردن وكنت دائمًا ألتقي بالشيخ عبد الله، ويوم استشهاد الشيخ مروان جاءني الشيخ عبد الله وأخذني بسيارته إلى بيته وبقيت صلتي بالشيخ، ويوم أن تخرجت من الجامعة وأردت الذهاب إلى الإمارات جاءني الشيخ عبد الله إلى بيت الأخ ـ أبو غانم ـ وكان يوم جمعة، وقال لي: يا أخي أتيت لأراك وأقول لك إنني لا أريدك أن تسافر إلى تلك البلاد. ودار بيني وبينه حديث طويل من أجل ذلك، وكنت لا أريد الذهاب كما قال الشيخ، ولكنني ذهبت مضطرًا إلى الإمارات، بعدها ذهب الشيخ إلى السعودية وبعدها إلى باكستان، وفي هذه الأثناء التقيت به في دولة الإمارات، وكان آخر مرة جاء إلى إمارة الفجيرة يعرف الناس بالجهاد الأفغاني، ونام عندي يومها، وكان يريد

أن يأخذني إلى أفغانستان، ولكن إرادة الله كانت غير ذلك، هذه عن علاقتي بالشيخ عبد الله رحمه الله.

أما من هو الشيخ عبد الله، وماذا عن صفاته؟ فذلك يحتاج إلى سفر خاص بذلك، ولكن لابد أن أذكر بعض ماكنت ألحظه من الشيخ.

الشيخ عبد الله لم أر مثله من الدعاة إلا القليل، علم غزير وأخلاق عالية وشجاعة نادرة، وكرم معطاء إضافة إلى الورع، استقامة على شرع الله قليل مثلها عند غيره، إذا رأيت الشيخ عبد الله ذكرك بالله، فكأنه من السلف الصالح، إذا جالسته أحببته لبساطته وتقواه، لا تراه إلا تاليًا للقرآن أو قارئًا لكتاب في الدين أو مصليًا، فقد كان صوَامًا قوَامًا، هكذا عرفت الشيخ.

لقد كان رحمه الله إذا بدأ بالصلاة لا يريد أن يقطعها، وإذا صلى غيره إمامًا وأنهى الصلاة يقول له: يا أخي لو أطلت أكثر. هذا ما حدث أمامي عدة مرات.

الشيخ عبد الله عزام رحمه الله رجل من أهل الله وخاصته، مخلص لا يخفى عليك إخلاصه، لا يفكر إلا برضاء الله والآخرة، الشيخ عبد الله كان شامة في جبين الدعوة، وكما قلت قلّ الرجال من أمثال الشيخ، يوم استشهاد الشيخ حزنت كثيرًا، بل وبكيت على نور قد انطفأ وشمس قد غربت، عليه رحمات الله.

رأيت الشيخ بالمنام بعد استشهاده، وكنت وإياه في غابة من الشجر ومعنا السلاح، والرؤيا طويلة، إلا أن تفسيرها أن الله عزوجل قد قبله شهيدًا، وهذا لا شك فيه عندي، وأرجو الله عزوجل أن يجمعني معه في مستقر رحمته، فهنيئًا لك أبا محمد الشهادة، وهنيئًا لك الفردوس الأعلى إن شاء الله.

ملحق بكتابات بعض الإخوة عن بعض الشهداء

استكتبت بعض الإخوة ليكتبوا عن بعض الشهداء، فكتب الشيخ نافع عن الشهيد حسني عابو، وكتب الأخ محمد صادق الحموي عن عدد من الشهداء، وكتب الأخ أحمد حمشو عن بعض الشهداء، وسوف أذكر ذلك عندما نتكلم عن هؤلاء الشهداء.

الشهيد حسني محمود عابو رحمه الله

كتب الشيخ نافع العلواني عن تلميذه حسني فقال:

حسني أخ جمع بين الصفاء والوفاء والحياء، في زمن قل فيه الوفاء وندر فيه الحياء وغاض فيه الصفاء، عرفته في إعدادية (سيف الدولة) في حلب عام ١٩٦٤ عندما نقلت إلى مدينة حلب بعد أحداث جرت في مدينة حماة، كان طالبًا في الصف الثاني الإعدادي، رأيت تلميذًا كثير الصمت هادئًا، تظهر على تصرفاته سمة الحياء، وآثار تربية عالية، فعلمت أنه كان يتردد على الشيخ (محمد الحجّار) في مسجده (قسطل حرامي) في حلب القديمة قريبًا من القلعة، والشيخ هناك معروف باستقامته وخلقه وجرأته، فأدركت أن حسني كان من نتاج مدرسة هذا الشيخ الكريم.

وفي عطلة الصيف المدرسية ذهبت إلى حماة حيث درس الشيخ محمد الحامد رحمه الله في جامع الجديد، ففوجئت بشاب معمم في درس الشيخ محمد الحامد، وإذا به الأخ حسني رحمه الله، وبعد انتهاء الدرس قال الشيخ لحسني: هذا الزمن لا يحتمل رؤية شاب معمم في مثل سنك، فاستجاب رحمه الله للنصح وترك العمامة.

كان رحمه الله إذا كلم أساتذته غضَّ بصره وخفض صوته واحمر وجهه أدبًا وحياءً، أما صفاؤه فلا يقل عن حيائه، لا يستطيع أن يكتم أمرًا يراه حقًّا، خطب امرأة من حلب من عائلة معروفة رآها ملتزمة في الجامعة، وكان والدها جارًا لنا في السكن، ففوجئت بوالدها يستأذنني بزيارة قصيرة عرفت منها أنه والد البنت التي يرغب بها حسني، فقال لي الأب: إن حسني طلب ابنتي، ومن أول لقاء معي أخبرني أنه سيعيش معها عيشة التقشف، فلا يريد إلا ثوبين للعروس! ثم

قال والدها: أصلح الله حسني، لو صبر حتى تكون عنده أولًا ثم بعدها يفرض شروطه، لذلك رفضت البنت خطبته.

قلت: هذا هو الصفاء الذي يستغربه الناس، ودليل هذه الصفة فيه أنه لما ذهب إلى فرنسا لدراسة الصيدلة لم يكمل الدراسة؛ لأن المجتمع الغربي يعيش في تعاسة والمرأة عندهم أتعس المخلوقات، وذكر نماذج من هذه التعاسة فآثر العودة إلى أرض الوطن قبل أن يتم دراسته.

أما وفاؤه فعجيب، وإليك أخي الكريم مثالًا على هذا الخلق الكريم:

في سنة ١٩٧٣ سرّحت من الوظيفة بقرار جمهوري، وكان الحال ضيقًا وهو يعلم أن يدي لا تمد إلا إلى الله، فحاول أن يجد لي تجارة تتناسب مع وضعي حيث كنت مطلوبًا للنظام، فعرض عليّ تجارة حقائب جلدية يأتي بها من حلب وأبيعها في حماة، قلت: كيف ذلك وأنا مطلوب؟ قال: إن أبي عنده معمل للسجاد فهل تقبل؟ قلت: المحظور نفسه، قال: عندنا كراسي مكاتب، فآتيك بالكراسي وتوكل أخًا بالبيع ويأتيك بالربح، فوكلت أخًا هو (ف) فباع دفعة واحدة ربحنا به مبلغًا بسيطًا صرفناه على ولدي عندما وقع وكسرت يده، ثم انقطع الأمر، ومع ذلك بقي يتردد عليّ ويعرض ويعرض.

ومن وفائه أنه كان معجبًا بسيد قطب ومحبًا لي، فلما ولد له ولد سماه (سيد نافع) جمعًا بين الإعجاب والمحبة، وبعد أكثر من عشرين عامًا جاءتني رسالة باليد (إلى السيد الكريم في الأردن مكتوبة بخط رديء من السيد نافع إلى السيد نافع) فعلمت أنها من ولده.

ومهما كتبت لا أوفي حسني رحمه الله بعض حقه في زمن غاض فيه الحياء وقل الوفاء وندر الصفاء.

ما كتبه محمد صادق الحموي عن بعض الشهداء

أحمد عمر النجار رحمه الله

من حي السوق، شاب وهب نفسه لله، فقام بخدمة إخوانه، وحاولت رجال المباحث اعتقاله فلم يتمكنوا، وقبضوا على ثلاثة من إخوانه المهندس المدني محمد ومعن وأيمن، وبقوا في السجون طويلًا، استشهد معن وأيمن في السجن، وأطلق سراح محمد بعد قضائه ١٥ عامًا رهينة، مع الذين أطلق سراحهم عام ١٩٩٤م، أما أحمد أخوهم، فلم يثنه ذلك عن اللحاق بالمجاهدين، وشاركهم في كثير من العمليات العسكرية حتى استُشهد سنة ١٩٨٢م، ومن أخباره أنه كان يمر بأمه سرًّا ويقول لها حين يودعها: لا تبكي يا أمي سأراك في عليين.

رحم الله أحمد رحمة واسعة، وجعله في عليين مع النبيين، وألهم أهله الصبر والسلوان.

علي بن عبد الكريم طربين رحمه الله

من حي الشرقية في حماة، كان أصحابه يكنونه بأبي صقر، وحقًّا كان صقرًا حين هاجم علوج النظام البلد يقتلون المواطنين الشرفاء، حمل السلاح وانضم إلى المجاهدين، وبقي يقاتل حتى استُشهد، وحاول العلوج الانتقام من عائلته بعد أن أخبرهم المتعاونون معهم أن أبا صقر كان ممن يقاتلون، فاعتقلوا أخاه إبراهيم، وابن عمه زياد بن عبد الحميد، وابن عمه الثاني فيصل بن فارس طربين، واستُشهد الثلاثة في السجون، رحمهم الله جميعًا.

عبد الكريم بن خالد طربين رحمه الله

شـاب صغير خـدم المجاهدين كثيـرًا لا سيما المجاهـدون الذيـن كانوا في حـي الباروديـة مـع مسـعف خطاب الـذي تربطه بـه قرابة، وهـو كعمه أبـي صقر، قاتـل مـع المنافحيـن عن البلـدة حتى استُشـهد، رحم الله هـؤلاء الشباب الأطهار الذيـن هبـوا منافحيـن عـن دينهـم وأعراضهم وشـعبهم الطيـب، وأسـكنهم جناته وتغمدهـم برحماته.

عبد الحكيم بن نور الدين الريس رحمه الله

هـذا الشاب الصغير عرفه الناس حـين استُشهد مـع فيصل غنامة في العملية المشهورة ضد محافظ حماة، ولا أحد ممن يعرفه كان يخطر بباله أن يكون هذا الشاب من مرافقي فيصل وبسام، هادئ جدًا، ومتخف عن الظهور مع أقرانه، فكان الجميع يظن أن هذا الشاب ليس له علاقة بالمجاهدين، والظاهر أن فيصلًا رحمه كان يختار من أمثال هؤلاء أصحاب العزيمة والشكيمة وحب الخمول وكره الظهور، رحم الله الجميع رحمة واسعة، وأنزل على قبورهم رحماته وألطافه.

سعيد بن عوض الصليعي رحمه الله

شاب صغير نشأ في رحاب مسجد الشيخ مروان في حي البارودية، كان يقوم بخدمة المسجد بلا أجر، فكان يؤذن فيه، بل جعله كمنزله فلا تكاد تراه إلا في المسجد، اعتقل وهو صغير جدًا، والظاهر أنه استُشهد في سجون النظام، رحم الله سعيدًا عاش في الحي سعيدًا محبوبًا من كل جيران المسجد، ومن كل الإخوة الذين كانوا يزورون الشيخ مروان، ولا شك أن الأخ أكرم الريس ابن أخت الشيخ مروان كان له أثر واضح في توجيه سعيد والعناية به، إضافة إلى أخيه المهندس إبراهيم، رحمك الله يا سعيد ورحم كل من استُشهد من هؤلاء الشباب الأطهار.

الشهيد أمير بن محمد قرة بولاد رحمه الله

طبيب ماهر، ومؤمن صادق، صوَّام قوَّام، قليل الكلام، لكنه حاد الذهن وقّاد الفكر، ألمعي العقل، لعلي لا أبعد إن قلت عنه بأنه مهندس العمل العسكري مع المهندس هيثم عبيسي وعمر جواد ومسعف خطاب، في الآونة الأخيرة كان هذا الطبيب هو المسؤول عن أجهزة التنصت في المنزل التي يختبئ فيه عمر ومسعف، وكان هيثم يأتيهم بعد انصرافه من وظيفته ليجتمع بهم اجتماعًا خاصًا داخل غرفة صغيرة صنعوها من الغرفة الكبيرة التي تضم عددًا من الإخوة المجاهدين، وبعد الاجتماع الخاص يخرج الإخوة من الغرفة ويبقى أمير مراقبًا «شيفرة المخابرات» في الجهاز الذي يعمل عليه وهو جهاز ضخم، ولا أعلم كيف توصل بذكائه إلى معرفة «الشيفرة» التي عند المخابرات، التقط من الجهاز أنهم في ليلة رأس السنة سيسهرون في المقصف الكائن في البشريات، وسمع منهم أن معهم بعض العاهرات من بنات الطائفة النصيرية والشبيبات والمظليات، فأشار بعد مشاورة تمت مع الأخ عمر ومسعف، إلى مجموعة لهم قريبة من مستشفى الركبي، للتصدي لهم، وفي منتصف الليل، نشبت معركة عنيفة سريعة، فكان يسمع صراخهم من الجهاز وعويلهم، ولا أدري كم كان عدد قتلاهم، وقد أقدموا على ذلك؛ لأنه سمع أحدهم يقول لصاحبه المخمور: البارحة داهمنا قاعدة في عين اللوزة، والظاهر أيضًا أنه سمع منهم أسماء من قتلوهم من الشباب بعد المعركة التي نشبت حين اقتحموا القاعدة، فأحبت قيادة الشباب أن تثأر لشهدائها، فرصدوا لهم هذا الكمين، وأبطلوا احتفالاتهم اللعينة في رأس السنة الميلادية.

لقد اعتقلت المخابرات أخوه المهندس مصطفى رهينة قبل أحداث حماة، ثم

قتلوه سنة ١٩٨٦م في السجن، ويبدو أنه استُشهد تحت التعذيب، واعتقلوا أيضًا شقيقته الأخت أم أنس رهينة، لكنهم أفرجوا عنها ولا أعلم كم مكثتَ عندهم، وقبل أحداث حماة حضر إلى الحج خفية، ومعه رسائل كثيرة بلغها جماعة الإخوان ـ فيما يبدو ـ ثم عاد إلى حماة، إلى مأواه مع أحبابه، وبقي حتى اندلعت ثورة حماة، فقاتل قتالًا عنيفًا، وكأنه استلم القيادة في بعض الجبهات، والظاهر أنه استشهد بعد اصطدامه بحاجز أقامه الجيش في طريق محردة، قاتلهم حتى استشهد رحمه الله رحمة واسعة.

كان على قدم كبير من العبادة، فقل أن تراه غير صائم، وهو في غرفته الداخلية دائم الذكر وقراءة القرآن الكريم، كان قائدًا ماهرًا، أوتي ذكاء متميزًا في استيعاب «التكنولوجيا» العسكرية مع أنه طبيب، لا أحد يعرف أميرًا إلا وحزن وجزع على فراق أمير، فهو بحق أمير الجهاد ورمز التضحية والوفاء. بوّأك الله فراديسه وأعلى مقامك.

الشهيد مسعف بن عارف خطاب رحمه الله

هذا الشهيد المهندس يمثل الرجل الذي قد يخطر ببالك أنه من أضعف خلق الله، قصير القامة، نحيل الجسم، لكنه في الحقيقة أسد هصور، ومقاتل صبور غشوم، لا يعرف الخوف ولا التردد، يتسم بهدوء أعصابه ورباطة جأشه حين تدلهم الخطوب، وتقعقع السيوف، ويبرز الشرُّ، إيمان عميق بالمبدأ، وحب شديد للجهاد والتضحية، يكره الجبناء، ويبغض الرعاديد، يعشق العز والكرامة، غرسها في الإخوة المجاهدين، فصار أبو عارف عند الجميع رمز الشجاعة والثبات، والتفاؤل بالنصر، قال لبعض إخوانه الذين تجمعوا حوله بعد دخول الجيش حي البارودية وبعد قتال عنيف خاضه الشباب: يا إخواني لو أن الله يحبنا لاختارنا إلى جواره مع الشهداء، فلنبك على أنفسنا، توجهوا إلى الله لينيلنا الشهادة، لقد قمنا بواجبنا في الدفاع عن المسلمين وتحرير سورية من هذه الطغمة، فلا تيأسوا سيكون لنا كرة، ثم انطلق متجهًا إلى مزرعة لأهله في طريق حمص، فاشتبك هو ومن معه بحواجز للجيش والمخابرات، ونال الشهادة التي كان يسعى لها ليلحق بإخوانه الذين كانوا معًا في مخبأ واحد حين بدأت المعركة وهم عمر وهيثم وأمير.

مهما تحدثنا عن شمائل هذا المجاهد، فلن نستطيع حصرها، والعجيب أنه لم يكن من المترددين إلى مسجد الشيخ مروان مع أنه من أهل الحي، لكن كل أحبابه وأصحابه سواء أكانوا من أهل الحي أم من خارجه كانوا على صلة بالشيخ مروان.

كانت له جلسة بعد العشاء على شط العاصي في بستان «الظاظا»، يجتمع فيها كل الشباب منهم الطبيب والمهندس والمعلم والمحامي، ومنهم الوقور الحليم، والخفيف اللطيف، ومنهم الصوفي، والإخواني، تحابوا في الله، وساروا في سبيل الله، صار المجلس منتدى ثقافيًا تتنوع فيه الأحاديث، بين علم نافع وقصص طريفة

وحكايات ظريفة، واتسع هذا المجلس فصار مشهورًا يرتاده أهل الدعابة والمزاح، فمرة حضر المجاهد بلسانه ونكته أبو رضوان الحيط الرجل الذكي الذي استخدم النكتة سلاحًا ضد حافظ الأسد، ومرة حضر المجاهد صاحب النكت المشهورة الشيخ رضوان كيلاني ومعه ديوان شعره يقرؤه على أهل المجلس، إنها أيام وليال تبعث فينا ذكريات نحنُّ إليها حنين الثكالى، ولعلنا في قادمات الأيام نفرد لها حديثًا؛ أكثر مرتاديها استُشهدوا رحمهم الله تعالى، لقد صار هذا المجلس مكانًا لكثير من الشباب الذين لهم اتصال بالشيخ مروان بعد هروبه إلى دمشق.

وقد قلت مرة للشيخ مروان في دمشق: يا أبا خالد شباب حي البارودية لم تقم أنت بالاتصال بهم. فقال لي: شباب حي البارودية وغيرهم من الأحياء في حماة، أنا على اعتقاد بأنهم كلهم وكل حماة ستقف معنا، والعمل الآن في دمشق أهم، لكن أرجو أن تكونوا في حلقات، فليكن مسعف خطاب وعمر خطاب، وعادل خلوف، ومرهف بارودي، وعمر حديد وأنت في حلقة واحدة الآن، وبإمكانكم أن توزعوا الشباب إلى مجموعات، تكون هذه المجموعات جاهزة إن شاء الله حين اللزوم، وبلغت الأمر إلى الإخوة جميعًا، وانتظم الأخ مسعف من حينها في جماعة الشيخ مروان، وقبل مداهمة السلطة لبيت مروان في دمشق عزمت كثيرًا على أن تزور هذه المجموعة الشيخ مروان في دمشق، لقد اشتاقوا إليه، فكنت أبلغهم تحيات الشيخ لهم، وأن من الأحسن عدم الذهاب محبة بالشيخ مروان وأمانًا له.

وحين اشتدت المعركة بين المجاهدين والنظام الأسدي كان أبو عارف على صلة بهم، يخبئ الهاربين ـ وكاتب هذه السطور واحد منهم ـ، ويخدم الشباب خدمات عظيمة، ثم استطاع أن يؤثر في عائلته كلها، فانتظم إخوته في الجهاد، كل حسب طاقته، ولله در أمه أم مسعف رحمها الله تعالى، المرأة الفاضلة المجاهدة التي

كانت تطبخ الطعام وتحمله إلى المجاهدين المختبئين في منزل هيثم عبيسي أي منزل القيادة، وجعلت لنفسها مواعيد خاصة تسير فيها ذهابًا وإيابًا تراقب سيارات المخابرات، وتبلغ الشباب بها لكي لا يخرج أي واحد منهم.

ومن أعمال أبي عارف الذكية الدالة على حكمته وبراعة قيادته أنه استطاع أن يوظف الجيران الذين يحبون تربية الحمام، ويطيرونها مستمتعين بها صباحًا وعصرًا، فكان هؤلاء يراقبون الحارة من أسطح المنازل، فإذا رأوا سيارة للمخابرات أو شكوا بشخص ما بأنه متسلل عميل للمخابرات، ألقوا ثلاثة أحجار صغيرة على سطح أو باحة الدار، فيعرف الإخوة بأن المخابرات في الحي، فيبقون في المخبأ، حتى يسمعوا حجرات أخرى يلقيها جارهم صاحب الحمام.

والظاهر أن هذه الفكرة كانت من مبتكرات أبي عارف، فهو محبوب من كل أهل الحي لاسيما شبابه، والحق أن الحي كان نظيفا جدًّا الأمر الذي جعل القيادة في أمن وأمان على مدى سنوات كثيرة، فأبو عارف يُعَدُّ قطب الرحى في دفع العمل الجهادي بما قدم مع أهله رجالًا ونساء، كان أبوه رجلًا صالحًا محبوبًا، لا يمكن إذا رأيته أو جلست معه إلا أن تحبه وتحترمه، جود وكرم ومكارم أخلاق جعلته يقدم كل ما يملك من مال وأولاد لهذه الثورة، بصبر وعزيمة واتكال على الله.

استشهد مسعف واثنان من إخوته، واعتقلوا أباه، والظاهر أنه استشهد في السجن، فهو كبير السن ومريض بداء السكر، وبعد الأحداث استطاعت أم مسعف أن تصل إلى الأردن بولد واحد وابنتين، جعل الله هذه الأسرة الكريمة في رغد وهناء، وأسكن أبا مسعف ومسعف وإخوانه وكل من استشهد من عائلته منازل الأبرار في عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وأدام على قبورهم مزون رحماته وألطافه.

الشهيد حسين حسناتو الشمالي رحمه الله وإخوته

رحمه الله رحمة واسعة، كان محبًّا للاشتراكيين، له محل أمام جامع الدرابزون، تردد إلى الشيخ مروان في مسجده، فصار من كبار المقربين المحبين، وأقام حلقة ذكر في بيته، من أصحابه آل مطر حسين، وزياد وجعفر، وآل الأمين، لا سيما أولاد الشهيد عثمان الأمين رغم كبر سنه، حضر الدورة الفدائية التي أقامها الشيخ مروان في غابات «الفرلو» في منطقة «كسب»، فكان عبد الستار الزعيم يحبه ويجله لأنه رأى فيه الهمة العالية، والصبر على التدريب القاسي العنيف الذي كان يفرضه على المشاركين في الدورة.

كان شجاعًا عنيفًا، ذا صفات عالية وأخلاق رفيعة، يحبه كل من يتعرَّف عليه، ورُزِقَ الأنس والروح الطيبة، ولا تخلو جلسته من مزاح يبعث السرور في النفس، شارك إخوانه في مقارعة النظام الأسدي، وحين اكتشف أمره جاؤوا إلى بيته لاعتقاله فهرب، ثم راح إلى أقرباء له أمام مدرسة غرناطة في حي الحاضر، واختبأ طويلًا، ثم داهموه مرة ثانية، فنشبت معركة عنيفة بينه وبين علوج النظام استمرت ساعات، ثم سقط شهيدًا بطلًا مغوارًا.

وله إخوة أشاوس منهم: محمود صاحب سيارة لبنانية، قدمها كثيرًا لتميم الشقفي يتنقل بها، واكتشف أمره، وحين حاولوا اعتقاله قاتلهم حتى استُشهد. ومنهم: وليد الضابط المتطوع، أرادوا الاعتداء على عرضه بعد اكتشاف أمره بمساعدته للمجاهدين، فقاتلهم قتالًا شديدًا، حتى استُشهد مضرجًا بدماء العفة والبطولة، وأنقذ أهله.

رحم الله هؤلاء الشهداء، وأنزلهم منازل الأبرار، كان الشيخ مروان على شوق لكم دائمًا يا أبا علي، يتحدث عن جميل فعالك، وشجاعتك بعد أن أخبره عبد الستار عما رآه منك في الدورة من صلابة وقوة وشكيمة عجز عنها الشباب. أسعدك الله في جنانه، وآنسك في رضوانه.

الشهيد الحاج عبد الكريم الخوام رحمه الله وأخواه

من حي البياض، تاجر وهب ماله للفقراء الذين لا معيل لهم، وهو صهر الحاج الشهيد بدر الدين ذكرى الذي يعد من أقدم المجاهدين، في جماعة الشيخ مروان، عرفت الحاج عبد الكريم الخوام في ليبيا، تاجرًا كريمًا، يساعد الأخوة الجدد القادمين من حماة للعمل في ليبيا، فكان بيته كأنه «منزول»، وانتقل إلى حماة، وفتح محلًّا تجاريًا يبيع فيه الأثاث الخشبي، وهاله ما رآه من ظلم المخابرات لأبناء بلده، والظاهر أن واحدًا من عملاء السلطة وشى لأسياده أنه يتكفل ببعض الأرامل والأسر الفقيرة، فاعتقلوه، بتهمة تمويل جماعة مروان عن طريق قريبه الحاج بدر الدين ذكرى، ولاقى تعذيبًا شديدًا في أقبية المخابرات حتى استُشهد في السجن. وفي ثورة ١٩٨٢م جاهد أخواه سليم وأحمد مع المجاهدين، واستبسلا في القتال استبسالًا عظيمًا حتى استُشهدا، ولحقا بأخيهما الحاج عبد الكريم، رحمهم الله جميعًا رحمة واسعة، وأنزل على قبورهم شآبيب رحماته، والظاهر أن الشهيد البطل سعد الخوام الذي استُشهد الآن في هذه الثورة تحت التعذيب هو ابن واحد من هؤلاء الشهداء رحمهم الله جميعًا آباء وأولادًا.

الشهيد بدر الدين ذكرى رحمه الله

رجل شديد قوي شجاع، قدم خدمات جليلة للمجاهدين، فهو الذي نقل المجاهدين إلى الدورات التي كانت تُقام في «كسب» بسيارته، وهو الذي شجعهم أيضًا على القيام بالعمليات العسكرية بعد استشهاد الشيخ مروان في السجن، وحين حاولت المخابرات اعتقاله، قاتلهم، واستمرت المعركة ساعات طويلة، ثم استشهد رحمه الله تعالى رحمة واسعة وجعل قبره روضة من رياض الجنة.

الشهيد عدنان الرز الرفاعي رحمه الله

أخ من الإخوة الدمشقيين الذين ترددوا إلى الشيخ مروان في دمشق، ويعد من أكثرهم نشاطًا في تعريف الشباب الدمشقيين على الشيخ مروان، كان مجيدًا للعبة الكارتية، يتسم بالهدوء والتؤدة، ورباطة الجأش، أنيس ودود، حضر إلى حماة قبل اعتقال الشيخ مروان، وحين كان يتدرب على تفكيك المسدس أصاب رجله بطلق ناري، واتفق الشباب في حماة على أن لا يرسلوه إلى أهله إلا بعد شفائه تمامًا، رأيته في منزل فيصل غنامة، ثم استضفته في بيتي حتى شُفي، وبعد اعتقال الشيخ مروان اعتقل الأخ عدنان، واستُشهد تحت التعذيب رحمه الله برحماته، وتغمده بألطافه.

الشهيد أحمد الرشواني رحمه الله

رحم الله أحمد رحمة واسعة، لقد كان جنديًا مجهولًا، اعتنى به معن بارودي عناية خاصة، تراه في بقالية والده في حي الشرقية بالقرب من المسجد الشرقي، جادًا نشيطًا، يساعد أباه، تألفه لحسن معاملته، وطلاقة وجهه، بعد اعتقال الشيخ مروان، داهمت المخابرات بستانًا في باب النهر كان فيه أبو شاهر خلوف وعدد من الإخوة، فاعتقل أحمد، ولم يُعرف عنه شيء سوى أنه مضى شهيدًا في غياهب سجونهم اللعينة، وفي ثورة عام ١٩٨٢م، استُشهد أيضًا عدد من إخوته الذين هبوا مع المجاهدين ينافحون عن المسلمين وأعراضهم، وقاتلوا حتى استشهدوا رحمهم الله تعالى وأوسع لهم في جنانه، وأنزلهم في عليين.

الشهيد مرهف بن علي البارودي رحمه الله

مهما كتب عن هذا الشهيد فهو قليل أمام محاسنه ومآثره، شهم كريم، شجاع نبيل، جار عزيز، مخلص للشيخ مروان حديد، حين كان صغيرًا عاش أحداث ثورة ١٩٦٤م، إذ كان عمره عشر سنوات؛ لأنه من مواليد ١٩٥٣م، ورأى شباب الحي ـ البارودية ـ ومعهم أخوه محمد يضعون الحواجز، ويقاتلون جند البعث، فنشأ على حب الجهاد والتضحية، والدفاع عن حرمات المسلمين والمسلمات، ساعد المجاهدين كثيرًا بماله وداره، وعاش معهم في أفراحهم وأتراحهم، ولو أردنا ذكر قصصه وشجاعته واستبساله أيام المحن لكتبنا عنه صفحات كثيرة، لاسيما إذا أردنا أن نعرج على جهاد أخيه محمد علاء الدين، الذي يشهد له أهل الحي بالمروءة والشجاعة منذ أحداث ١٩٦٤م.

لقد قدمت هذه العائلة الكثير الكثير للمجاهدين، يعرفها كل من كان في البلدة ولجأ إلى حي البارودية، جعل مرهف رحمه الله بيته مأوى سريًا للمجاهدين الذين لا مأوى لهم، يطعمهم، ويخدمهم، ويقدم لهم ما يحتاجون إليه، وهو على يقين بأن المخابرات لو أتت فسوف تكون معركة لا يعلم ما ستسفر عنه إلا الله تعالى، كان يعيش في رعاية الله وحفظه، ستره الله بستره، وفي المعركة الأخيرة حمل السلاح وقاتل في بازار الخضرة ـ حي الحاضر ـ حتى سقطت قذائف كثيرة على خان بيت السفاف ـ الجلد ـ فاستشهد منافحًا عن دينه وعرضه، راضيًا مرضيًا.

رحمك الله يا أبا علي، وبلَّ رمسك بغفرانه وألطافه، وأنزل الله على قبر أخيك محمد علاء الدين شآبيب رحماته، لما قدمه للمجاهدين من خدمات لا يعرفها إلا من عرف محمدًا رمز البطولة والشهامة والمروءة منذ ثورة ١٩٦٤ حتى نكبة حماة في الثمانينات، نسأل الله أن يجمعنا جميعًا في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود مع النبيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

الشهيد هشام بن عثمان البارودي رحمه الله

مهندس مدني لامع، يتقد ذكاء ومضاء، ونشاطًا، جار الشيخ مروان حديد، إذا جلست إليه تدرك مباشرة أنك أمام رجل يجب أن يكون قياديًا، فهو غزير العلم الشرعي، لأن والده كان خطيبًا في مسجد البحصة في الحاضر وخلف لأسرتهم مكتبة عامرة، لذا نشأ على حب القراءة والاجتهاد في الطاعة، فكان في صغره يفتخر بأنه ختم القرآن مرتين، وإذا سألته عن مسألة فقهية تجده فقيهًا، سار مع المجاهدين مذ بدأوا جهادهم، فكان جنديًا مجهولًا وقياديًا في آن واحد، كان الأخ عمر جواد ومسعف خطاب يستشيرانه في كثير من القضايا المهمة التي تحتاج إلى ذكاء وأفق بعيد، وكان يبلغ الأخ مرهف ليرى ما عنده من رأي ليكون قرارهم حكيمًا.

وقد اعتقل قبل أحداث حماة بشهر تقريبًا، وذاق الويلات في سجون المخابرات لكنه لم يتكلم بكلمة واحدة عن المجاهدين، والعجيب أنهم حين اعتقلوه كان في جيبه مفتاح باب المنزل الذي كان فيه الأخ عمر جواد ومسعف خطاب وأمير قرة بولاد، وهو بيت الشهيد البطل هيثم عبيسي، الذي يشبه الأخ هشام في كثير من صفاته وشمائله، وقد استنفر الإخوة، خوفًا من أن يضعف تحت التعذيب، فيدلي للمخابرات بمكان هذا المنزل، لكنه كان جبلًا راسخًا، وطودًا شامخًا، قهر جلاديه بصبره وثباته، استشهد تحت التعذيب، وقد ذكر بعض المساجين الذين كانت زنازينهم قرب زنزانته، أنهم رأوا جاكيته وبعض ملابسه في الممر الكائن بين الزنازين ملطخة بالدماء، وذكر بعضهم أنه رآه وهم يسحبونه على ظهره لا يقوى على المشي ولا على الوقوف لكثرة آلامه، والدماء تسيل منه.

لقد عاش هذا البطل حرًا شريفًا ومات عزيزًا كريمًا، هنيئًا لك يا أبا عثمان يا

جميل الصورة والسيرة، كم كنت تتغنى بالأناشيد الجميلة، والأنغام الشجية، وكم كنت تطلب من أخيك محمد رياض أن ينشد في سهراتكم الحلوة لتشاركه في الإنشاد، وكم من سهرة معه برفقة أخيكم الفاضل المرحوم زهير الذي كان أيضًا عاشقًا للنغم، وكم قمت مع محمد رياض وعمر حديد «بالشهرنة» في مسجد الشيخ مروان، في أيام وليالي رمضان، ومرهف رحمه الله يستمع خارج المسجد منتظرًا إياك ليقول لك مازحًا: إن صوتك ليس جميلًا.

لهفي على تلك الأيام والليالي التي قضيناها معًا في رحاب مسجد الشيخ مروان، مع الأخ الفاضل المخلص الوفي أكرم الريس؛ إذ ليس من ذكرى جميلة لأي أخ في بلدتنا حماة إلا وللأخ أكرم فيها أكبر نصيب، رحمك الله أبا عثمان، فلعلنا نلتقي جميعًا مع أحبتنا الشهداء عند مليك مقتدر، في حضرة النبي وخلفائه وأوليائه ومتابعيه في عليين، كساك الله حلل غفرانه، وتغمدك برضوانه وإحسانه.

الشهيد عمر بن حمدو حديد رحمه الله

هذا الشهيد أمره عجيب، وحاله غريب، لا نعرفه إلا مجاهدًا بصمت، مطيعًا بإخلاص، متفانيًا في نفع عائلته وإخوانه، يعرفه أهل الحي بهدوئه واتزانه، وصوته الجميل، فقد كان مع أهل الحي يؤذن في مسجد الشيخ مروان حديد، وينشد الأناشيد قبل صلاة العشاء مساء كل يوم خميس، مع محمد رياض الخوام وأكرم الريس وهشام البارودي، يجتمع عنده في منزل عائلته في البارودية الأحباب والأصحاب، يتداولون ما حل بالبلد من المصائب والأهوال، فتراه يتقد حماسًا، وينفجر غيظًا من السكوت على هذا الظلم، كان ضمن مجموعة في الحي تتصل بالشيخ مروان في دمشق، وينتظر ساعة انفجار الثورة التي ستشفي قلوب المؤمنين.

آوى إليه الكثير من المطلوبين، وشارك في أول اجتماع تم للطليعة المقاتلة في بيت أبي عثمان طارق الأمين، وقدم الكثير لإخوانه، وحين دخل الجيش حي البارودية، ألقى السلاح وتظاهر بأنه لا علاقة له بالشباب المجاهدين، وحين رفع يديه مع عدد كبير من أهل الحي فوق رأسه كما طلبوا، دخل الجند منزله للتفتيش، فسمع صوت النساء في البيت وصراخهن، فوثب كالأسد الهصور، يريد الدخول إلى المنزل، ليدافع عنهن فأطلقوا عليه وابلًا من الرصاص، فسقط شهيدًا مجندلًا، مضرجًا بدمائه الزكية العطرة، رحمك الله أبا حمدو، فأنت مثالًا للطهر والعفاف، واستشهدت من أجل الدفاع عن الحرائر العفيفات، تغمدك الله برحمته، وبوأك دار كرامته، وأسكنك فراديسه وعدنه.

الشهيد هيثم العبيسي رحمه الله

من أقدم طلاب الشيخ مروان حديد، أذكره يمتطي موتور من نوع (لامبرتا)، ولا يفتر عن مرافقة الشيخ مروان، لا سيما أنه من حيه، بل يُعدُّ من جيرانه، درس الهندسة في جامعة حلب، واشتغل في البلدية، مهندسًا مبرزًا مشهورًا، والظاهر أنه انتسب إلى حزب البعث مريدًا محو ماضيه المعروف، فبوؤوه مناصب رفيعة، فصارت جلساته وسهراته كلها مع المسؤولين في أجهزة المخابرات بل مع المحافظ، والعجيب المدهش أنه قدم بيته في حي البارودية ليكون المنزل الرئيسي لقيادة الطليعة، فكان فيه عمر جواد ومسعف خطاب وأمير قرة بولاد، ويتردد إليهم هشام ومرهف وعبد الجليل البارودي، فكان المهندس الرائع هيثم يأتي إليهم بأخبار الدولة كلها، وبناء على هذه المعلومات كانت القيادة تضع الخطط.

وحين نشبت المعركة الفاصلة بين المجاهدين، وجيش الأسد كان هيثم مغوارًا عنيفًا يقود الشباب بحكمة، ويتردد بين عدة جبهات رؤي في جبهة الحميدية، كما رؤي في جبهة طريق حلب، يرفع من همم المجاهدين ويشير عليهم بما يجب أن يفعلوه، وبعد استشهاد الأخ عمر، استلم القيادة كلها، وراح يقاتل الجيش قتالًا شديدًا، وفي ساحة الحاضر، أصابته قذيفة دبابة، فسقط شهيدًا بيده سلاحه، وعتاده، وحين رآه ضباط المخابرات لم يصدقوا أن يكون هذا هيثم الذي عرفوه بعثيًا، عقائديًا، وأُصيبوا بالذهول حين عرفوا أيضًا أن منزله هو المأوى منذ سنوات عديدة، لقيادة العمليات، وفيه القيادة وأجهزة التصنت وغيرها مما وجدوه في المنزل الذي قام بتمويهه حين جعله «مدجنة» وما أكثر التفتيشات التي قامت بها أجهزة المخابرات فكانت ترى الدجاج في المنزل الذي يبدو كأن حيطانه على وشك السقوط، فتخرج مباشرة من كثرة الدجاج وضجيجه وصياحه.

هـذا هو البطل الذي أقـض مضاجع المخابـرات، فكانوا يشـكون في بعضهم لكثـرة الكمائـن والمفاجـآت التـي كانـوا يتعرضـون لهـا، قبـل انـدلاع المعركـة النهائيـة، ولا يـكاد يخطـر ببالهم أن يكـون هيثم من قيـادة الطليعـة المبرزين، ومن المقاتليـن الشرسـين، رحمـه الله تعالـى رحمـة واسـعة، وأكـرم نزله، وأسـاح على قبـره مـزن ألطافه.

الشهيد زياد بن عمر السقاف رحمه الله

أبو عامر يمثل صورة واضحة عن مدى التحام أهل السنة والجماعة أمام الطوائف الرافضة من أمثال النصيريين، هذا الرجل تربى عند الصوفية من أمثال الشيخ المجاهد محمد أديب كلكل، وتردد كثيرًا على الشيخ المجاهد أديب كيلاني، وحضر كثيرًا حلقات الذكر عند الشيخ رضوان كيلاني في الكيلانية بعد صلاة الجمعة، وكان ذا صوت حسن، يصدح بصوته في حلقات الذكر دائم الابتسام، وملاطفة الأحباب، وصاحب دعابة، مع براءة، ونقاء سريرة، وحين دخل علوج النظام حي العراونة في الحاضر، حيث منزله، حمل السلاح، مع المجاهدين وراح يقاتل معهم قتال الأشاوس الأبطال حتى سقط شهيدًا مدافعًا عن دينه وعرضه، رحمك الله يا أبا قُثم، ما أجملك حين كنت في حلقات الذكر، وما أشجعك حين قاتلت أعداء الله، ولا عجب فقد تربيت عند الأكابر من العلماء الصالحين الذين يُشهد لهم بالعلم والصلاح والاستقامة، فجاءت مروءتك شهادة صدق على حسن التربية وفهم عميق للجهاد المبارك، هنيئًا لك يا أبا عامر هذه الشهادة المباركة، وجعلك مع الحبيب المصطفى وصحابته وأوليائه ومحبيه في أعلى عليّين.

الشهيد حسين مطر رحمه الله

أخ فاضل شهم شجاع، لا يعرف الخوف أبدًا، هو من حي السخانة التي أنجبت كثيرًا من الأبطال، أخوه جعفر مطر كان على صلة وثيقة بالشيخ مروان، فكان يتردد إلى غرفة مسجد الشيخ مروان، وتبعه أخوه الأصغر زياد الذي كان رجلًا شجاعًا جدًّا، أرسله الشيخ مروان إلى الفدائيين، وهناك كان مضرب المثل بالبطولة، قيل: إنه حين كان يقوم بالعمليات الفدائية داخل إسرائيل يأبى أن يزحف لاعتقاده أن في ذلك مذلة، فالمسلم عنده لا يعرف الذل، ورجع فيما أذكر من الفدائيين بعد أن انحلت العاصفة، وتوقفت كتائب الشيخ مروان.

كان الشيخ مروان محبوبًا جدًّا من أمثال زياد، أولئك الذين خُلقوا محبين لإسلامهم كارهين حزب البعث وأزلامه ولم ينتموا إلى أي حزب سياسي، فهواهم إسلامي، وحماسهم في الدفاع عن المسلمين لا يكاد يوصف، طلب الشيخ مروان من زياد أن يوقف حفلة في سينما الشرق، كانت إحدى المغنيات لم أعد أذكر اسمها تريد أن تحييها في أول أيام عيد الفطر السعيد، واستنكر الشيخ مروان ذلك قائلًا: يريدون إفساد أهل المدينة التي لا تعرف مثل هذه الحفلات من قبل، فماذا صنع الشيخ، الظاهر أنه طرح الأمر على زياد لعلمه بشجاعته وإقدامه، ولأنه لا يعد من الشباب الملازمين للشيخ مروان، فذهب الرجل، وبخطة دقيقة فجر الديناميت أمام سينما الشرق، فهرب الناس، وتراكض الحاضرون خوفًا وذعرًا، وألغيت الحفلة.

أما أخوهم حسين فهو رجل لا أحد يعرفه إلا ويشهد بشجاعته ومروءته وشهامته، كان قريبًا من الشيخ مروان، وكان الشيخ مروان إذا حزبه أمر شديد، كأن يأتيه أحد الإخوة شاكيًا له مجموعة من تنظيمات سياسية غير إسلامية، يطلب من

حسين الذهاب إلى هذه المجموعة التي تضايق تلامذته أو تضايق عمل جماعة الإخوان، لكي يوقفهم ويعلمهم بأنهم إذا استمروا في مضايقة هؤلاء الإخوة فمصيرهم سيكون سيئًا، فإذا استمروا كان يطلب من الإخوة أن لا يتدخل أحد معه لقتالهم، فتراه كالأسد يصول ويجول ضاربًا إياهم بعصا غليظة لها رأس مدبب يمكن أن ينفجر رأس من تصيبه ضرباته، ولا يقاتل واحدًا بعينه بل يهجم على المجموعة كلها، وترى المعركة تنتهي بسرعة وقد انهزموا وولوا الأدبار، ويرجع مساء إلى مسجد الشيخ مروان ليبلغه بما حصل، وكأنه يقول له هل من مزيد.

وحين ظهر المجاهدون كان من أوائل الشباب، جعل بيته في حي الشمالية مأوى للشباب الهاربين، وكانت زوجه من الفاضلات الكريمات، وهي شقيقة الشهيد البطل مصطفى بلال، فكانت تطبخ وتغسل وتقدم الخدمة للمجاهدين وهي لا تعلم من عندها في المنزل؛ لأنه يقول لها عنده ضيوف فقط، وحين احتدم القتال في الكيلانية، كان يقاتل مع الشيخ أديب كيلاني يكر على الأعداء يفتك بهم، ويدافع عن الشيخ، وحين بدأت الدولة بقصف الحي لتدميره انسحب هو والشيخ أديب كيلاني ومعهم الشهيد مصعب الأمين وجمال المصري، إلى الشارع القريب من بيت العيسى وهناك استشهدوا، رحمهم الله جميعًا، وتقبلهم عنده بقبول حسن، فهم «رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه» فكافأهم بالشهادة، رحمهم الله جميعًا.

الشهيد الحاج حسن الخوام رحمه الله

بعد اعتقال الشيخ الشهيد مروان حديد، ـ يرحمه الله تعالى ـ بدأ النظام حملة مسعورة لاعتقال كل من له صلة بالشيخ مروان حتى لو كانت صلة مجاورة في منزله بحي البارودية، من هؤلاء ابن الحاج حسن، محمد رياض، وراحت المخابرات تضغط على العائلات التي يهرب أبناؤها منهم ولو كانوا لم يقوموا بأي عمل، خوفًا من هذه الأجهزة القمعية، ولجأت المخابرات إلى أساليب وطرق خسيسة منها القبض على أخ الشخص المختفي أو على أبيه لكي يسلم نفسه، وهذا ما فعلوه مع الحاج حسن، فقد اعتقلوا ابنه الكبير محمد علي ـ رحمه الله تعالى ـ الذي يساعده في دكانه، وهو أيضًا أب لثلاث بنات صغيرات، وساقوه إلى سجن المزة رهينة عندهم مع علمهم ببراءته، كما اعتقلوا الحاج محمد الريس ـ رحمه الله تعالى ـ الكبير في السن من أجل ابنه منقذ الريس ـ رحمه الله تعالى الذي توفي في العراق إثر حادث سيارة ـ واعتقلوا عبد الكريم خلوف شقيق عادل خلوف أيضًا رحمهما الله، وغيرهم كثير ممن لا أتذكر أسماءهم الآن.

ولم يكتفوا بذلك بل راحوا يترددون إلى دكان الحاج حسن في سوق برهان، كل يوم تقريبًا يطلبون منه أن يخبرهم عن ابنه، وفي يوم من الأيام حضروا وسألوه عن ابنه علي الذي هو رهينة عندهم، فظن أنهم قد قتلوه في السجن وصاح بهم هل قتلتم الولد أيها الجبناء؟ أليس هو عندكم في سجن المزة؟ لماذا تسألونني عنه؟ وأجابه رئيس الدورية: نحن لا نعرف شيئًا، فطردهم شاتمًا إياهم، فتركوه، وقبل العصر ترك الدكان لولديه مروان وصفوان ليتناول في بيته طعام الغداء ويستريح من عناء العمل، فالرجل صار عمره ثلاثة وستين عامًا، ولم تزده ضغوطهم عليه إلا

صلابة وقوة، لكنه كان في البيت يتألم كثيرًا حين يرى بنات ابنه الثلاثة الصغيرات يسألن عن أبيهم.

والعجيب أنه حين ترك الدكان ذاهبًا إلى بيته سلم على جيرانه الذين كانوا دائمًا يواسونه بعد أن تمر المخابرات على دكانه ويسمعون صوته العالي يؤنبهم مستخفًا بهم وكأنه ـ كما قالوا بعد حصول الحادثة ـ يودعهم، فما ترك جارًا له إلا وسلم عليه حاكيًا له قبحهم ورذالتهم، ثم ذهب إلى صاحبه الذي كان في كثير من لياليه يسهر في «منزوله» وهو أبو مصطفى عاشور، فأعطاه ثمن بعض الأغراض التي كان قد اشتراها منه لبيته سابقًا، ثم توجه إلى مسجد الزاوية الحراكية الكائنة في حي البارودية، القريبة من بيته، فصلى العصر جماعة، وبعد تناوله طعام الغداء استلقى على سريره يلاعب إحدى بنات ابنه المعتقل، ولم يشعر إلا بالمخابرات صاروا داخل البيت، فنهض مسرعًا رافعًا صوته بقوله لهم: أيها الكلاب لا يحق لكم دخول البيوت هكذا، لعنة الله عليكم وعلى من أرسلكم صباحًا، قلت لكم: ابني علي عندكم ومحمد رياض في مصر، ألا تستحون! اخرجوا أيها الكلاب، وضاربهم بيديه، فضربوه بخشبة البواريد التي كانوا يحملونها وهي «الكلاشينكوف» فسقط مغميًا عليه، وحين رأوه قد سقط هربوا مسرعين، فصاحت بهم زوجه: يا كلاب خذوا الرجل معكم إلى المستشفى، هربوا خائفين مذعورين، ونادت زوجته الحاجة نورية سلمو النجار الجيران الذين منعهم المخابرات من الخروج من منازلهم حين داهموا بيت الحاج حسن، وكان ديدنهم ذلك في كل مرة يأتون منزلهم.

وتجمع أهل الحي وحملوا الشهيد إلى المستشفى الوطني، لإسعافه لكنه فارق الحياة، وصعدت روحه الطاهرة إلى جوار رب رحيم كريم، وراحت الدولة تضغط على الأطباء في المستشفى الوطني، فانقسموا قسمين: بعضهم قال بأن

الشهيد مضروب، وبعضهم قال: إنه ليس بمضروب ـ هكذا ـ، وفي اليوم الثاني تم تشييع جثمانه الطاهر، وكان يومًا مشهودًا، فقد أغلق أهل البلد حوانيتهم من أجل الجنازة مظهرين استنكارهم لهذه الجريمة البشعة، وكادت أن تثور ثورة عارمة في البلدة لولا أن صهر الفقيد وهو عقيد في الجيش السوري طلب منه علي دوبا، وعلي حيدر تهدئة الأمر، ووعدوه بإخراج الرهينة فورًا، وأنهم على استعداد لدفع ما تطلبه العائلة من مال لترضيتهم، لكن العائلة رفضت ذلك، مطالبة بإخراج ابنهم من السجن فقط، وتم ذلك الأمر.

وقد طلب الإخوة المجاهدون (عبد الستار الزعيم وفيصل غنامة) سرًا من أولاد الفقيد تهدئة الأمر؛ لئلا تفسد خططهم في محاربة النظام، وفعلًا شيعت البلدة شهيدها بحزن وأسف، منددين بهذا النظام، وجرائمه التي لا يقوم بها اليهود، وفوجئ الناس بالسماء تمطر، وتذكر الناس حينها جنازة الشيخ محمد الحامد الذي أمطرت السماء حين تشييعه رحمهم الله تعالى.

وفي التعزية احتشد الناس في منزل الفقيد وإذ بمحافظ البلد يحضر للتعزية، فنهض الشيخ المغوار شاهر خلوف وألقى كلمة قرّع فيه المسؤولين في البلدة محذرًا إياهم ومتوعدًا لهم بثورة عارمة تستأصلهم، والمحافظ صامت يستمع إلى الشيخ، ثم حاول الاعتذار للناس واعدًا إياهم بإخراج جميع الرهائن، وعدم تكرار ذلك واحترام المشايخ والكبار والنساء، لكن الشيخ شاهر خلوف قال له: أنت يا مسكين لا تمثل إلا نفسك، كفاكم نفاقًا يا أهل السنة السائرين مع هذه الطائفة تقوونهم، ويضحكون عليكم باسم أنه لا طائفية في سورية، وانتهت التعزية بعد ثلاثة أيام، شارك فيها أهل البلد جميعًا.

كان الشهيد الحاج حسن لا يخاف في الله لومة لائم، لم تخفه رجال المخابرات المدججين بالسلاح، فكان يصرخ فيهم أمام الناس في سوق برهان، ويطردهم من أمام دكانه متدثرين بالذل أمام الناس وفي بيته، لم يتوقف في كل مرة جاؤوا إليه عن طردهم، وتأنيبهم، والعجيب في أمر هذا الرجل أنه حين كان في هذه المحنة، كان على علم بأن بعض المطلوبين يلجؤون إلى أولاده يطلبون النوم عندهم، فكان يحث أولاده على إكرامهم، ويقول لهم: علموهم بأنه إذا جاءت الكلاب ـ أي المخابرات ـ المنافذ عبر أسطح منازل الجيران لكي يهربوا، كما كان يقدم لهم المال لشراء ألبسة لهم، والظاهر أن زوجته حين كانت تغسل ثيابهم تخبره بأنهم بحاجة إلى ملابس، فكان يطلب من أولاده شراء ملابس لهم، ومن أبرز هؤلاء الشهيد مهدي العلواني، وكانت عناية الله ترعى هؤلاء المجاهدين المختبئين في منزله، وابنه رهينة عند عصابات الأسد، وولده محمد رياض هارب منهم ولا ينام في بيته الذي هو مأوى لبعض الأبرياء الفارين من هذه العصابة الخبيثة، رحم الله الشهيد رحمة واسعة، وجعل قبره روضة من رياض الجنة، وبوأه دار الكرامة مع الحبيب المصطفى ﷺ.

وبعد استشهاده بمدة وجيزة وخروج ابنه من السجن قامت المخابرات باعتقال ابنته صبيحة، المدرسة في المدارس الابتدائية، ومكثت في الاعتقال شهرًا، ثم أفرجوا عنها لبراءتها، وبعد أحداث حماة سنة ١٩٨٠م هربت إلى تركيا، ثم إلى مصر، ثم إلى بيت أهلها في الأردن، لأنهم غادروا حماة واستوطنوا الأردن الشقيق، ثم تزوجها المحامي محمد أمين البيانوني ورزقت بثلاث بنات، وتوفيت سنة ٢٠١٧م في عمان، ودفنت في مقبرة سحاب رحمها الله تعالى وأنزل على قبرها شآبيب رحماته.

ما كتبه الأخ أحمد حمشو عن بعض الشهداء

الشهيد معن عبد الرزاق بارودي رحمه الله

أبو معاذ كنيته، ولد في حماة ١٩٥٥م، وفي حي البارودية ترعرع وشب على حب دعوة الإخوان المسلمين لقربه من الشيخ مروان حديد رحمه الله. أبو معاذ أخ صادق العهد، كريم النفس، هادئ الطبع، متواضع لإخوانه، شديد الحياء رحمه الله. صاحب همة عالية ونشاط دؤوب، يكاد لا يفتر عن الحركة في سبيل دعوة الإسلام رغم حداثة سنه حيث لم يبلغ الثامنة عشر من العمر.

جمعتنا دعوة الإخوان المسلمين مع بعض الإخوة ممن هم في أعمارنا، فكان نعم الأخ القائم على رعايتنا وتوجيهنا الوجهة السليمة لتربيتنا تربية إسلامية واعية تحمل هم الأمة المسلمة، تبعدنا عن الانحراف والميوعة وترسخ فينا العقيدة الصحيحة.

يعطف ويحنو على إخوانه كما الأب الرحيم بأبنائه، يأخذ بأيدينا إلى ما فيه خيري الدنيا والآخرة.

وفي عام ١٩٧٥ انتقل إلى جامعة دمشق حيث التحق بكلية العلوم قسم (ر. ف).

وبعد اعتقال الشيخ مروان رحمه الله تم اعتقال عدد من شباب الدعوة والبعض الآخر لوحق من قبل النظام المجرم.

فكان أبو معاذ في حماة، فالتقيناه في بيت الأخ الشهيد عبد الكريم عرفة رحمه الله، وكان لقاء الوداع فوجه لنا النصائح وأوصانا بالصبر والثبات؛ لأن المحنة قد ألقت بكلكلها على شباب الدعوة، وكانت الوصية الأولى عدم الاستسلام لرجال المخابرات والدفاع عن النفس بأي وسيلة حتى لا تكون حياتك رخيصة.

خرجنا من بيت الأخ عبد الكريم فرادى ومثنى حتى لا نثير انتباه الناس، فتوجه رحمه الله إلى الفرقة التاسعة الكشفية في باب النهر حيث كان مدعوًّا لنشاط كشفي، وأثناء ذلك تم اعتقاله على حين غرة، وأودع في سجن حماة للتحقيق، ثم نقل إلى سجن المزة في دمشق، وهناك لاقى مع إخوانه أشد أصناف التعذيب النفسي والبدني، هؤلاء الإخوة كلهم مجموعة الشهيد مروان حديد، لم يخرج منهم إلا النزر اليسير يعدون على أصابع اليد، ومن بقي في سجنه تمت تصفيته تحت التعذيب أو أنه توفي نتيجة الأمراض التي أنهكت أجسادهم رحمهم الله.

رحم الله أبا معاذ وجزاه الله عنا وعن المسلمين كل خير.

الشهيد عبد الكريم عرفة رحمه الله

قليل من الذين تلتقيهم في مسيرة حياتك وترتاح لهم النفس ويدخل سويداء القلب، بل وربما تشعر أنه قطعة من جسدك لا ينفصل عنها.

أبو نادر رحمه الله دخل إلى القلب دون وسيط، أحبه الجميع منذ أول لقاء جمعنا به، فكان نعم الأخ صادق صدوق، وفِي، رقيق المشاعر، أنيق المظهر، يألفه جليسه ويحبه.

ولد في مدينة حماة عام ١٩٥٩م، وفي صيف عام ١٩٧١ ـ ١٩٧٢م كانت اللقيا، وكنا في الصف الأول الإعدادي حيث مائدة الرحمن في جامع النوري تجمع اليافعين من أترابنا نتعلم فيها كتاب الله ونتدارسه.

ما أجمل تلك الأيام المباركة التي جمعتنا، فتوثقت عرى المحبة بيننا وتعاهدنا على نصرة ديننا، فمنا من قضى نحبه ومنا من ينتظر.

مرت بنا الأيام وكأنها الخيال لتفرق بين الأحبة، فغادرت البلاد إلى المدينة المنورة بقصد الدراسة ونأت الأبدان عن محبيها ولكن الأرواح لم تبتعد.

في غيابي عنه لم يألُ جهدًا رحمه الله في مراسلتي، ولم تنقطع حبال المودة بيننا خلال السفر. وما أكثر ما كان يبث لي من زفرات الشوق والحنين، أشعر بصدق الأخوة والوفاء من خلالها رحمه الله.

فقد أرسل إلي الشهيد إسماعيل عبيسي برسالة وكان بجواره أبو نادر رحمهما الله أثناء الدراسة في جامعة حلب، وقد نظم بعض أبيات من الشعر ضاعت عني ولم أحفظ غير هذا البيت. يقول فيه إسماعيل:

أبــو نــادرٍ يُنكــي جراحــي بذكركم   صباحًــا مســاءً يــا أهيــل المحبــة

وعندما ألقت المحنة بثقلها على شباب الدعوة فنالت منهم ما نالت، كان لأبي نادر وأسرته النصيب الأكبر، فاعتقل أحد إخوته واستشهد الآخر، وغادرت أسرته إلى الأردن فرارًا من بطش المجرمين.

أما أبو نادر فالتحق بصفوف المجاهدين، فكان له صولات وجولات مع جنود الباطل فأبلى بلاء حسنًا إلى أن اختاره الله شهيدًا في أحداث حماة ١٩٨٢م.

فالسلام عليه في الأولين والآخرين، وجمعنا الله به تحت لواء سيد المرسلين.

الشهيد إسماعيل عبيسي رحمه الله:

ولد في مدينة حماة عام ١٩٥٩م لأسرة عرف عنها التدين والالتزام، وفي عام ١٩٧٨م التحق بكلية الهندسة الميكانيكية في جامعة حلب. عرفته يافعًا، وعرفته شابًا، نشأ في طاعة ربه منذ نعومة أظفاره، يتمثل قول نبيه ﷺ: «وشاب نشأ في طاعة الله»[(١)]، تشهد له المساجد لتعلقه بها، ويشهد له كتاب ربه الذي تلاه آناء الليل وأطراف النهار قراءة وحفظًا، عرفته طالبًا ذكيًا نجيبًا مجتهدًا في تحصيله الدراسي، فكان من المتميزين في جميع المراحل مع صديقه **عبد الكريم الرجب** في سنوات الدراسة فكانا «كفرسي رهان»، ولكن الرجب ضل الطريق وباع نفسه لشياطين النظام النصيري فأصبح متعاونًا معهم يوشي بإخوانه الصادقين حتى أوصلهم إلى حبال المشانق وغياهب السجون، طمعًا بعرض زائل من الدنيا، ولكن الله تعالى كان له بالمرصاد، حيث مكّن المجاهدين منه فأنزل به حكم الله عزوجل نتيجة خيانته. ولكن البطل إسماعيل كان صادق الوعد تقيًا نقيًا، مقتفيًا أثر نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالوفاء بالعهد الذي عاهد الله عليه في الدفاع عن هذا الدين.

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وفي أيام عصيبة مرت بالدعوة الإسلامية في ثمانينيات القرن الماضي حينما أعلن المجرم حافظ الأسد حربه الضروس على الإسلام والنيل من شبابه تصدت له كوكبة المجاهدين الذين خط طريقهم الشهيد مروان حديد رحمه الله فجادوا

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠) و(٦٤٧٩) و(١٤٢٣) و(٦٨٠٦)، ومسلم (٢٣٤٤)، عن أبي هريرة، مرفوعًا.

بأغلى ما يملكون، فبذلوا أرواحهم رخيصة في سبيل الله والذب عن دينه، ولم يكن إسماعيل رحمه الله إلا واحدًا من أولئك الأبطال، فقد باع نفسه لله وربح البيع إن شاء الله، وقد أعد العدة لمواجهة زنادقة العصر، حيث انخرط في صفوف المجاهدين يصول ويجول بين صفوف العدو حتى نال الشهادة رحمه الله في معركة من أشرس المعارك بين الحق والباطل مع ثلة من إخوانه في إحدى قواعد المجاهدين، وينادي إخوانه بكل شجاعة وبطولة أن انسحبوا وأنا أغطي انسحابكم، ولسان حاله يقول:

كل بـــذل إذا العقيـــدة ريعـــتْ ... دون بـــذْلِ النفـــوس نـــزر زهيـــد

وإذا زغْـــرد الرصـــاصُ وغنَّـــى ... يخســـأ العـــزف والغنا والنشـــيد

مِن دمائي فـــي مقفـــرات البراري ... يطلـــع الزهـــر والحيـــا والورود

رحم الله الشهيد إسماعيل وأسكنه الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقًا.

الشهيد طلال خالد الشكري رحمه الله.

تلمح فيه الرجولة والشجاعة عندما تراه، إنه الشهيد طلال الشكري أبو مصعب رحمه الله، يرجع نسبه إلى قبيلة بني خالد.

في حماة كان مولده ١٩٦٠م، وفي حي الفراية نشأ وترعرع، ومن حلقات العلماء نهل، وفي كنف شباب الدعوة تربى على التضحية والفداء.

ارتحل إلى المدينة المنورة للدراسة في عام ١٩٧٥م فانتسب إلى الجامعة الإسلامية، وفي المعهد الثانوي كان اللقاء بيننا، فالتقينا على طاعة الله تعالى وطلب العلم معًا.

فالتحق بكلية الشريعة، وكان ذا همة عالية، وطموح كبير في طلب العلم، فحفظ القرآن الكريم في رحاب المسجد النبوي، ثم ما لبث أن تاقت نفسه لتعلم القراءات العشر، فالتزم عند أحد علماء القراءات في المسجد النبوي لأخذ الإجازة، فقرأ عليه جزءًا من متن «طيبة النشر» لكنه لم يكمل المشوار بسبب تصاعد الأحداث في سوريا وانشغاله بذلك.

جمعنا السكن الجامعي سوية فكنا أخوين متحابين، تعاهدنا على نصرة دين الله تعالى.

فكان رحمه الله يحمل همَّ أمته، وتضطرم في نفسه جذوة الجهاد وحب الشهادة.

عزفت نفسه عن الدراسة بعد اعتقال والده وأخيه رهائن بدلًا عنه، فأخذ يعد العدة ويتحين الفرص للنفير إلى أرض الشام، وفي عام ١٩٨١م غادر المدينة المنورة ليلتحق بركب المجاهدين في حماة، وقد أبلى بلاء حسنًا في أحداث حماة ١٩٨٢م، واستشهد في حي الكيلانية رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

الشهيد السعيد أسعد الترك (الحلواتي) رحمه الله تعالى

اسمه سعيد، وله من اسمه نصيب، وعرف باسم أسعد، عرفته مبكرًا حيث جمعنا مسجد الحي، وفي حلقات القرآن والذكر توثقت عرى الأخوة بيننا.

ولد أسعد في مدينة حماة عام ١٩٦١م، وعندما كنا في المرحلة الإعدادية، لاحظت فيه حماسه وحبه لهذا الدين، كان شديد الحياء متواضعًا، عزيز النفس.

كان والده يحرص على عدم اختلاطه بالناس خوفًا عليه، فتراه منزويًا بين البيت والمسجد، في المسجد كان لأسعد نشاطه مع ثلة من الشباب الذين تعلقت قلوبهم به، يقومون بواجب الدعوة إلى الله، ولكن النظام النصيري الحاقد لا يروق له أن يرى مثل هؤلاء الفتية الأطهار الأشراف يقومون بواجبهم الدعوي.

في هذه الفترة العصيبة كانت كتائب المجاهدين تسطر أروع آيات البطولة والفداء على ثرى سورية الحبيبة، فأحب هؤلاء الفتية عمل المجاهدين، وباركوا تضحياتهم، وتمنوا لو كانوا في الصفوف الأولى!!! كيف لا؟ والفرصة مواتية لذلك!! فإذا بهم يتقدمون الصفوف غير عابئين ببطش النظام المجرم، فانتظموا ضمن مجموعاتهم بسرية تامة ودون ضجيج، ولكن إرادة الله تعالى قدرت أن ينكشف حالهم فسيقوا إلى المعتقل ليدفعوا ضريبة انتمائهم لهذا الدين كأسلافهم من الصحابة والتابعين.

ولكن فترة اعتقاله لم تدم طويلًا، اعتقل في ١١/ ١٠/ ١٩٨٠م في الأمن العسكري، ثم تم ترحيله إلى سجن تدمر بتاريخ ١٠/ ١١/ ١٩٨١م، وحوكم في الشهر السادس من نفس العام من قبل المجرم سليمان الخطيب، ونفذ حكم الإعدام بتاريخ ٢٤/ ٨/ ١٩٨١م كما وصلني من أحد إخوانه الذين أفرج عنهم بعد

اعتقال دام ربع قرن، وكان رفيق دربه من أول اعتقاله وحتى استشهاده رحمه الله، حيث تم تنفيذ الإعدام سريعًا بسبب تمرده وكبريائه واعتزازه بدينه، حيث فوت على المحقق السجان فرصة انتزاع المعلومات والوصول عن طريقه إلى أحد من إخوانه، فكان ثابتًا شامخًا كالجبال الرواسي، مما أغاظ هذا المجرم فسارع إلى صب أنواع العذاب عليه صبًّا حتى نال الشهادة، راضيًا مرضيًّا، وصعدت روحه إلى بارئها ولسان حاله يقول: «**فزت ورب الكعبة**».

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

رحمك الله يا أسعد وأسعدك في جنات عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، وجمعنا بكم تحت ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله.

الشهيد يوسف طلعت زلوخ رحمه الله

يوسف طلعت هو ابن الحاج نادر زلوخ رحمهما الله تعالى.

ولد في مدينة حماة عام ١٩٥٥م، وفي كنف أسرته نشأ وترعرع، يرعاه والده الذي كان من أوائل المنتسبين لجماعة الإخوان المسلمين في مدينة حماة حتى سمّاه يوسف طلعت تيمنًا بالشهيد «**يوسف طلعت**» أحد أبطال الإخوان المسلمين في مصر الذي كان يطلق عليه «**جزار الإنكليز**» أثناء قتاله للبريطانيين في القنال، كما كان مجاهدًا في فلسطين تحت راية الإخوان المسلمين.

في مدينة حماة نهل من معين دعوة الإخوان المسلمين فانتسب إليها مبكرًا في مرحلته الإعدادية، وفي المرحلة الثانوية لوحق من قبل مجرمي البعث النصيري كحال إخوانه من شباب الدعوة الذين تصدوا لمشروع الطاغية حافظ الأسد.

وتابع مسيرته الجهادية فكان جنديًا مخلصًا في صفوف المجاهدين ينافح عن الدين والوطن ضد عصابات الأسد حتى اختاره الله شهيدًا على ثرى مدينة دمشق.

رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى، وحشره تحت لواء سيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ.

العالم الرباني والداعية الموهوب

السيد نافع خالد العلواني

رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

ما إن انتهيت من كتابي عن حياة القائد الشهيد الشيخ مروان حديد رحمه الله تعالى، والذي راجعته على شيخنا الشيخ نافع، وكان قد قدم له مقدمة أعتز بها، وبعد أن جهزته للطباعة حتى تفاجأت برحيل الشيخ، فأحببت أن أكتب ملحقًا عنه ليكون في كتاب رفيق دربه الشيخ مروان حديد رحمه الله.

وفي هذه السطور شذرات عن حياة الشيخ نافع رحمه الله.

ـ الشيخ نافع لا نفيه حقه في كتابة هذه السطور، فحياته وجهاده يحتاجان إلى كتاب أو أكثر، فمعذرة يا شيخنا فإني لا أستطيع أن أوفيك حقك، فحقك علينا كبير، ولكن وفاءً ومحبةً أرفق هذا الملحق مع كتاب الحبيب الشيخ مروان رحمه الله.

ـ الشيخ نافع خالد العلواني ولد في حماة ١٩٣١م، وترعرع فيها، وفي ريعان الشباب تتلمذ على عالم حماة وشيخها بلا منازع الشيخ محمد الحامد رحمه الله، ثم انتظم في جماعة الإخوان المسلمين، وكان ذلك في بداية الخمسينيات من القرن الماضي، وفي هذه الأثناء تعرف على رفيق دربه الشيخ مروان حديد وهو أصغر منه سنًّا، وتوطدت عرى الأخوة بينهما، فدعاه إلى جماعة الإخوان المسلمين فاستجاب له مروان، وأصبح من أكثر شباب الإخوان نشاطًا وفاعلية في حماة، وكان ذلك في المرحلة الثانوية، وانتظم كل من الشيخ نافع ومروان في أسرة واحدة عند الأستاذ عدنان سعد الدين رحمه الله.

ـ وبعد حصول مروان على الشهادة الثانوية غادر إلى مصر بقصد الدراسة، وبقي الشيخ نافع في حماة معلمًا بعد تخرجه في دار المعلمين في مدينة حمص، وكذلك انتقل إلى بصرى الشام للتدريس، وكان البعثيون ينشطون في تلك المنطقة، وقد عانى الشيخ من هؤلاء الكثير حيث كانوا يضمرون له الحقد ويمكرون به، لكن الله سلمه منهم.

ـ ثم انتسب إلى كلية الشريعة في جامعة دمشق، وبعد أن تخرج منها تم تعينه مدرسًا في دير الزور، ثم عاد إلى حماة، وبعد أحداث ١٩٦٤ نقل إلى حلب وبقي فيها سنوات مدرسًا، وكان له نشاط ملحوظ بين شبابها، وكان من أبرزهم الشهيد حسني عابو رحمه الله وغيره.

وفي بداية السبعينيات نقل إلى محافظة حماة ودرّس في «مصياف» مدة قصيرة، ثم انتقل إلى حماة مدرسًا في ثانوية أبي الفداء، ولكنه لم يدم طويلًا حتى كانت أحداث الدستور عام ١٩٧٣م فلوحق من قبل الأمن فترة من الزمن بلغت في تعدادها سبعين شهرًا متنقلًا من بيت إلى بيت.

وفي نهاية عام ١٩٧٨م غادر حماة إلى الأردن، ثم إلى السعودية، ومنها إلى الإمارات للعمل فيها موظفًا في وزارة الأوقاف واعظًا وخطيبًا في إمارة الفجيرة.

وفي الفجيرة كان للشيخ حركة دعوية ملموسة، حيث كان يقيم الدروس في بعض المساجد مما كان له أثر في نفوس الشباب، وبعد خمس عشرة سنة تقريبًا ترك الإمارات مكرهًا إلى الأردن، وكان له نشاط حيث مكان سكناه في منطقة «ماركا الشمالية»، وكان بيته موئلًا للسائلين عن أحكام الدين إلى أن توفاه الله تعالى يوم الخميس ١٩/ ٤/ ٢٠١٨م، وقد ترك بصمة بين الناس في الأردن حيث شيعه آلاف المحبين.

ـ والشيخ نافع له من اسمه نصيب، فكان رحمه نافعًا أينما حل تاركًا أثرًا طيبًا، وهذا دليل إخلاصه وزهده بما عند الناس.

وفي السنوات الأخيرة من حياته وبعد اندلاع الثورة في سورية وتهجير الناس إلى الأردن كان رحمه الله يسأل عن حاجات الناس ليقضيها لهم، وما ذكرت أمامه عن محتاج أفرادًا وأسرًا إلا وسارع في تقديم العون لهم، ولم يرد سائلًا، هذا ما رأيته خلال مصاحبتي له في الأردن.

ـ أما معرفتي بالشيخ نافع رحمه الله تعالى فتعود إلى عام ١٩٧٠م في حماة؛ حيث كنت أزوره عندما يأتي من حلب إلى حماة، وبقيت علاقتي به إلى حين وفاته.

ـ أما صفاته رحمه الله، فقد كان عف اللسان واليد يعمل لله ولا يبتغي أجرًا من أحد، فكان جُل وقته يجيب على تساؤلات الناس، وما رأيته يومًا يشكو أو يتذمر مما حل به بعد ذهاب أمواله التي تقدر بالملايين، حيث كان يملك عددًا من الأراضي في أرقى الأماكن في حماة فصادرها النظام النصيري البعثي، وبعضها لعب بها المزورون وأخذوها عنوة، ولكنه كان يحتسب ذلك عند الله، وكانت أمنيته الوحيدة أن يعود إلى حماة ولو لأيام قليلة، ولكن الله تعالى اختاره إلى جواره غريبًا عن دياره ليكسب أجر شهيد الغربة والعلم بإذن الله.

وتجمعني ذكريات كثيرة مع الشيخ في الإمارات والأردن.

ـ كان رحمه الله عصاميًا، عاش في بداية حياته فقيرًا كما حدثني بذلك، ثم أصبح مدرسًا ينفق على أسرته ووالده، ثم وسع الله عليه في الرزق فكان يعمل في تجارة الأراضي، رحم الله شيخنا أبا عباد فقد أمضى شطرًا من حياته طريدًا من قبل المجرمين منذ أن استولى البعثيون على السلطة عام ١٩٦٣م إلى أن غادر سورية عام ١٩٧٨م.

ـ وسألته مرة عن ذكرياته، وطلبت منه أن يدونها، لكنه كان يؤجل ذلك، ومرة أعطاني ورقة مكتوب فيه عن بداية حياته وما الذي أثر فيها؟ وكان مما كتبه أن أكثر شيء أثر في حياته وفاة والدته رحمها الله فكانت حريصة على أن يتعلم وكان لها ما أرادت.

ـ وسألته مرة كيف تعرفت على الشيخ محمد الحامد رحمه الله؟

قال لي: سمعته مرة يخطب فشعرت أني أمام عالم قل نظيره، ودخلت محبته في قلبي، وبعد ذلك لازمه وصحبه، وكان الشيخ يحبه كثيرًا ويسميه اللبيب؛ لفهمه وشدة ملاحظته.

ـ التزم الشيخ نافع بدرس الشيخ محمد في جامع الجديد بعد صلاة الفجر، وكان يحضره طلاب العلم، وبقي ملازمًا له حتى وفاته عام ١٩٦٩م.

بعض المواقف للشيخ نافع رحمه الله تعالى:

ـ في عام ١٩٥٨م عام الوحدة بين سوريا ومصر أصدر جمال عبد الناصر قرارًا بحل جميع الأحزاب ومنهم جماعة الإخوان المسلمين، قال لي: دعانا الإخوان للاجتماع في بيت الشيخ مصطفى الصيرفي، وكنت أنا والشيخ مروان وفي الاجتماع، قال الإخوة: الآن نحل الجماعة ولا علاقة لنا بكم بعد اليوم.

يقول الشيخ: ونظر إليَّ الشيخ مروان (وقال: أهذه جماعتك؟). وكان يشير إليَّ لأنني كنت سببًا في دخوله الجماعة.

يقول الشيخ: فافترقنا عن الجماعة، وبقينا نتابع العمل الدعوي أنا في المدينة والشيخ مروان في الريف حتى سنة الانفصال بين سوريا ومصر حيث عاد نشاط الجماعة مرة أخرى، وبقيت علاقتي مع الشيخ مروان حتى استشهاده.

ـ ومن مواقف الشيخ أيام الانفصال حيث دعا الإخوان إلى إقامة فعالية بمناسبة غزوة بدر، وكان الاشتراكيون قد توعدوا بإفساد الحفل، قال لي: ذهبت إلى الشيخ محمد الحامد لاستشارته فقال لي: (لا آمرك ولا أنهاك).

ففهمت منه أن لا نتراجع عن الاحتفال، وذهبت إلى جامع الحميدية وكان الناس متجمهرين أمام باب المسجد، فخاطبت الناس بالدخول إلى المسجد وليكن منَّا الشهداء، ودخل الناس المسجد وكان الحفل بمثابة تحدٍّ للاشتراكيين.

ـ وموقف آخر كان في عام ١٩٦٤م أثناء الإضراب في حماة وقبل اندلاع أحداث جامع السلطان بأيام، أقام الإخوان حفلًا في جامع المناخ، وجاء الشيخ نافع ووقف خطيبًا ألهب مشاعر الجماهير وعلت الهتافات والتكبيرات، والشيخ يحاول تهدئة الناس ولكن كلمته الحماسية أقوى من كلمات التهدئة، وفيها هاجم حزب البعث والاشتراكيين ومما قاله: (نحن أعلناها إسلامية ولن نرضاها جاهلية، نحن أعلناها محمدية ولن نرضاها عفلقية).

اللهم ارحم الشيخ نافع رحمة واسعة واغفر له وارفع درجاته وتجاوز عن سيئاته وأدخله الفردوس الأعلى يا رب العالمين.

حمدو

الفهرس

الموضوع	الصفحة

لماذا الكتابة عن الشيخ مروان رحمه الله:

١-إن كثيرًا من إخواني طلبوا مني ذلك مرارًا، لأنهم يعلمون أني كنت من محبي الشيخ وملازميه، وبعد إلحاح شرح الله صدري لذلك ووجدت دافعًا من نفسي، وكنت أتوجس من الكتابة عن شيخنا وأنا لست أهلًا لذلك.

لازمت الشيخ سنوات عدة، صحبته في الحل والترحال، سافرنا مرات عديدة إلى دمشق وإلى الساحل، وإلى الأردن، فكان رحمه الله خير رفيق في السفر والحضر.

ما أجمل السفر مع أبي خالد، في "حماة" لا يكاد يمر يوم إلا ونلتقي به، كان لقائي مع الشيخ يجدد الأمل في نفسي، ويحدوني للعمل، ويطرد الكسل والإحباط عني، وكنت إذا يئست أتيت أبا خالد، فبدد اليأس من نفسي، وأبدلني شحنة إيمانية أعلو بها فوق السحاب، هكذا كان للشيخ مروان رحمه الله من التأثير الروحي في من حوله ما لا يشعر به إلا هم.

٢-تصحيح ما وقع فيه بعض الإخوة ممن كتبوا عنه من خلط ووهم، حتى أضع الأمور في نصابها.

٣-وجدت كثيرًا من أبناء الدعوة، لا يريدون لهذا الجبل الشامخ أن يأخذ مكانًا في قلوب أبناء الدعوة الذين لم يعاصروه، ولا أدري هل ذلك غيرة منه، أم تآمر عليه وعلى منهجه الذي انتهجه في الجهاد في سبيل الله، علمًا أن من أبرز الشعارات التي يصدحون بها (الجهاد سبيلنا).

المؤلف

أفـــق

9 786256 738003